استحواذ

الطبعة
الثانية

رواية

وائل نصار

إستحواذ

إستحواذ

رواية

وائل نصار



الكتاب : إستحواذ

المؤلف : وائل نصار

تصميم الغلاف : إسلام علام

تدقيق لغوي : أحمد عبد المجيد

رقم الإيداع : 2013/ 22707

الترقيم الدولي 6-46-6436 - 977-978

الطبعه الاولي : 2014

الطبعة الثانية : 2014



20 عمارات منتصر — الهرم — الجيزة

ت-02-35860372   011-27772007

Noon_publishing@yahoo.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

إهـداء

(إلى الشخص الوحيد في هذا الكون الذي يستحق هذا الإهداء

إلى الشخص الوحيد.. الذي علمني عشق القراءة.. وأسرار السينما

إلى والدي.. الراحل.. الباقي

الغائب.. الحاضر

أهدي إلى روحه هذه الرواية)

(الدنيا ليل والنجوم.. طالعة تنورها

نجوم غير النجوم.. من حسن منظرها

ياللي بدعتوا الفنون.. وفي ايديكوا أسرارها

دنيا الفنون دي خميلة.. وانتوا أزهارها

والفن لحن القلوب.. يلعب بأوتارها

والفن دنيا جميلة.. وانتوا أنوارها)

أنشودة الفن

ألحان وغناء: محمد عبد الوهاب

١٩٥٤

المقدمـة

أهلاً بكم..

أرى هنا أصدقاء وصديقات للمرة الأولى.. ومثلهم للمرة الثانية..

يبدو أن هناك من بدأ يشعر بالفضول والإدمان في الغوص في أعماق، ومحاولة معرفة كنه ذلك الكائن الذي يقضي كل حياته يمشي ويجول في دروب أفلام السينما بلا كلل أو ملل.

إنه ذات الكائن الذي نظر إلى الحياة نظرة خاوية.. لم يجد فيها أي إثارة..

لهذا وجد ضالته في عوالم السحر والغموض والرعب والخيال العلمي..

كائن تحولت روحه إلى بحر هائل تصب فيه كل أنهار السينما.. ليعيد تبخيرها وتحويلها إلى أمطار.. تنهال فوقكم لتتشربها عقولكم في النهاية.

وكالعادة مع كل عدد.. ستكون هناك رحلة إلى دروب ودهاليز وخبايا الفن السابع..

حيث هنا على هذا الورق.. وعلى عكس دور العرض..

لن توجد تذاكر.. أو طوابير.. أو حجوزات مسبقة..

هنا يوجد..

أنا وأنتم فقط..

لا يهم أكياس الفيشار..

أو أن تجلس لتشاهد الفيلم نهارًا أو ليلاً..

واقفًا أو جالسًا..

بمفردك أو وسط حشود التتار..

المهم أنك مثلي.. تعشق السينما.. وكل عوالم الفنون.. وهذا جواز سفرك إلى عالمي الخاص..

الآن..

انطفأت الأنوار.. وبدأ الستار ينزاح تدريجيًا..

وسطع ضوء آلة العرض في عقلك.

مع تحياتي.

شـــــادي

(وعلقت ع أطراف الوادي..

شادي ركض يتفرج..

خفت وصرت أندهله..

وينك رايح يا شادي..

أندهله ما يسمعني..

ويبعد يبعد بالوادي..

ومن يومتها ماعدت شفته..

ضاع شادي).

كلمات ولحن: الأخوان رحباني

أغنية شادي من المسرحية الغنائية: يعيش يعيش ١٩٧٠

غناء: قيثارة الشرق وصوت السماء

فيروز.

..٢٠١٣/٨/١

إنه الوقت الذى أجلس فيه أمام شاشة جهازي العقيم لأكتب إليكم هذه الكلمات..

أحب دائمًا أن أبدأ بالتاريخ..

قد أكون متقمصًا لدور هيرودوت أبي التاريخ.. وأنا أؤرخ لكل عوالم الفنون..

كما أن الأمر يعطي أيضًا للقارئ إحساسًا بالحالة الزمنية التي تحيط بي.. لحظة كتابة هذه السطور..

القليل جدًا يعرف أن رواية دراكيولا كُتبت في عام ٢٠١٠، ولم تخرج للنور إلا فى بداية ٢٠١٣..

كانت مجرد فكرة مجنونة.. أن أسلك أنا الآخر طريق القلم والورق..

ولا أُنكر أنني كنت مرعوبًا بحق من طريقة تقبل العقول الأخرى لها..

ولكن يبدو أن شعار الجنون والغرائب أصبح الشعار الرسمي للحياة..

وهكذا تقبلتها باقي العقول بمنتهى السلاسة..

وبدأت أهدافي تجد صدىً رحبًا فى أعماق الآخرين..

ولأن كل شيء يحتاج للحافز.. وطالما وُجد هذا الحافز من خلالكم..

إذن..

فلنستعد للخطوة القادمة..

الخطوة الأكثر رعبًا من العمل الأول..

وعلى عقلي أن ينبش فى دهاليز الرعب ليُخرج لكم عملاً أكثر تألقًا..

فهكذا هي أعماقكم.. لا تشبع أبدًا وتحتاج إلى المزيد والمزيد..

الغريب أن القارئ يتعامل مع الكاتب على أنه آلة قادرة على إخراج الكلمة بمنتهى السهولة..

وكأن عقولنا لا تختلف عن تلك الآلة العظيمة.. الجبارة، التي اخترعها (سبعاوي) (فؤاد المهندس) في فيلم (عائلة زيزى)..

فسهل جدًا في أي وقت أن تُخرج الآلة (قماشًا)..

لكن مع الكاتب فالأمر مختلف، فقد يمكث شهورًا طويلة دون أن يخطّ حرفًا واحدًا..

عامةً لن أطيل عليكم..

فيكفي تلك المقدمة الشنيعة فى الرواية السابقة.. والتي جعلت الكثيرين يلقون بأنفسهم فى أقرب بركان ثائر.. هربًا من كل هذا الجنون.

الآن..

علينا أن نترك كل الماضي..

بكل تلك الأجواء المظلمة..

والتوابيت.. والقلاع الأسطورية.. والأنياب البارزة المتعطشة دومًا للدماء..

علينا أن نترك عالم الأساطير في عقولنا..

ونستعد للغوص فى غياهب.. ودهاليز عالم آخر..

عالم الشر والظلام..

*****

٢٠٠١، بدايات القرن الجديد..

لأننا عباقرة.. ولا يشق لنا غبار في التعليم.. فقد أنهينا أخيرًا دراسة كلية التجارة في ٥ سنوات فقط.. وهو إنجاز لم يحققه قبلنا بشر على شاكلتنا..

احتفلنا.. وكان احتفالنا جديرًا بكتب الأساطير الإغريقية.. تجرعنا الكثير من عصير القصب..

ثم المزيد..

والمزيد..

في النهاية بصقنا في وجوه بعضنا البعض واتجه كل منا إلى منزله..

ألف مليون لعنة على كل هذا الخواء الذي نحيا ونتعايش من خلاله.. الآن لا نفعل أي شيء سوى الانتظار.

انتظار ماذا؟

لا أعرف طبعًا.. فالجميع في هذه الحياة عليهم أن ينتظروا شيئًا ما.. أما نحن فقد خُلقنا لننتظر اللاشيء.

عن نفسي كنت أقضي كل هذا الكمّ المهول من ساعات الفراغ بين صفحات روايات قرأتها للمرة الألف.. الآخرون استمتعوا بالنوم كالدببة القطبية في بياتها الشتوي..

كان يومي يبدأ عصرًا بعد أن أصحو من سباتي الطويل.. ثم نتسكع كلنا ليلاً.. كالكلاب الضالة.

كعادتي في منزل جاري وصديقي (أحمد).. كنت أجلس في حجرته أراقبه بصمت.. وعيناي تنطقان بغلّ شنيع.. وأنا أراه يعافر ويقاتل باستماتة أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به، بعد أن تحولت نسخة الويندوز إلى خرقة بالية غير صالحة حتى كاستخدامها كآلة حاسبة.

في النهاية صحت بشراسة.

- يعني السهرة ضاعت علشان المخروب ده؟

- أنا بحاول أهو أستب النسخة الجديدة.. مش عارف مالها، بس معقدة ليه كده!

- فيها إنك غبي طبعًا.. وأنا أغبى منك علشان مش فاهم أي حاجة من اللي بتعملها يا بيه.

لم يرد.. وتركني أحرق في أعصابي.. لو استمررت على هذه الحالة ساعة أخرى سينفجر جسدي مخلفًا ضحايا وأشلاء تفوق ضحايا قنبلة هيروشيما.

بعد نصف ساعة وأنا جالس كتمثال بوذا.. وصل صديقنا (راشد).

اسمه راشد.. وهو ليس براشد.. إنه آخر إنسان في الكون تحاول أن تتواجد معه في مكان واحد بتلك اللهجة العربية الغريبة التي يتحدث بها.. لو كان هذا البغل ينهق لأصبح كلامه مفهومًا..

أما ما ينطق به هذا الكائن فهو قادر على جعل طه حسين والعقاد ينتحران بسيف ساموراي عن طيب خاطر.

صحيح في قرارة نفسي أعرف أنه ليس له دخل في تلك اللهجة الغريبة.. فأمه يمنية.. وأبوه مصري.. وقد وُلد في ليبيا وقضى بها وقتًا طويلاً، ثم انتقل مع أسرته إلى المغرب.. وفي النهاية جاء هنا ليبول لهجته الشنيعة الخليطة بين أربع لهجات في وجوهنا وأسماعنا.. بالإضافة لهذا فهو يمتلك فضولاً يتفوق على فضول (فضولي) المعروف في مجلة ماجد.. كانت طبيعة بداخله أن يدس أنفه في كل شيء في هذه الحياة.. وأنا لا أكره في حياتي شيئًا بقدر كراهيتي للمتطفلين.

كنت أناديه طوال الوقت بـ(كابتين سافو)..

الكلمة لا يوجد بها أي عيب أو أي خطأ مطبعي.. فنحن كنا ننطق كلمة (كابتين) بنفس الطريقة التي كان ينطقها الفنان (سلامة إلياس) في فيلم (سفاح النساء) ١٩٧٠.. حينما كان ضابطًا مكلفًا من الإنتربول الدولي بالقبض على سفاح خطير يخطف النساء الفاتنات ويحولهن إلى تماثيل من الشمع، بسبب عقدة شنيعة سببتها له زوجة والده القاسية.

وقد يتذكر الجميع طريقة نطق الفنان (سلامة إلياس) المضحكة حينما كان يتحدث اللغة العربية، وينطق اسمه وهو يمد حروف ومخارج الكلام..

لهذا أعتبر راشد نفسه نسخة مصغرة ساهمت الطبيعة في صنع شخصيته.. بل أكاد أجزم أنه امتداد طبيعي لشخصية الفيلم على أرض الواقع..

اقتحم مجلسنا الموقر وهو يقول بفخر مبتذل:

- إنه أنا!

لم يعبأ به أحد وتعاملنا معه على أنه هواء أو وهم غير مرئي.. في الحقيقة أعتبر أن منزل (أحمد).. شيء أشبه بالمطارات الدولية.. بل هو صالة ترانزيت لكل أفراد الشلة، بل وعابري السبيل.. وإن كنت أتخيل أنه سيأتي يوم سنجد أمامنا (حسن الهلالي) بشحمه ولحمه وهو يقول: أنا عابر سبيل.

بنظرة سريعة منه على وجهينا.. عرف أنني أمر بلحظة نفسية شنيعة.. لهذا تحاشاني.. التفت إلى أحمد وهو يشير إلى جهاز الكمبيوتر.

- إنه الجهازون.. يبدو أن به أعطال.

شعرت بضغطي يكاد ينفجر.. الله يخرب بيتك يا راشد، الكمبيوتر بقى جهازون! بيل جيتس لو كان يعرف إن هيجي يوم صرصار زيك كده

بقدرة قادر هيحول جهاز عظيم زي ده إلى جهازون.. أكيد كان نسف شركته ونفسه ولغى الاختراع ده من الأساس.

رد عليه أحمد وهو يحاول أن يكتم غيظه، بل يحاول أن يكتم أمنية غالية بداخله بأنه في يوم من الأيام سيدخل السجن بسبب قتله لهذا الراشد:

- يعني مثلا أنا قاعد أصلح فيه هواية! والنبي يا راشد اقعد جنب وائل واهدى كده.. محدش فايقلك الليلة دي خالص.

بعد مدة يبدو أن الجهاز بدأ يتعافى.. كيف علمت؟ طبعًا لم أفهم هذا.. ولكن نظرة واحدة في وجه أحمد الذي لانت ملامحه وبدأ يرتسم عليه ملامح السعادة.. لهذا أيقنت أن عملية إحياء الويندوز الجديدة قد أتت مفعولها..

أراح أحمد جسده في المقعد وترك جسده يسترخي.. وهو يرى جهازه يضع اللمسات النهائية.. ليلتفت لي وهو يقول باهتمام

- صحيح أنا عاوزك في موضوع مهم قوي.

- موضوع إيه؟

هتف راشد بدهشة:

- ولكن لماذا تريدون فقط وائل؟ أنا كثيرًا قد أقدم لكم أي مساعدات ومستعد لهذا في أي توقيتات.

ضحك أحمد وهو يرد عليه:

- باختصار.. علشان وائل مش غبي.. فهمت؟

صمت راشد يحاول أن يجد العلاقة بين الغباء وبين رد أحمد وطلبه هو شخصيًا للمساعدة.

أعدت سؤالي مرة أخرى:

- مقولتليش موضوع إيه يا أحمد؟

- ده مش بخصوصي أنا.. ده بخصوص شادي.

شادي.. ابن خالة أحمد.. ذلك الطفل المشاكس.. الذي لم يتعدَ عشرة أعوم.. والذي خُلق فقط في الحياة من أجل هدف واحد لا ثاني له.. أن يُحوّل حياة كل العائلة والبشرية إلى جحيم دائم.. في قرارة نفسي أعترف أنني فكرت في إحدى المرات أن أنسفه نسفًا.. ولكن أمنيتي باءت بالفشل لسبب بسيط، وهو أنني لم أعرف على وجه التحديد من أين يأتون بالمتفجرات.

قلت بلهجة متنمرة:

- ماله شادي؟! ما انت عارف إني مش بطيقه ولا بطيق أي طفل أصلاً!

- شادي تعبان يا وائل بقاله أسبوعين.. تعبان ومحدش عارف عنده إيه بالظبط!

- تعبان! هي الشياطين بتتعب يا ابني.. شادي ده شيطان متنكر في جسد طفل.

كان راشد يتابع حديثنا بعينين شرهتين للفضول.. أما أحمد فقد ارتسم حزن حقيقي على وجهه وهي من المرات النادرة التي يقتحم فيها الحزن شلتنا.. صحيح نحن شلة أصدقاء تستحق الرجم والإعدام بالمقصلة.. ولكن هذه النظرة لم تتواجد في حياتنا إلا مرات شبه نادرة.. لهذا فأن أرى تلك النظرة فعليًا الآن لهو أمر جلل يستحق مني كل انتباه، وأن أتوقف عن التهكم والسخرية، لهذا قلت بقلق حقيقي:

- انت قلقتني يا ابني.. ماله الواد؟

- مش عارف بجد، والله ما أعرف ولا حد يعرف!!

- أمال عرفت منين إنه تعبان؟

- أصل الواد متغير قوي.. ما انت عارفه شقي ومستحيل يقعد في مكان واحد للحظة واحدة، حتى وهو نايم تلاقيه بيزحف

على الأرض زي الـدودة.. مـن أسـبوعين أمـه لاحظـت إن الـواد هـادي قـوي.. ودايمًـا سـاكت وسـرحان.. أبـوه كمـان لاحـظ. افتكروا الواد عامل مصيبة وخايف يتكلم.

- وهـو النـوع ده بيخـاف أصـلاً! أراهانـك إحنـا لـو بعتنـا شـادي لعصـر الديناصـورات.. هي بنفسـها هتهـرب مـن وشـه وتسـيبله الأرض كلها.

قال أحمد بنفاد صبر:

- المهـم يعـني، طلـع مفـيش مصـيبة ولا حاجـة.. خـدوه عنـد الـدكاترة.. عملـوا تحاليـل الـدنيا والآخـرة.. ملقـوش حاجـة.. ودا مجننهم قـوي، في النهايـة الـدكاترة قالـت احتمـال تكـون حالـة نفسـية.. أبـوه طبعًـا بيشـد في شـعره ومـش مقتنـع بكـلام الدكاترة.

- ما يمكن الواد عِقِل.

صرخ أحمد في وجهي باستنكار:

- عِقِل إيه بس! هو فيه حد بيعقل بالشكل ده والسرعة دي؟

- بصـراحة يـا أحمـد انتـوا عيلـة غريبـة قـوي.. هـو صـحيح الـواد شـادي قمـور ووسـيم بشـكل مسـتفز.. وعنـده جاذبيـة كـأي مصاص دماء محترف.. بس مش فاهم، الأول العيلة كلها كانت

كرهاه علشان شقاوته ومشاكله والمصايب والكوارث اللي بيعملها.. مش فاكر لما أمه دخلت المطبخ بالصدفة لقته بيلعب في خرطوم الأنبوبة عاوز يفكه.. علشان عاوز يعمل قاذف لهب! يا نهار أزرق، قاذف لهب بأنبوبة البوتجاز! ده حتى أرنولد في فيلم المدمر بأجزائه مجروش إنه يعمل الفكرة المجنونة دي.. مش فاكر ساعتها خالتك صوتت ولطمت والبشرية اتلموا.. يقوم لما الواد يعقل ويبقى هادي تقلقوا بالشكل ده!

- أيوة علشان هدوءه حصل مرة واحدة مش تدريجي.. مرة واحدة لقينا الواد ساكت وهادي ومسالم ومش بيكلم حد.. نفسره بإيه ده؟!

قلت بنفاد صبر:

- طب والمطلوب مني إيه بالظبط؟

نظر أحمد إلى راشد نظرة جانبية ليقول في هدوء وهو يزن كلماته:

- أبوه وأمه عاوزينك تاخد شادي للشيخ عبد القوي.

صُعقت من طلبه وظللت أحدق فيه كالجثة.. لأقول له بصوت مبحوح:

- الشيخ عبد القوي؟! انتوا شاكين في حاجة ولا إيه؟

اقتحم راشد المناقشة كالرصاصة وهو يقول بفضوله الممل:

- إذن ذلك من هو إنه الشيخون عبد القوي؟

رديت عليه باقتضاب:

- ده راجل.

هزّ راشد رأسه متفهمًا وقد عرف من إجابتي البليغة الخارقة أننا غير مستعدين لنشرح له في هذه اللحظة تاريخ هذا الرجل.. فبلع غيظه وظلّ يتابعنا بعينين كالرادار.. أما أنا فنظرت إلى أحمد وأنا أسأله محاولاً الفهم:

- انت بتقول أبوه وأمه عاوزني أنا أخده للشيخ عبد القوي؟ طب محدش فيهم خده ليه؟ واشمعنى أنا يعني؟

- مهو أنا برضه استغربت زيك كده.. قالولي هما عارفين قد ايه الشيخ بيحبك وبيثق فيك.. كمان هما مش عاوزين يكونوا موجودين في لحظة خاصة زي دي.. ممكن يكون الواد شادي مش عاوز يتكلم أو يحكي عن أي حاجة خاصة في وجودهم.. عاوزين يخلوا ابنهم على راحته قوي.

بعد لحظات صمت وأنا أدير الموضوع في عقلي.. شعرت أنني أنزلق في منحدر بدون أدنى إرادة مني.. أن أكون مسؤولاً عن طفل، وليس أي طفل، إنه شادي حفيد الشياطين بنفسها.. في مشكلة مثل هذه: لهو

أمر يفوق عقلي على الاستيعاب.. بصراحة أعترف أنني آخر كائن يصلح ليكون مسؤولاً عن نملة.

في النهاية قلت له بلهجة حائرة:

- طب ماتيجي معايا يا أحمد.. أنا مش هينفع أكون لوحدي مع الواد ده والشيخ عبد القوي.. أهو على الأقل أحس إن فيه حد في ضهري.

- خلاص هاجي معاك طبعًا.. المهم انت بس خد ميعاد معاه.. وحاول تحكيله الموضوع بالتفصيل علشان يبقى عنده خلفية.

ابتسم راشد ابتسامة بلهاء وهو يقول بحماس:

- آه، إنه أريد بنفسي أن أكون معكم جميعون، وأشاهد ما الذي سيفعله الشيخون عبد القوي!

نظرت إليه بغباء أنا الآخر وتمنيت في قرارة نفسي أن تُسند لي الحكومة المصرية مهمة تقطيع هذا المعتوه إلى شرائح..

لم أرد عليه، التزمت الصمت بمعجزة.. نظرت إلى ساعتي ذات العقارب المشلولة.. وجدتها الـ ١٠ مساءً.. ومع خفاش ليلي محترف سهر مثلي ما زال الوقت مبكرًا للغاية.. قررت أن أكسب الوقت وأذهب للشيخ عبد القوي الآن.

نظرة واحدة لعيني من أحمد.. عرف بقراري.. لهذا أنا أحترمه.. هناك سيال روحاني خفي يربطنا سويًا.. يجعلنا ثنائيًا متفاهمًا بدون أن ننطق حرفًا واحدًا.

لهذا غادرت المجلس الموقر بدون أن أودع أحدًا وتركت أحمد بمفرده مع راشد، أدعو الله فقط ألا تكون مانشيتات الصحف غدًا عن حادثة.. صديقان أحدهما يسلخ الآخر بسبب فضوله وغبائه.

ومع خطواتي السريعة عرفت أنني وضعت قدمي بمحض إرادتي

في هذه التجربة الشنيعة.

*****

قريبًا من منزل أحمد وقفت كالصنم أنتظر علبة التونة التي ستحملني حملاً كالنعاج إلى منزل الشيخ عبد القوي.. كنت أرجع بذاكرتي لعدة أعوام مضت.. حينما وضع القدر في طريقي الشيخ عبد القوي لأول مرة في حياتي.

دائمًا طوال حياتي كنت لا أعترف بوجود مثل هذه النوعية من الشيوخ، وكنت أثق ثقة عمياء في أنهم مجرد حفنة من النصابين والبلهاء.. إلى أن جاء اليوم الذي وقف فيه الشيخ عبد القوي على صخرة حياتي ونسف بعلمه هذه النظرة الخاطئة في أعماقي نسفًا.

بغض النظر عن كيفية معرفتي به.. والدخول في تفاصيل كثيرة للغاية سأحكيها يومًا ما.. إلا أن نتاج هذه التجربة قد جعل هناك علاقة صداقة غريبة تجمع بيننا..

كان دائمًا يقول لي:

أنت تمتلك روحًا حساسة قادرة على الاتصال بسهولة بالعوالم الأخرى غير المرئية!!

وبصراحة أعترف أن وقع الجملة كان غريبًا على أعماقي.. في البداية شعرت برجفة وأنا أقول له بدهشة:

- العوالم غير المرئية؟!

- أيوة يا ابني.. مالك مخضوض ليه كده؟ عمرك ما سمعت عن عالم الجن.. انت فاكر إن أي حد يقدر يتصل بالعالم ده؟ ده عالم له قوانينه.. وطرقه.. وأسراره.. ناس كتير حاولت وفشلت.

- طيب يا شيخ انت عرفت منين إني سهل أقدر أتصل بالعالم ده؟ أنا عمري ما حسيت الإحساس ده أبدًا.

- يا وائل أنا ماشي في الطريق ده بقالي أكتر من ٥٠ سنة، من وأنا طفل صغير، من قبل حتى ما أتعلم وأروح مدرسة.. كنت بقعد جنب أبويا الله يرحمه وأشوفه وهو بيشتغل.. هو اللي عرفني كل حاجة.. شوفت العجب على أيديه.. وبقى عندي من

الخبرة اللي أقدر أعرف بيها اللي قدامي ده إيه ومين وينفع ولا مينفعش.

كنت أنظر إليه بعينين مليئتين بالانفعالات.. أحاول أن أستوعب كل ما يقوله، ولكني فشلت.. شعرت أن عقلي مزدحم للغاية بمليون سؤال نطق لساني أقربهم إليه:

- هو أنا لو حبيت أكون زيك يا شيخنا.. المفروض أعمل إيه؟

- الموضوع مش سهل ومحتاج صبر.. وتبقى عارف كويس إن فيه حاجات كتير في حياتك هتتنازل عنها.. كل حاجة ولها ثمن، الحياة دي مفيهاش شيء مجانًا أبدًا..

صدمني كلامه، في الحقيقة شعرت أن الأمر ليس سهلاً كما تخيلته.. لأقول له بصوت مرتعش:

- حاجات زي إيه اللي هتنازل عنها؟

- يعني حياة الشباب اللي انت عايشها.. راحة البال.. وقتك مش هيبقى ملكك أبدًا.. إنما هيبقى ملك الناس اللي هتساعدهم.. يعني في أي وقت لما الناس تحتاجلك متتأخرش عنهم.. انت هتبقى شايل أمانة ولازم تبقى قد المسؤولية دي.

سألته باهتمام:

- طب وانت حياتك كده يا شيخ؟

- طبعًا يا ابني، وأكتر من كده بكتير.. يكفي أقولك إن فيه أيام كتير بتعدي عليا مش بنام فيها غير ساعتين بس في اليوم.. وزي ما انت شايف البيت عندي دايمًا فيه ناس من كل مكان.. جايين بكل مشاكلهم وبلاويهم ومصايبهم بيرموها عندي ويروحوا بيوتهم تاني.. ده غير طبعًا الناس اللي مشاكلهم ملعونة وبروح ليهم أنا بنفسي.

صمت لحظة يسترد فيها أنفاسه، ثم نظر في عينيّ وهو يقول بجدية:

- ها تقدر تعيش الحياة دي وتساعد الناس على حساب راحتك وحياتك الشخصية؟

- بصراحة لأ معرفش أعيش الحياة دي أصلاً.. وبعدين أنا كنت فاكر إن اللي بيمشي في الطريق ده حياته بتبقى أكتر راحة وأي حاجة بيتمناها بيحققها.

- ده مين اللي ضحك عليك وقالك كده؟! سيبك من كلام الأفلام الغبية.. اللي عملها ناس متفهمش أي حاجة عن أي حاجة في موضوعنا ده.

لم أعلق على جملته.. كل ما فعلته أنني كنت أجوب ببصري في مكتبته الهائلة.. محاولاً أن أفهم أي شيء من عناوين الكتب المتراصة أمامي..

في قرارة نفسه عرف أن الموضوع ثقيل على أعصابي ومفاجئ لعقلي.. فسكت هو الآخر محاولاً أن يعطيني فرصة لكي تبتلع أعماقي وتهضم ما قاله.. لأقول له باهتمام حقيقي:

- إيه الكتب دي يا شيخنا؟

أخذني من يدي وهو يخطو بي أول خطوة فعلية في عالمه السري.. وهو يقول مواجهًا كتبه:

- دي بقى زي ما بيقولوا جواز سفرك للعالم الآخر.. كل الكتب دي ورثتها عن والدي.. وهو ورثها عن والده وهكذا.

- يعني الكتب دي لو قريتها كلها هبقى زيك؟

- لا طبعًا.. علشان تبقى زيي لأزم أديلك السر والتوكيل.

- سر وتوكيل إيه؟! بجد أنا مش فاهم حاجة.

لم يجاوب على استفساري، بل مد يده وتناول كتابًا عشوائيًا بدون اختيار مسبق.. كان ورقه مصفرًا تفوح منه رائحة عبق سحري غريب.. عبق الماضي والمجهول.. شعرت في أعماقي أن تلك الرائحة تنسل بداخلي بمنتهى السلاسة وأنه لا توجد بداخلي أدنى إرادة لمقاومتها.. شعرت في لحظة أن تك الرائحة قد خدرتني مغناطيسيًا.. هناك قوة خفية ما مجهولة تسكن وتعيش في تلك الصفحات وبين الأسطر والحروف.

قلت بصوت مرتعش من تأثير الرائحة المجهولة، وعيني تلتهم اسم الكتاب:

- (سحر الكهان في حضور الجان).. اسم الكتاب غريب قوي يا شيخنا!

- دي النسخة الأصلية من الكتاب.. كل الكتب اللي عندي نسخها أصلية.. وفيه كتب كمان مكتوبة بخط اليد، ده غير المخطوطات.

- النسخة الأصلية؟! هو فيه نسخ مش أصلية؟!

- طبعًا. إحنا المجال بتاعنا زيه زي أي مجال تاني في الدنيا.. فيه نفوس شريرة مريضة كل همها إنها تزور وتغير في الرسومات والطلاسم والأرقام.. بس تعرف؟ في أحيان كتير بقول لنفسي يمكن التزوير ده يكون في مصلحة البشرية نفسها.. فيه حاجات الجهل بيها نعمة.. ومينفعش تبق بسهولة كده في إيد الهواة، وإلا هتبقى كارثة عليهم وعلى أهاليهم.

أخذت أجوب بعينيَ في أسماء الكتب والمخطوطات..

(مخطوط آصف بن براخيا – سحر هاروت وماروت – سفر آدم جفر آدم – مخطوط أم قيداش

مخطوط شمس الشموس – مخطوط الهياكل السبعة – مدينة الطلاسم – قاهر الأرواح

كشف أسرار الغيوب – أحكام الحكيم في علم التنجيم – فتح الرحمن فيما يحتاج إليه الإنسان

الزيارجة الهندسية في كشف الأسرار الخفية – اللؤلؤ والمرجان في تسخير ملوك الجان

الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجان – النور الرباني والعالم الروحاني – السحر الأعظم

إغاثة المظلوم في كشف أسرار العلوم – الخاتم السليماني والعلم الروحاني – كتاب شرح العهد القديم

تسخير الشياطين في وصال العاشقين - مرشد الإنسان إلى رؤية الجان – البداية والنهاية

السر المكشوف في طب الحروف – سحر بارانوخ – منبع أصول الرمل –

مدهش الألباب في أسرار الحروف وعجائب الحساب – سر الأسرار في علوم الأخيار

مفاتح الكنوز في حل الطلاسم والحروف - الجفر الجامع والنور اللامع

الدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم - سحر الأنوار وجامع الأسرار

الكبريت الأحمر والسر الأفخر والدر الجوهر)

شعرت بدوار شنيع وعقلي يلتهم هذه العناوين للكتب والمخطوطات.. كان يمتلك أضعاف أضعاف ما دخل عقلي.. وفي أعماقي أصابتني الدهشة، كيف لعقل بشري واحد أن يلتهم كل هذه الكتب؟ لهذا لم يخطىء الشيخ حينما قال إنه يمشي في هذا الطريق منذ نحو ٥٠ عامًا.. تذكرت شيئًا ما وقلت له مستفسرًا:

- هو إيه حكاية كتاب (شمس المعارف الكبرى)؟

- حكايته مش مهم تعرفها.. وعلى فكرة الكتاب ده بالنسبة للكتب الموجودة عندي وشوفتها بالظبط زي كتاب أولى ابتدائي بجانب كتب الدكتوراه.. هو صحيح كتاب مشهور قوي.. وناس كتير حاولت تجرب اللي فيه.. بس أكيد فشلوا لأن نسخة الكتاب الموجودة حاليًا محرفة جدًا.. وغير كده مش هيعرفوا يعملوا أي حاجة طالما مش معاهم السر والتوكيل.. يعني الكتاب اعتبره مجرد شوية حبر على ورق.

صمت لحظة ثم وضع يده على كتفي وهو يقول بلهجة آمرة:

- اختار أي كتاب وافتحه!

- أي كتاب؟!

- آه أي كتاب، ومن غير ما تفكر.

شعرت بالحيرة الشديدة.. وأنا واقف ويدي تجوب على كل الكتب بسرعة وتردد.. شعرت أن يدي تتوقف عند كتاب بعينه.. أختاره بدون إرادة مني.. ببطء سحبته إلى الخارج.. كان ثقيلاً.. بنظرة سريعة من عين الشيخ إلى الكتاب قال لي باهتمام شديد:

- (السحر القديم في استحضار إبليس الرجيم).. اشمعنى الكتاب ده بالذات؟

- والله يا شيخ ما أعرف.. كل الحكاية إن أول ما إيديا لمسته.. حسيت إنه بقى جزء مني.. جوايا كانت دقات قلبي سريعة.. مش عارف بجد زي ما يكون فيه حاجة بتمشي جوايا.. مش عارف أشرح بجد.. بس فيه حاجة مهمة، الكتاب ده لمسها عندي قوي.

كنت أتحدث وجسدي يرتجف من الانفعال.. أمسك يدي محاولاً بث بعض الطمأنينة..

- مش بقولك انت روحك حساسة قوي.. تعرف أنا طول حياتي مشوفتش حد الكتاب ده أثر فيه من مجرد لمسة غير خمس أشخاص، انت واحد منهم.

أعطاني الكتاب مرة أخرى وهو يأمرني:

- افتح الكتاب.

وأنا أقلب في صفحاته.. شعرت أن قلبي يكاد يخرج من جسدي.. رائحة الكتاب، أكيد هذه رائحة جهنم ذاتها.. صحيح أنني لا أعرف كيف تبدو رائحتها، ولكنها أكيد لن تختلف كثيرًا عن هذه الرائحة الشنيعة.. مع اللون الأسود للورق، والذي يبدو أنه صُنع من تراب القبور.. والكلمات التي كُتبت بلون دم.. كل هذا صنع مزيجًا مرعبًا.. جعلني أمد يدي بالكتاب للشيخ وانا أقول له بخوف:

- إيه ده يا شيخنا؟ الكتاب عامل كده ليه؟

أخذ الكتاب من يدي وأعاده إلى مكانه وهو يقول:

- ماهو علشان كده بيسموه أبو كتب السحر.. ومعظم الكتب خرجت منه.. ده كتاب خطير وشنيع!

تذكرت شيئًا فسألت الشيخ مستفسرًا:

- انت كنت تقصد إيه بحكاية السر والتوكيل؟

على تلك الأريكة المريحة جلسنا، فقال الشيخ مستلمًا دفة الحديث:

- علشان تدخل العالم بتاعنا لازم نهيء جسمك ونبنيه من أول وجديد..

- وده بيحصل ازاي يا شيخنا؟

بابتسامة الحكيم العالم ببواطن الأمور قال:

- انت مش لسه من شوية رافض إنك تمشي في الطريق ده؟ والقاعدة الذهبية بتقول.. العلم على قدر المعرفة.. وفيه حاجات كتير الجهل بيها نعمة.. أو مصلحة ليك.

- معاك حق يا شيخنا.. المعرفة عبء.. خليني واقف على شاطىء البحر.. أتفرج عليه من بعيد لبعيد.. ووقت ما أكون جاهز إني أنزل أغوص فيه.. أكيد هجيلك علشان أمشي في محرابك.. وأعرف أسرارك..

*****

تحولت ذكرياتي في لحظة إلى زئبق متطاير عن طريق ذلك الصبي الذي اقتحم موقف السيارات وهو ينادي على الركاب بصوت أشبه بالعرسة.. لا أفهم على وجه الحقيقة من هو ذلك العبقري الذي اختاره ليقوم بمهمة تحتاج إلى عنتر بن شداد بصوته الجهوري..

المهم كعادتي اتخذت آخر مقعد في علبة التونة، على الرغم من أن السيارة كانت فارغة ومليئة بالأشباح، إلا أنني جلست كالجثة في انتظار أن تغادر الأشباح لتمتلىء بأكوام اللحم مختلفة الرائحة والسمك والقوام والملمس..

هي عادة شنيعة أن أكون دائمًا في آخر مقعد.. أحب أن أرى جميع الركاب أمام عينيّ.. أن أكون جالسًا وهناك شيء ما خفي يحدث خلف ظهري لهو شعور شنيع لا أتحمله.. في الحقيقة لا أعرف هل هناك مرض نفسي مسجل في مراجع علم النفس يصف حالتي الغريبة أم لا؟

كان سائق السيارة يمارس هوايته مع المنادي في سبه بأقذع الألفاظ، لا لشيء سوى لفرض سيطرته، إنه قانون عفاريت الإسفلت، كلما كان صوتك جهوريًا.. وتمتلك قاموس شتائم يفوق مكتبة أكسفورد.. كلما كان لك هيبة ويخشاك الجميع..

نظرت في ساعتي في ملل.. وأنا أنتظر أن تمتلىء السيارة بأي كائنات حتى لو كانت من الزومبي..

بنظرة سريعة من السائق على وجهي عرف أنني لا أُطيق الانتظار.. لهذا قام بألعن خدمة قدمها لي.. أن يُشغل الكاسيت المتهالك على أغنيات لعلها تخفف من خواء السيارة وتصطاد الزبائن..

"يا بحر الإنسانية.. فيك العجب ألوان

فيك اللي صافي النية.. واللي مالوش أمان"

كان صوت حسن الأسمر يخترق عقلي وأذني كدويّ المدافع.. أنا أعرف هذه الأغنية جيدًا، استمعت إليها عن طريق ورشة النجارة أسفل المنزل طوال فترة دراستي في المرحلة الابتدائية.. عام ١٩٨٤..

يبدو أن السائق معجب بشريط (توهان) لحسن الأسمر.. ويذكره هو الآخر بذكريات سوداء مثلي..

كنت في هذه اللحظة مشغولاً مع عقلي، هل أطلب من السائق أن يخفض الصوت.. أم أبلع لساني في حلقي وأخرس؟

مع سائق كهذا لا أتوقع رد فعله، قد يعتبر الأمر تدخلاً صارخًا في إدارته لشؤون سيارته.. صحيح هي مجرد علبة تونة وُلدت على أربعة عجلات، لكنها في نظره سيارته وعالمه الخاص.. وتفوق بأهميتها من وجهة نظره أي سيارة فيراري.

بصراحة كنت خائفًا أن يقوم بربطي في مؤخرة السيارة ويمثل معي آخر لقطة من فيلم (الأرض)، في أعماقي قررت أنني لن أكون (محمود المليجى) أبدًا.. وسأحترم نفسي..

هذا بالإضافة إلى أنني لن أسمح مطلقًا لكل الحشود الفضولية في الشارع أن يتغنوا بأغنية:

الأرض لو عطشانة.. نرويها بدمانا

إذن الحكمة تقول أن أبلع اعتراضي على أغنية (يا بحر الإنسانية).. لحسن الأسمر.

كانت السيارة قد بدأت تمتلئ إلى حد ما بكائنات من كوكب الأرض.

الى أن اخترق شيء ما مجال بصري.. جعل كل خلية في محيط أعماقي ترتعش من الانبهار.

بجانبي جلست فتاة باهرة الحسن.. تناقض جمالها بشدة مع السيارة المتهالكة، والتي أشعر أنها ستحملنا جميعًا في أي لحظة إلى غياهب القبر.. في عقلي تأكدت أن هذه الفتاة تُطبق قوانين أمها بصرامة شديدة..

متركبيش تاكسي لوحدك

خلي بالك أحسن حد يخطفك

دايمًا اركبي المواصلات العامة

خليكي وسط الناس

عن نفسي لو كان لي ابنة مثل فينوس التي تجلس بجاني: لقمت باستئجار سوبر مان نفسه ليقوم بحملها لأي مكان بعيد عن كل الحمقى في كوكب الأرض.

كانت رقيقة الجسد.. أنيقة.. فاتنة.. رائحة جسدها جديرة بأن تكون الرائحة الرسمية لمهرجان الأنوثة على مستوى المجرة.. يبدو أن اليوم هو يوم حظي العالمي.. هذا إذا استثنينا صديقي راشد من اليوم.

جالسة كحمل وديع تحتضن حقيبتها الخاصة.. لا تشعر بالطاقة المنتعشة التي تخرج من الذئب البشري بجانبها.. والذي يتمنى أن يتحول إلى هواء يخترق تلافيف مخها ليعرف كل همسة تدور في كيانها الأسطوري.

كان ينطبق عليها كلمات تتر كارتون سنو وايت، الذي عُرض في التليفزيون المصري في أوائل الثمانينات:

بيضاء كبياض الثلج

يتغنى الورد بخديها

والقلب النابض بالأُنس

يمنحها لطفًا يُحييها

بنظرة سريعة من عيني المتفحصة وجدت أن حقيبتها كبيرة نسبيًا.. بل هي ضخمة إذا صح هذا التعبير.. وكأنها وضعت بداخلها كل غرفة نومها بالكامل.. تمنيت أن أمتلك أشعة إكس بنظري.. لأخترق هذه الحقيبة وأكتشف أسرارها.. أعترف أنني كنت واقعًا تحت استحواذها كأنثى في هذه اللحظة..

تحركت عربة أمنحتب بنا جميعًا.. بعد لحظات فتحت حقيبتها وبيدها الرائعة.. أخذت تبحث عن شيء ما لمدة طويلة.. اللعنة.. كنت أشعر أن أعصابي تحترق وأنا أحاول أن أكتشف ما هو الشيء المفقود منها في دولابها المحمول هذا.

أصوات غريبة تخترق مجالي السمعي في حقيبتها.. هي ذات الأصوات المنبعثة من محل حديد وخردة غير منظم.. أخذت الأفكار المريضة تنهال على عقلي كالشلال.

الله يخرب بيتك، انتي فاتحة مصنع حديد وصلب متنقل؟! تمنيت أن أسالها كيف تتحرك طوال الوقت بكل هذه الأشياء.. حتى المهاجرون أو المهجّرون لا يحملون كل هذا الكمّ في حقائبهم.

هذه حقيبة نسائية تحتاج إلى ملابس غواص وأنبوبة أكسجين وبوصلة وخريطة ثم أقفز فيها.. ولو بحثت فيها بضمير سأخرج منها مدفع بازوكا..

ترحمت في سري على أيام العصر الكلاسيكي في الخمسينات.. حينما كنت أرى فاتن حمامة وهي تحمل حقيبتها الأنثوية.. رقيقة.. بسيطة.. صغيرة.. بالكاد تسع أموالها.

لكن مع هذه الفتاة بجانبي الوضع مختلف.. بين يديها توجد خزنة البنك المركزي نفسه.

لم يكن هناك حوار بيني وبينها ولو من حرف واحد، استمتعت فقط بوجودها في محيط عالمي الخاص..

في النهاية وصلت إلى منزل الشيخ عبد القوي لأغادر علبة السردين التي تحوي لؤلؤة بطريق الخطأ.. وأنا أحمل في رئتي مخزونًا يكفيني لعدة شهور من رائحة هذه الأنثى..

لتنطلق السيارة وصوت صدى (حسن الأسمر).. يكمل أغنياته وهو يشدو:

"تمثلية.. تمثلية.. الحب عندك عندك تمثيلية"

كانت المنطقة هادئة للغاية.. شبه خالية من أي كائنات حية أو طفيلية.. لا يوجد هنا سوى بضعة منازل متناثرة..

مع رجل مثل الشيخ عبد القوي وطقوسه وحياته الشنيعة يجب أن يمتلك منزلاً خاصًا.. هذه النوعية من الرجال لن تتحمل المتطفلين من الجيران لو كان يسكن في شقة عادية..

أمام الباب الداخلي فتحت لي زوجته..

بصراحة على الرغم من حبي واحترامي للشيخ عبد القوي، إلا أنني أعترف أنني أخاف زوجته.. تمتلك نفس نظرة العين الشنيعة للممثلة (نجمة إبراهيم) في دور (ريا) من فيلم (ريا وسكينة).. إخراج (صلاح أبو سيف) ١٩٥٣.. بعينها اليسرى النائمة المتهدلة الجفن.. اللعنة، إنها تمتلك كل ملامح وجهها.. بنظرة سريعة خاطفة وجدت أنها مازالت ترتدي نفس الجوارب السوداء السميكة، والتي كانت ترتديها الممثلة (ملك الجمل) في دور (حكمت).. فيلم (الشموع السوداء) إخراج (عز الدين ذو الفقار) ١٩٦٢.

اللعنة على هذه المرأة.. مزيج نادر مخيف من ريا وحكمت.. إنها قادرة على إخراج قلبي من جسدي الآن بمنتهى السلاسة والتهامه، دون أن أجرؤ حتى على مقاومتها.. نظرت إلى يدها فوجدتها لا تحمل أي فوطة مبللة بالمياه لكي تكتم أنفاسي بما أنها تحمل جينات ريا نفسها.. أنا أعرف أن عقلي في هذه اللحظة يستدعي كل هلاوس السينما والرعب، لهذا تحاشيت النظر في عينها المغناطيسيتين وأنا أقول لها بصوت مرتعش:

- هو الشيخ موجود؟

لم ترد بحرف واحد كعادتها.. كل ما فعلته أنها هزّت رأسها علامة الإيجاب وأفسحت لي الطريق لأدخل.. ولأنه يوم حظي السعيد كان المنزل خاليًا من مريدي الشيخ.. وكانت هذه فرصة ذهبية لأتحدث مع

الشيخ بمنتهى الحرية، فهي من المرات النادرة التي يمتلك فيها متسعًا من الوقت.

في حجرته كان جالسًا.. يطالع كتابًا ما.. بتركيز شديد.. في أعماقي أحترم هذا الرجل فعلاً.. الرجل الذي يستغل كل دقيقة في حياته لينهل من أي علم، حتى لو كان علمًا خطيرًا مثل هذا.. لهو رجل يستحق كل احترام.. تمنيت لو أمتلك القدرة لألتهم عقله بكل ما يحويه من علم وتجارب وخبرات.

بعد طقوس الترحيب المعتادة.. سأل عن أحوالي.. تحدثت معه وكأنني أتحدث مع صديق حقيقي.. فقط هو يختلف عن كل المعاتيه في حياتي بأنه يمتلك الحكمة، وهذا شيء أسطوري في هذا الزمن.

ولأنني اعرف قيمة الوقت معه.. حكيت له كل شيء عن شادي، بدأ من لحظة ميلاده حتى الآن.. لم يقاطعني طوال حديثي سوى بالاستفسار عن نقاط معينة قد أكون أغفلتها في حديثي.

بعد أن توقف لساني عن الحركة المجنونة في فمي.. وهدأ إفراز لعابي.. أخرج الشيخ عبد القوي رزمة ورق أبيض من مكتبه. أمسك قلمه السميك الخاص.. وبدأ يكتب اسم شادي وتاريخ ميلاده ثم اسم الأم والأب.. بحروف متفرقة غير مترابطة..

من خبرتي معه عرفت أنه يكتب كل شيء بالحبر الروحاني الأحمر.. بتلك الرائحة المميزة النفاذة التي ما إن تتسلسل إلى أعماقك حتى تشعر براحة طبيعية..

لم يكن حبرًا عاديًا، بل كان مزيجًا مصنوعًا بدقة من

المسك والزعفران وماء الورد

لهذا عليك أن تتخيل كيف كانت رائحته.

أثناء عمله أمامي لم أساله أو أقاطعه.. وأنا أرى يده تتحرك بسرعة وثقة وخبرة، وهو يكتب بأسلوب محترف متمكن باللغة السيريانية، تلك اللغة التي حاولت كثيرًا أن أفهم منها حرفًا واحدًا ولكني فشلت.. لسبب بسيط وهو أنه لم يعطني التوكيل والسر لأحمل منه كل هذا العلم.

كان يمارس طقوسه التي أحفظها عن ظهر قلب..

في البداية يصرف عمّار المكان.. ثم يكتب كل شيء بالحبر الروحاني.. بعد ذلك يهمس ببضع كلمات لا أسمع منها حرفًا واحدًا.. طبعًا كانت هذه هي الكلمات السرية التي يستدعي بها خدّامه من الجان..

وهنا لا ينطق الشيخ بحرف واحد.. بل يكتب كل شيء بالسيرانية أمامه على الورق الأبيض.. ويرد عليه الخادم بصوت لا يسمعه إلا الشيخ نفسه..

في النهاية هزّ الشيخ رأسه متفهمًا كل ما يقال له على الورق.. ليرفع رأسه لي ببطء وهو يقول بلهجة جمّدت الدم في عروقي:

- الواد ده مسحور.. بعمل سفلي.. ولازم يجيلي.

ضاااع شاااادي

وجدت صوت فيروز يتردد بتلك الجملة في أعماقي بدون أدنى إرادة مني.. شعرت أن الأرض تميد بي وأنا أتخيل جسد هذا الطفل مرتعًا يعيش فيه شيء ما مجهول.. شيء شرير.. فقلت بصوت مبحوح:

- مسحور؟! يا نهار اسود يا شيخ.. وكمان عمل سفلي؟ يعني الواد ضاع مننا ولا إيه؟

- هو هيحتاج مني شغل كبير.. بس الواد متدمر من جواه جامد.

- وده حصله ازاي؟

أخذ نفسًا عميقًا وهو يقول:

- طبعًا هو ملوش ذنب في أي حاجة.. كل الحكاية إن فيه جارة له شربته عصير اتقرا عليه سحر سفلي.. علشان يدمر الواد.. يخليه في الحالة الغريبة دي.. في البداية ينعزل عنكم.. وواحدة واحدة يكره الحياة والأكل والشرب، ويفضل كده لحد ما جسمه نفسه يرفض حتى نفس الهواء.. بمعنى أدق،

السحر اللي جواه هو اللي بيتحكم فيه دلوقتي وبيخليه يرفض كل حاجة.

- طب معلش يا شيخنا، انت عرفت منين إن جارته هي اللي شربته العصير؟

ابتسم الشيخ وقال بلهجة معاتبة:

- انت نسيت دروسك البسيطة اللي اتعلمتها مني ولا إيه؟ الخادم بتاعي لما بيجيبلي الأخبار بتبقى عن طريق القرين نفسه.. قرين شادي.. وبيحكيلي أدق أدق تفاصيل حياته كلها.

- طب مين جارته دي اللي شربته الزفت ده؟

- مش مهم مين.. المهم الواد لازم يجيلي يوم الجمعة الجاية ضروري.. أي تأخير بيخلي مهمتي أنا صعبة ومستحيلة، وانت عارف إن أصعب أنواع السحر هو السحر اللي بيدخل الجسم عن طريق الأكل أو الشرب.. لأن الجسم كله بيكون تشبع بيه.

في قرارة نفسي كنت أعرف أنه من المستحيلات أن يخبرني أنا أو أي شخص من هي تلك الجارة.. وهو واحد من القوانين الصارمة لأي معالج روحاني.. هو فقط يعالج الحالة ثم يُحصّن جسدها ضد أي أعمال تخريب مستقبلية.. أسلوبه أشبه بأسلوب أجهزة المخابرات..

عمليات حربية طوال الوقت بين جانبي الخير والشر.. لكن لا أحد يعلم أطراف هذا الصراع أبدًا.

ودعته.. بعد أن أنهينا حديثنا.. مشددًا على إحضار شادي يوم الجمعة.

عدت مرة أخرى إلى منزل صديقي (أحمد).. لأبلغه بكل ما حدث.. طوال الطريق في رحلاتي المكوكية هذه.. كان صوت فيروز يتردد داخلي كقرع أجراس عنيفة:

ضاااااع شاااادي

في أعماقي شعرت بالشفقة على ذلك الطفل.. صحيح أنني كنت أكرهه.. وكم تمنيت كثيرًا أن أُحوّل جسده إلى لحم مفري.. إلا أن الأمر هنا يختلف كثيرًا.. هو الآن كائن غير مسؤول عن أفعاله.. مجرد عروسة ماريونيت خيوطها في يد كائنات من عالم آخر.. تتلاعب به كيفما تشاء.. وأنا أعرف أن ألعن أنواع الشر والسحر هو السحر السفلي.. نحن هنا نتعامل مع جن كافر وخطير.

في منزل أحمد حمدت الله كثيرًا أن راشد قد ترك صالة الترانزيت، وذهب مع الريح ورحل إلى عشة الفراخ التي ينام فيها.. أنا في حالة نفسية وعصبية لا تسمح لي بأي مجادلات مع الحمقى، لهذا أفرغت كل ما في عقلي في أذن أحمد.. بالتفصيل الممل.. كان الوجوم هو سيد الموقف الذي نحت ملامحنا بجدارة.. فرق شاسع بين أن يكون عندك

أدنى أمل.. وبين أن ترى الأمل يُذبح أمامك ويُقدم كقربان للشيطان نفسه.. وهذه الجارة اللعينة قد قضت على كل أمل بداخلنا.

بعد فترة صمت قصيرة.. قلت له باهتمام:

- بص، فاضل يومين بالظبط على معادنا مع الشيخ.. انت تروح دلوقتي تعرّف أبوه وأمه بكل حاجة حصلت.. واحنا بقى بنفسنا نحاول نعرف مين الجارة دي.

- يا ابني مستحيل نعرف، ما انت عارف الواد شادي عامل ازاي مع كل الجيران.. في كل دقيقة كان بيدخل شقة شكل، مش في العمارة بس، ده في كل العمارات المجاورة.. انسى خالص حكاية الجارة.. المهم بس نعرف نعمل حاجة لشادي ونخلصه من القرف اللي عايش جواه ده.. الواد خاسس بشكل فظيع.. وبيضيع مننا بجد.. وبعدين هو أنا هروح لبيت شادي دلوقتي؟ الوقت اتاخر وهتلاقيهم نايمين!

- نايمين إيه بس، بذمتك انت أمه هتلاقيها بتنام أصلاً؟ روح عرّفهم اللي حصل وأنا بقى هروح البيت.. معنديش استعداد أبويا يعلقني زي الدبيحة على باب الشقة.. ساعتها لا انت ولا شادي ولا الشيخ هتنفعوني.. سلام يا صاحبي.

*****

في فراشي العزيز، بعد تناولي لوجبة العشاء المقدسة التي لا أحيد عنها أبدًا.. الجبن الرومي والخس.. والموز.. أحب أن أعرفكم أنني في طريقي للتحول بأقصى سرعة إلى أرنب أو نسناس.

كان مزاجي غير رائق.. لهذا لم أقضِ سهرتي المعتادة مع رواياتي التي صرت أحفظها عن ظهر قلب.. حتى مجلات ميكي أو تان تان فشلت في إخراجي من حالتي المزاجية السيئة.. أعترف أنني كنت في هذه اللحظة واقعًا تحت استحواذ إله الملل عند الإغريق.. لو كان هناك إله فعلاً بهذا الاسم.

تمددت وسط ظلام الغرفة كأي مومياء تحترم نفسها.. أبحلق في لا شيء، وبجانبي جهاز الراديو كالمعتاد على إذاعة البرنامج العام.. أستمع اليها بأذني لكن عقلي كان هناك يدور ويحلق في مجرة أخرى، أو بمعنى أدق عالم آخر.

بغض النظر عن أن العد التنازلي قد بدأ فعليًا ودخل حيز التنفيذ بخصوص جلسة شادي مع الشيخ عبد القوي.. الا أنه من الأشياء التي كانت تسبب لي الضيق أنني لن أكون متواجدًا في المنزل طوال يوم الجمعة.. فعلى مدار سنوات عمري التي تعدت ألف سنة ضوئية؛ لم أتواجد خارج منزلي في هذا اليوم إلا مرات معدودة للغاية.. إنني أعتبر يوم الجمعة هذا بالنسبة لي حالة خاصة عن باقي أيام الأسبوع.. يوم له طقوس خاصة.. تربيت وعشت عليها طوال حياتي.

لهذا نادرًا ما أخرق ذلك النظام الذي وضعته والذي سيطر على أعماقي مع مرور الوقت.. الحالة الوحيدة التي قد أُضطر فيها إلى مغادرة المنزل هو سقوط نيزك على رأسي.. أتذكر منذ أن كنت طفلاً يرتدي الشورت القصير.. وعلى ركبتيّ أضع الميكركروم الأحمر الشنيع كعادة كل طفل يحترم نفسه ويمارس هواية السقوط بالعجل أو أثناء لعب كرة القدم.. وأنا أصحو في هذا اليوم دائمًا على رائحة البخور.

إنه الشيء المقدس الذي تُصرّ والدتي على أن تُميز به هذا اليوم عن باقي أيام الأسبوع.. هي الأخرى كانت واقعة تحت بركات وأنوار يوم الجمعة.. لهذا كانت تُحب أن تشعر أن لهذا اليوم رائحة ذات مذاق خاص..

في منزلنا المتواضع يُعتبر الراديو هو المايسترو بلا منازع، بعد ذلك يأتي التليفزيون.. وتُعتبر إذاعة البرنامج العام هي مايسترو الإذاعات في منزلنا الأثري.

وبغض النظر عن أن أثير الراديو كان يتردد صداه في جنبات المنزل منذ السادسة صباحًا وقت استيقاظ أمي.. إلا أنه فعليًا كان يقتحم أعماقي أنا في التاسعة صباحًا.

١ - *(برنامج ما يطلبه المستمعون)*.. مع صوت (فاروق شوشة) الرائع المميز، والذي تشعر أن صوته هو الصوت الرسمي للغتنا العربية نفسها.. وهو يقول بصوته الرخيم.. الواثق.. الهادئ: *(باقة من أغنياتكم المفضلة تقدمها لكم المذيعة.. منى بطاح.. في هذا البرنامج.. ما*

يطلبه المستمعون).. ثم بعد ذلك تبدأ واحدة من أشهر المقطوعات الأسبانية على مر العصور بعنوان ***Spanish gipsy dance***

٢ - ثم يُغلق الراديو، وفي الساعة ١٠ تمامًا يبدأ التليفزيون في الاستحواذ على عقولنا.. مع *برنامج (سينما الأطفال)*.. وفي نظري المتواضع أن هذا البرنامج قد توقف فعليًا عن تقديم أي شيء مفيد للأطفال بعد أن تركته المذيعة (عفاف الهلاوي)، أو كما كنا نحب أن نطلق عليها ونحن أطفال لقب (ماما عفاف).. مع تلك المقدمة الرائعة لأغنية الأطفال الشهيرة، والتي كنت أجهل أي شيء عنها سوى أننا كنا نغنيها ونحن أطفال ونقول *(آيا.. آيا.. آوه)*.. طبعًا لم أكن أفهم أي حرف من تلك الأغنية الشهيرة، بعد ذلك بسنوات طويلة عرفت أنها اللغة الإيطالية وأن اسم الأغنية ***nella vecchia fattoria***.

مبهور دائمًا بصوت الأطفال الرائع وهم يقلدون أصوات الحيوانات.. كان البرنامج يستمر ساعة.. طبعًا في هذا الزمن كانت الكلمة العليا للتليفزيون المصري.. الآن أصبح لا يوجد تليفزيون، بل حتى لا يوجد أطفال من الأساس.

٣ - يُغلق التليفزيون، وسريعًا يعود الراديو مرة أخرى بعد أن أخذ فترة راحة يسترد فيها أنفاسه، ليعود مرة أخرى صوت اللغة العربية الحي الرائع *(فاروق شوشة)*.. مع برنامجه *(في طريق النور)*.. مع تلك المقطوعة الموسيقية التي طالما كنت أشعر أنها موسيقى يعزفها القدر بنفسه.. تلك المقطوعة التي كنت أعتبرها واحدة من ضمن ألغاز

عديدة في حياتي أتمنى أن أكتشفها.. وخبيرو الموسيقى وعشاق الأفلام العربية الكلاسيكية.. سيعرفون على وجه اليقين أن تلك الموسيقى هي نفسها ذات المقدمة الموسيقية لفيلم (الليلة الأخيرة) إخراج كمال الشيخ ١٩٦٣، بطولة فاتن حمامة – محمود مرسي – أحمد مظهر.. ونتذكر تلك المشاهد الخارقة في الأداء للممثلة فاتن حمامة وهي أمام قبر أختها، وفي خلفية المشهد هذه التحفة الموسيقية وهي تتصاعد وتصرخ، وهي تقول *(إذا كانت نادية هي اللي في القبر ده.. يبقى أنا مين؟ أنا مين؟ أنا مين؟)*.. بصراحة مشهد قادر على أن يُجمد الدم في عروق أي شخص يمتلك بعضًا من الإحساس. طوال حياتي كنت أتخيل أن هذه التحفة الموسيقية الخالدة هي موسيقى مصرية، ولم أتصور مطلقًا للحظة أنها مأخوذة من موسيقى الفيلم الأمريكي الشهير القديم *golden earings* عام ١٩٤٧، للموسيقار الأمريكي *vector young*، بعد ذلك أعاد الموسيقي الأمريكي الشهير *Hugo winterhalter* توزيع هذه الموسيقى، وقام بحذف الثلث الأوسط لها لتظهر بهذا الشكل الذي عشنا معه طوال حياتنا، سواء مع *برنامج فاروق شوشة أو فيلم الليلة الأخيرة*.

٤ - بعد انتهاء برنامج *فاروق شوشة*.. يأتي واحد من أشهر برامج الراديو على مر العصور.. *(برنامج الجاني هو)*.. *أو* كما كان المستمعون يعرفونه باسم *(٧٤٧١٢٠ إذاعة)*.. بعد ذلك تحوّل الرقم إلى *(٢٥٧٨٧١٢٠ إذاعة)*.. باستمتاع لتلك الموسيقى المتوجسة.. الفاخرة.. المرعبة.. والتي أعتبرها أشهر مقطوعة موسيقية تُعبر عن التشويق والإثارة.. كنت

أجلس أتابع وأستمع إلى تلك الجريمة محاولاً معرفة حل لغز الجريمة.. ونظرًا لشهرة هذه الموسيقى تم استخدامها في العديد والعديد من أفلامنا المصرية..

وبعد رحلة بحث ومشي لسنوات طويلة في البراري والغابات والوديان والصحاري؛ اكتشفت أنها للموسيقار *modest petrovich Mussorgsky* بعنوان *la cabane sur de poule*، وهي أشهر جزء من السيمفونية الموسيقية *pictures at an exhibition*.

٥ - ينتهي وقت الراديو وتحين صلاة الجمعة.. بعد انتهاء طقوس الصلاة والعودة للمنزل المشبع بعبق رائحة إعداد الطعام.. طبعًا أمي واقفة كالمايسترو المتمكن من أدواته في مملكتها الخاصة، تُبدع لنا طعامًا دسمًا سيجعلنا قادرين على النوم لقرون طويلة.. المزيد من رائحة التوابل، أجلس في حجرتي أتصفح جريدة الأهرام.. بنفس هدوء من يحكم ويمتلك العالم كله.. بجانبي الراديو طبعًا، يُطلق كنوزه الإذاعية مع برنامج *(عشانك يا مصر)*.. مع خلفية موسيقية عظيمة.. قادرة على جعلك تتخيل الفراعنة وهم من يقومون بالعزف بأنفسهم.. بل تشعر أن مصر ذاتها هي من تعزف تلك الموسيقى.. وهي ذات المقطوعة الموسيقية من الفيلم الأمريكي *fear in the key* *للموسيقي الأمريكي roy budd*، ١٩٧٢.

٦ - ثم يحين بعد ذلك دور المسلسل الإذاعي الكوميدي *(عجبي)*.. والذي كان يكتبه الكاتب الساحر (يوسف عوف)، ويقدمه (حسن عابدين –

خيرية أحمد – إنعام سالوسة)، والذي كان يتناول في كل حلقة موضوعًا خاصًا، سواء اجتماعيًا أو سياسيًا أو حتى يناقش قضية أسرية في قالب فكاهي.

٧- بعد هذا يحين دور واحد من أشهر البرامج في تاريخ الإذاعة المصرية.. *(برنامج على الناصية)*.. مع صوت مصر الأصيل (آمال فهمي).. وسؤالها الشهير الذي تختتم به حوارها مع كل ضيوفها *(تحب حضرتك تسمع إيه؟)*.. برنامج رائع مع تلك الموسيقى التي لا تُخطئها أذن.. وقد لا يعرف الكثيرون أن تلك الموسيقى ما هي إلا توزيع لأغنية *donkey serenade*، وهي من الأغاني الشهيرة التي تغنى بها *Alan Jones* *في* فيلم *fire fly* *١٩٣٦*، ثم أعاد توزيعها الموسيقار *Mcintyre Hal*.

٨- بعد هذا يصمت الراديو تمامًا وأنطلق إلى المايسترو الآخر، التليفزيون المصري، وبالتحديد القناة الأولى، *(برنامج عالم الحيوان)*.

من أراد أن يستمع إلى صوت الماضي.. صوت الكلاسيكية.. صوت الإعلام المصري الحقيقي في مجده.. فعليه أن يستمع إلى صوت المبدع (محمود سلطان).. وهو يُعلق على برنامج (عالم الحيوان)، مع تلك الموسيقى الشهيرة المميزة لتتر البرنامج، هذه المقطوعة على وجه التحديد لها تاريخ طويل.. أولاً هي بعنوان *quiet village*، *من تأليف الموسيقي الأمريكي* *Baxter les*، *١٩٥٢*.. بعد ذلك بـ٦ سنوات قام الموسيقي وعازف البيانو الشهير *Denny martin* بإعادة توزيع هذه التحفة الموسيقية وأضاف اليها أصوات االحيوانات في الخلفية

الموسيقية، ليصدرها ضمن ألبوم موسيقي باسم *exotic sounds* ١٩٥٩، أما الموسيقى الداخلية المصاحبة للقطات الحيوانات في البرنامج فهي مأخوذة من الفيلم البريطاني *the third man* ١٩٤٩، *للموسيقي النمساوي Anton karas*.

٩ - يحين الآن دور القناة الثانية مع *(برنامج المابيت شو)*.. ومغامرات الضفدع (كيرميت) وفريقه من معاتيه العرائس.

١٠ - في الثانية والنصف تمامًا يأتي برنامج *(تليسينما)*.. والذي أنتظره بفارغ الصبر لأعرف من خلاله خريطة الأفلام الأجنبية الكاملة على مدار الأسبوع.. مع إطلالة عبقرية من عبقري السينما (يوسف شريف رزق الله).. ومقدمته الموسيقية التي تحوي أشهر لقطات السينما العالمية.. مع خلفية موسيقية مأخوذة من فيلم الغرب الأمريكي *duel at Diablo*، *واسم المقطوعة الموسيقية* *flight at Diablo dust to dust*، بعد هذا تغير اسم البرنامج إلى (أيام وليالي).. ليختفي (يوسف شريف رزق الله) كمقدم للبرنامج، ولكن يستمر كمعدٍ له.. وتقوم المذيعة (منى عبد الوهاب) بتقديمه.

١١ - يحين الآن وقت الغداء الأسري المقدس.. ونحن نشاهد فيلم الساعة ٣,١٥ عصرًا.. غالبًا هو فيلم عن رعاة البقر، أو لو كنا محظوظين فنحن أمام مشاهدة ممتعة مع أفلام (جيسون وآلهة الحرب) أو إحدى رحلات السندباد.. أما لو كان فيلمًا مملاً فأحسن شيء أمارسه هو النوم.. لأنني أقدس نوم العصر بدرجة شنيعة..

أعتبرها نقطة فاصلة في اليوم كله تجعلني قادرًا على مواصلة باقي اليوم بمزاج متألق.

١٢ - في الساعة ٥,٣٠ الآن هذا وقت كل نساء مصر.. عليهن أن يتركن كل شيء له علاقة بالحياة نفسها.. بل فليذهب العالم كله إلى الجحيم.. نحن الآن أمام أهم حدث جلل في حياة أي امرأة مصرية.. إنه برنامج *(حياتي)* للمذيعة (فايزة واصف).. نحن الآن أمام إحدى ملاحم الكآبة، مع كمّ هائل من المشاكل الأسرية، ولا ضير في الكثير من الدموع والتحسر على ما وصل إليه جحود الأبناء.. حتى الموسيقى نفسها، التي أبدعها الموسيقار herald Winkler بعنوان rose nel buio، كانت قادرة بمعجزة ما على أنغام الجيتار أن تُهيء أعماقنا لنستعد لجرعة هائلة من الحزن والغمّ تكفينا أسبوعًا كاملاً.. بل ستكون قضية اليوم وحديث المنزل والشارع لعدة أيام متتالية.

١٣ - انتهينا من نوبة البكاء المقدسة الأسبوعية.. وعرفنا رأي القانوني أو عالم الدين أو حتى الطبيب لنفسي في حل تلك المشكلة العويصة، والتي أعطت لنا ولأصحاب المشكلة الحقيقين الأمل بعد أن تحوّلت حياتهم إلى جحيم..

يجب أن أنطلق الآن إلى الحمام لتستحوذ على جسدي المياه الساخنة.. لعلني أزيل بقايا من آثار جرعة الحزن التي توغلت في أعماقي.. ثم أخرج مرتديًا البيجامة الكستور.. والتي تجعلني بحق رجلاً من العصر الكلاسيكي الأصيل.. صحيح أنني أبدو نسخة أخرى صُنعت بدقة من

الفنان عبد المنعم مدبولي في فيلم الحفيد، بجسدي المتهازل الذي يشبه جسد صرصار مصاب بعسر عضم شنيع.. باختصار شديد لقد فسد المجتمع في تلك اللحظة التي توقف فيها الرجال والشباب عن ارتداء البيجامة الكستور.. هذا النسيج القطني الذي يمتلك سحرًا عجيبًا قادرًا على ربط الرجل بمفهوم الأسرة.. أما الآن فكيف أثق برجل يرتدي بوكسرًا أحمر مزينًا بورد أصفر!

١٤ - في الـ ٦ على القناة الثانية يحين موعد برنامج (*حدث في مثل هذا اليوم*).. ولا زلت أتذكر صوت وتعليق (أحمد فؤاد معاذ).. والذي تشعر أنه يأتي من صدى الزمن أو التاريخ نفسه، وهو يقول بكلمات قوية متزنة هادئة تخترق أعماقي قبل عقلي:

من خلال أديب أو فنان

من خلال تاريخ أمة أو إنسان

من خلال اختراع أو برهان

فماذا حدث في مثل هذا اليوم؟

مع تلك الخلفية الموسيقية بعنوان *jerry goldsmith in like flint compilation ١٩٧٦*، ونظرًا لشهرة هذه المقطوعة الموسيقية، والتي اشتهرت في مصر بشكل كبير للغاية، فقد تمّ استخدامها كتيمة

موسيقية رئيسية في الفيلم العربي (المليونير المزيف) إخراج حسن الصيفي ١٩٦٨، بطولة فؤاد المهندس – شويكار – عبد المنعم مدبولي.

١٥ - ٦,٣٠ مساءً على البرنامج العام، موعد معرفة حل برنامج (الجاني هو)، طبعًا للمرة المليون أكتشف أنني أحمل عقل كلب ولم أتوصل للحل الصحيح.. لهذا مارست هواية بصق وجهي أمام المرآة بعد أن فشلت في معرفة من هو الجاني.. أن تكتشف أن كل البشرية توصلت للحل الصحيح وكأنها عملية حسابية بسيطة ما عدا نفسك.. لهو شعور يفوق بالضبط إحساسي بنكسة ١٩٦٧.

١٦ - فلنستعد الآن لمرحلة كواء الملابس.. من أعمدة حياتي أنني أقوم بكواء كل ملابسي في يوم واحد.. بجانبي جهاز الكاسيت الناشينوال وصف هائل من شرائط الكاسيت.. تساعدني على تحمل صبر الكواء.. وكأي مكوجي محترف يحترم نفسه ومهنته.. كانت الملابس تخرج من تحت يدي رائعة وكأنها صُنعت في التوّ واللحظة.. وليس كما يقولون بلغة الصنايعية

(مكرمشة وكأنها خرجت من حنك كلب جائع)

١٧ - الآن كل شيء رائع ومنمق ومنظم.. انتهيت من الحمام الساخن.. كواء ملابس الأسبوع.. الحذاء ملمع ومصقول للغاية لدرجة أنني أرى وجهي منعكسًا على جلده الأسود البراق.. الآن حان وقت الراديو مرة أخرى في الـ ٩ تمامًا.. مع برنامج (الجريدة الناطقة).. وتلك الموسيقى الرائعة التي يستحق من اختارها لتكون اللحن المميز للبرنامج كل

احترام وتقدير وإعجاب، والتي تحمل اسم *sandstorm la pionda*، خرجت للمرة الأولى للعالم عام ١٩٧٥ في ألبوم موسيقي بعنوان space disco.

١٨ - سوف يصمت الراديو الآن تمامًا.. وسيكون التليفزيون هو رفيقي حتى ساعة متأخرة.. الآن القناة الثانية هي المايسترو، هي من تستحوذ على عقلي مع برنامج (*نافذة على العالم*).. بتلك الموسيقى الشهيرة للغاية، والتي حُفرت في وجدان الشعب المصري إلى الأبد.. والتي تم اقتباسها من الساوند تراك الخاص بالفيلم الأمريكي *come September، للمثل روك هاديسون والإيطالية الفاتنة جينا لولو بريجيدا، عام ١٩٦١.. الموسيقى نفسها من إبداع الموسيقي الأمريكي* الجنسية النمساوي المولد *Hans. J. Salter*.

١٩ - بعد انتهاء المسلسل الأجنبي المقدس، والذي كان يلتف الشعب المصري كله حوله.. الآن والدي هو من يستحوذ على التليفزيون، هذا هو ميعاد برنامج (نهاية الأسبوع).. للإعلامي الرائع (أحمد سمير).. مع تلك المقدمة الموسيقية، والتي أبدعها الموسيقي المصري (عمار الشريعي)، وهي ذات الموسيقى التصويرية لفيلم (البداية)، إخراج صلاح أبو سيف ١٩٨٦.

٢٠ – أعود مرة أخرى إلى الراديو على نفس إذاعتي المقدسة.. في تمام الساعة ١١,٣٠ ليلاً لأستمع إلى برنامج من نوع خاص اسمه (كتاب عربي علّم العالم).. مع كلمات المقدمة البسيطة العميقة:

رحلة مع مشاعل الحضارة العربية

التي أضاءت جنبات العالم

مع خلفية موسيقية فاخرة على آلة القانون تليق بحضارتنا العربية العظيمة.. يأخذنا البرنامج في كل حلقة إلى رحلة ثقافية هادئة تحتوي على كمّ كبير من المعلومات عن علماء العرب الأوائل.. في زمن كانت الكلمة الأولى والوحيدة فيه هي كلمة العلم فقط.

٢١ - علينا أن نستعد الآن لفيلم السهرة، والذي أتمنى أن يكون مثيرًا.. ولو تحققت المعجزة لأصبح فيلمًا مرعبًا.. سنقضي في البداية وقتًا ممتعا مع الإعلانات.. مع ملك الميديا في الشرق الأوسط (*طارق نور*).. إنه زمن رائع، كانت الإعلانات فيه لها طعم ولون ورائحة.. ولأن الحياة في وقتنا هذا أصبحت باهتة ماسخة، فقد وصل بنا الحال في تلك الأيام إلى كره الناس ولعنهم لأي إعلان مهما كان.. أعشق تلك الفترة الكلاسيكية.. حينما كانت الإعلانات تُشكل وجدان الشعب المصري نفسه.. كل إعلان له فكرة.. له موسيقى مميزة خاصة به.. له روح.. صحيح كانت الإعلانات بسيطة مقارنة بإعلانات تتكلف الملايين الآن.. إلا أن سرها كان يكمن في روح الإعلان نفسه.

في الحقيقة وبدون مبالغة، هو صاحب أشهر صوت إعلاني في مصر، بل في المجرة كلها.. إنه الملك.. إمبراطور الإعلان بلا منازع.. صاحب الإعلانات الأشهر والأكثر إمتاعًا وتأثيرًا في الشعب المصري على مر

التاريخ.. بل حتى هو صاحب أشهر لوجو شركة إعلانات عرفتها مصر.. بتلك النظرة الثابتة المدققة المنبعثة من نصف وجهه..

قد لا يعرف الكثيرون أن بدايته كانت في عام ١٩٧٨، حينما عاد من أمريكا ليضع حجر الأساس في مصر للمفهوم الفعلي والعميق والعملي لمعنى كلمة إعلان محترف.. وعلى مدار ثلاثة عقود تربع فيها على عرش الإعلانات، بل استحوذ عليها فعليًا في مصر.. ليصبح رمزًا ومرادفًا للمعنى الحرفي للنجاح والانتشار.

ليس مهمًا أن تكون دارسًا لعلمي التسويق والإعلان لتعرف بإحساسك أن له فلسفة وذوقًا خاصًا.. يقف وراءها فكر غير مرتبط بالنمطية.. إعلانات قائمة على فهم ثقافة وذوق ونفسية الشعب المصري.. باختصار لم يكن (طارق نور) يقدم إعلانات.. بل كان يقدم لنا فنًا وعلمًا من ابتكاره هو شخصيًا..

أعتقد أن (طارق نور) هو الوحيد الذي قدّم لنا من وجهة نظري المتواضعة حلولاً إبداعية متميزة.. استطاعت أن تخترق عقل المشاهد المصري بمنتهى السلاسة، بل واستطاع أن يتحدى الزمن نفسه وذاكرة النسيان لدى الشعب المصري.. حتى لحظة كتابة هذه السطور.. وإذا لم تقتنع بجملتي الأخيرة عليك أن ترجع بذاكرتك إلى إعلاناته القديمة.. إعلانات مرّ عليها أكثر من عشرين عامًا، وإلى الآن ما زال لها تلك النكهة الساحرة.. باختصار سيظل (طارق نور) في نظري هو رمز

الإبداع الإعلاني في الوطن العربي.. ولو وُجد في العصر الإغريقي لجعله (زيوس) كبير الآلهة.. إله الإعلان والإبداع في الأساطير الإغريقية.

٢٢ - إنها الـ ١ بعد منتصف الليل تمامًا.. على الجميع أن يخرسوا تمامًا.. فوالدي يستمع بانتباه شديد إلى (*أحداث ٢٤ ساعة*) ليعرف منها كل همسة حدثت في مصر والعالم على مدار اليوم.. بتلك المقدمة الموسيقية الشهيرة للموسيقار Jerome moross بعنوان the big country main theme، *الآن* ثق تمامًا أن كل رجال مصر ساهرون بالبيجامة الكستور يشاهدون ذلك البرنامج قبل أن يذهبوا إلى فراشهم للنوم استعدادًا للعمل صباحًا.

في عقلي المليء بالذكريات كنت أسترجع كل هذا وأنا أترحم.. على ما وصل إليه حالنا وما سيصل في المستقبل..

أعترف وأفتخر أنني واقع بالمعنى الحرفي للكلمة تحت استحواذ الماضي بكل ما فيه.. وسأظل واقعًا تحت تأثيره إلى أن أموت.. على الأقل أنا لست وأقعًا تحت استحواذ أشياء ملعونة كالمخدرات أو الجنس.

كل منا واقع تحت استحواذ شيء ما.. طوال حياتنا ننتقل من استحواذ إلى آخر.. بدون حتى أن ندري أو حتى نمتلك القدرة على التحكم في أنفسنا.. أعتقد أنني الكائن الوحيد الذي مازال يحافظ على معاهدته مع آلهة استحواذ الماضي، بل ويفتخر بها..

لم أشعر بنفسي وعقلي يغلي ويفور بكل تلك الأفكار والذكريات، وذهبت إلى غياهب عالم النوم.. بجانبي سيظل الراديو.. يبث أثيره إلى عقلي الباطن حتى الصباح.

*****

كضوء الشمس سريع الزوال في قصص مصاصي الدماء مرّ الوقت سريعًا للغاية.. وجاء الميعاد المنتظر.. طوال الطريق إلى منزل شادي أنا وصديقي أحمد، كان اكثر شيء يسبب لي الهواجس هو أن يرفض شادي نفسه أن يأتي معنا.. أن تصيبه أي حالة هيجان مثلاً.. مع عالم كعالم الجان هذا كل الاحتمالات ممكنة..

ولكن دهشتي وصلت ذروتها حينما فوجئت بشادي هادئًا كالنسمة الوديعة.. لم يرفض أو يعترض، بالعكس كان مسالمًا بشكل رائع.. وما إن وضع كفه الصغير في يدي.. حتى شعرت أن هذا الطفل هو ابني الذي لم أنجبه..

وأمام منزل الشيخ عبد القوي.. وقف ثلاثتنا نحمل نفس الوجوه الممتقعة، والتي حملتها الفنانة (يسرا) وهي تخطو أولى خطواتها في قصر الجن مع الفنان (عادل إمام) في فيلم (الإنس والجن).

على تلك الدرجات المتآكلة صعدنا بهدوء.. كانت أعصابي مشدودة ومتحفزة إلى أقصى درجة.. لو مرت بعوضة الآن أمام وجهي لقفزت على الأقل مترين في الهواء.. نفس إحساس القط (توم) حينما يفاجئه

الفأر (جيرى) بمقلب ساخن.. كنت مازلت أحتوي كفّ (شادي) الصغير الرقيق بين يديّ.. لم أعرف هل كنت أبثّ أنا في داخله الاطمئنان أم أحتاج أنا لإحساس شجاعة لم أجده في جسدي.

في قرارة نفسي شعرت بالإعجاب والاحترام لوالديه الحقيقيين لتفهمهما أن يكون ابنهما بمفرده في موقف كهذا.. هما أرادا إعطاءه بعضًا من الحرية.. بدلاً من أن يملأ الدنيا صراخًا وعويلاً وندبًا.. وتمارس أمه هوايتها في لطم الخدود.. لهذا هناك بشر يستحقون أن نصنع لهم تماثيل في عالم الحكمة.

كالمعتاد فتحت لنا زوجة الشيخ الباب.. بنظرة سريعة إلى وجه (أحمد).. شعرت أن قدميه تهتزان من مرآها.. يبدو أن هذه المرأة اقتحمت أسوار عقل صديقي بنظرتها المغناطيسية الثابتة.. لتنهار مقاومته هو الآخر وتتحول ساقيه إلى عيدان من المكرونة المسلوقة.. كانت هذه هي المرة الأولى التي يراها.. لهذا كان تأثير (ريا + حكمت) شنيعًا على أعصابه.. أما (شادي) فقد توارى خلفي كقطة صغيرة تواجه خطرًا ما.. ولكي أُنقذ الموقف قلت بمنتهى الهدوء:

- احنا عندنا ميعاد مع الشيخ!

كعادتها كان كلامها بليغًا إلى أقصى درجة، لم تنطق حرفًا واحدًا كعادتها.. أفسحت لنا الطريق بهدوء.. اللعنة على هذه المرأة.. إذن ما فائدة أن تُخلق بلسان إذا لم تكن تستخدمه في حياتها؟! أشعر أن فكها نفسه تيبس وأصبحت حتى غير قادرة على الأكل.

في عقلي أيقنت أن هذه المرأة الحديدية شاهدت من الأهوال في هذا المنزل ما جعل أعماقها وجهازها العصبي يتحول إلى تلك الشاكلة المريعة.

جلسنا في الصالة وأنا أحتضن شادي محاولاً ألا أجعله يصاب بالتوتر.. جاء إلينا الشيخ ليرحب بنا.. قدمت له صديقي (أحمد).. ثم (شادي).. انحنى الشيخ عبد القوي بهدوء حيث يجلس شادي، ليضع قبلة أبوية على يده الصغيرة.. قبلة أصابتني بالدهشة بنفس تأثيرها الكاسح على قلبي.

هذا الشيخ عبقري بحق.. لقد كسب مودة هذا الطفل بحركة بسيطة بارعة.. اعتذر بكلمات سريعة بسبب وجود حالة طارئة معه بالداخل.. وهو يقول لي:

- معلش يا وائل، بس حالة البنت الشابة اللي جوه دي تصعب على الكافر.. تخيل وصل الحال إن صديقة عمرها تعملها عمل على دم حيض نجس علشان تموتها لأنها كانت طمعانة في خطيبها!

هتفت بمزيج من الدهشة والاشمئزاز:

- عمل على دم حيض!!

- أيوة، ده الراجل اللي عملها العمل ده ملعون ليوم الدين.. طلب منها تجيب نقطتين من دم حيضها وعزم عليهم بعمل سفلي من جن كافر.. وبعدين خد النقطتين وحطهم في علبة عصير.. وصحبتها عزمت عليها بالعصير بمنتهى البراءة.. ولأن البنت مش مدية خوانة طبعًا لصحابة عمرها، شربت من إيديها العصير.. ومن ساعتها البنت بقت جلد على عضم، تخيل وزنها ٤٠ كيلو بس، وطبعًا خطيبها سابها.. أمها خلاص هتموت بسبب حالة بنتها.

- بس دي هتحتاج شغل جامد قوي قوي يا شيخ.

- ربنا معانا بقى، أنا والخُدّام بتوعي شغالين على جسمها بقالنا أكتر من ٤ ساعات.. عارف أكتنا بنغير دم جسمها كله.. ونغسله بالطلاسم، ده غير حاجات كتير انت في غنى إنك تعرفها.. هي نايمة جوه بترتاح شوية.. هخلص معاها وبعدين نشتغل بقى مع أستاذنا (شادي).

تركني وذهب سريعًا إلى عرينه الخاص.. طوال الوقت لم نتبادل أنا وصديقي أحمد سوى جملة واحدة قلتها له ولم يعلق حتى عليها.

- شوفت ولاد الكلب بيعملوا إيه في ولاد الناس؟ خلاص الدنيا مبقاش فيها أمان.

بصراحة لا أنكر أن عقلي وكل خلية في جسدي كانت في عربن الشيخ مع تلك الفتاة المسكينة، أشعر أنني كنت واقعًا في هذه اللحظة تحت استحواذ فتاة لم أرها أو أعرف حتى شكلها أو كيف تبدو، كل ما هناك أنني كنت أشعر بالشفقة والتعاطف معها.. كنت أعرف أن ألعن أنواع الأذية هي المرتبطة بعمل سفلي نجس.. ولأنه لا يفلّ الحديد إلا الحديد.. فيجب أن يُحارب الجن السفلي بنفس نوعه.. ولكن بأساليب أخرى.. وهنا يحين دور قوة وعلم واطلاع الشيخ عبد القوي.. في أعماقي قلت له.. *(ربنا يديك الصحة يا شيخنا.. ويجعلك سبب في شفاء الناس التعبانة دي)*.

أخيرًا انفتح الباب وظهر على عتبته الشيخ عبد القوي.. وهو يقول بصوت هادىء:

- براحتك خالص يا بنتي.. اتسندي عليا.

خفق قلبي بشدة.. وهذه الفتاة تقتحم مجال بصري.. شعرت أن قلبي ينسحق فعليًا بالمعنى الحرفي للكلمة تحت وقع نظراتها.. أرى أمامي بقايا إنسانة.. يبدو من ملامح وجهها أنها كانت على قدر كبير من الجمال في الماضي.. الآن هي مجرد هيكل عظمي له شعر طويل يمشي على قدمين.. في عينيها نظرة انكسار شنيعة.. وصدمة بالغة.. قدماها رقيقتان كقدم سندريلا.. تتساند بيد ضعيفة على أمها وبيدها الأخرى على ذراع الشيخ عبد القوي.. كم تمنيت في هذه اللحظة أن أضع قبلة

على يدها الرقيقة.. أن أحتويها.. أخفف عنها.. أُشعرها أن هذا العالم لا يموج بولاد الكلب فقط..

إلى هذه الدرجة انعدمت الرحمة من قلوب البشر بسبب الغيرة والطمع والحقد.. أن يأتي علينا الوقت الذي يُصبح فيه القتل والأذية هي أسهل الطرق لأي حل.. لهو شعور كارثي.. نحن فعلاً نعيش نهاية العالم الآن.

غادرت الفتاة وأمها، وعلى الباب مودعًا قال لها الشيخ:

- يا ريت متنسيش أي تعليمات من اللي قولتها.. وكمان يومين أنا هجيلها البيت مخصوص بدل ما تتعب نفسها.. علشان نكمل باقي الجلسات.

أخذت الأم المسكينة تدعو له بكل ما أوتيت من قوة.. حتى ابتلع صوتها الطريق واختفت تمامًا.. لتتركني واقعًا تحت تأثير واستحواذ طيف ابنتها.

أما نحن الثلاثة فدخلنا عرين الجان.

بدون مقدمات خلع شادي حذاءه.. ونام على الأريكة المريحة التي طالما استلقى عليها كل صنوف البشر بأجسادهم المعذبة.

كطبيب مسيطر محترف في غرفة العمليات؛ جلس الشيخ بجانبه، بالتحديد عند رأسه.. أما أنا فكنت جالسًا عند قدميه.. وعلى المقعد

المواجه لنا جميعًا جلس أحمد منكمشًا كصرصار يواجه خطر السحق بحذاء سميك.. بما أنها كانت المرة الأولى التي يحضر فيها تلك الطقوس.

مسح الشيخ على رأس شادي ثلاث مرات.. ثم وقف في منتصف الحجرة تمامًا.. ولأن اليوم هو الجمعة، فقام بحرق البخور.. بالتحديد مزيج من (الكندر والكزبرة واللبان الدكر الأبيض والسندورس).. من القوانين العجيبة لتلك الجلسات أن لكل يوم من أيام الأسبوع بخورًا خاصًا به.. المهم أخذ يردد كلامًا كثيرًا لثلاث مرات متتالية لم أفهم الكثير منه.. أو بمعنى أدق حاولت وفشلت.. وهو يتحدث بتلك الكلمات العجيبة.. كنت أعرف أنه يقوم بتطهير المكان في بداية كل جلسة من عمّار المكان.. وهو واحد من أكثر القوانين صرامة في أي عمل روحاني.. أنه لا يجوز أبدًا أن يتواجد خُدّام الجن مع عمّار المكان في مكان واحد، هذا أهم سبب لإنجاح أي عمل.. لهذا هو يصرفهم لوقت مؤقت، ثم بعد انتهاء المهمة المطلوبة يأمر الشيخ بعودتهم مرة أخرى.. نوع من أنواع التهجير القسري، أو اعتبره أسلوبًا خاصًا من أساليب التعقيم التام لتلك الغرفة قبل أن ينطلق في أعماق جسد شادي.

بصوت قوي مرتفع.. واثق.. بدأ يتلو (قوارع القرآن).. آيات معينة.. لها أسرار روحانية.. يبدأ بها لتمهيد جسد شادي لاستقبال خدّامه من الجان.

غسل الشيخ يده بماء الورد.. ثم وضعها على رأس شادي.. همهم بكلمات سريعة.. لم تستغرق ثوانٍ معدودة.. ليرفع يده وهو يقول لي:

- أنا شلت من دماغه خادم جن الرياح.. دلوقتي جسمه مفهوش غير العمل السفلي بس.

- جن الرياح! إيه جن الرياح ده يا شيخ؟

بابتسامة ماكرة قال لي:

- أمال انت فاكر شادي جه معاك ازاي وطول الوقت كان هادي؟ مهو بسبب تأثير الخادم بتاعي.. أنا لو مكنتش عملت كده مكانش فيه قوة في الأرض هتجبر الواد ده إنه ييجي لحد هنا.. ده استعداد كده بعمله لما بشك إن الحالة اللي جيالي احتمال كبير تعمل مشاكل.. فبخدر عقله لحد ما يجيلي.

الآن فهمت لماذا كان شادي طوال الطريق مستسلمًا تمامًا ولم يُعارض.. عرفت أن كل هذا بسبب تأثير الشيخ عليه.

- طب ودلوقتي بعد ما جن الرياح مشي، مش هيفوق ويعمل مشاكل؟!

- لا متخافش، هو صحيح صاحي وحاسس بكل حاجة.. بس تأثير الخادم بتاعي بيخلي جسمه في حالة خمول واستكانة.. علشان كده كان لازم أشتغل على اللي في الجسم وأحرقه.. ومينفعش طبعًا أحرق المساعد بتاعي.

طلب مني أن أساعده في نزع ثياب شادي العلوية.. بعد أن انتهينا.. أمسك حبره الروحاني وبدأ يكتب الطلاسم على بطن شادي، بالتحديد في مكان معدته.. بما أن العمل السفلي قد استكان في اللحظة الأولى في هذا المكان.. كتب طلاسم كثيرة بالسيريانية، بما أنها اللغة الرسمية للجن.. وبعد أن انتهى.. بدأ يُلقي ببعض كلمات بلغة لم أفهم منها حرفًا واحدًا.. بصراحة كانت هذه هي المرة الأولى التي أسمعها في حياتي..

أنام شادي على بطنه.. وعلى كامل مساحة ظهره.. رسم الشيخ جدولاً من ١٢ خانة.. وضع في كل خانة.. اسم شادي ثم اسم أمه ووالده.. ثم كلمات مبهمة بالسيريانية.. أرقام لم أعرف كنهها.. بعض الآيات القرآنية.. ثم الدائرة النورانية المباركة والتي تحوي أسماء ملوك الجان السبعة.. ثم اسم الله (الخبير) لأنه الاسم الموافق للأعمال يوم الجمعة، وله طاقة روحانية هائلة.

وفي الخانة الأخيرة كتب هذه الجملة:

كيدمولا بوزن سندروسا

وهي المرادف لحرف (الشين)، لأنه أول حرف من اسم (شادي) ومعناها في اللغة العربية:

يا قادر على كل شيء.

الآن اكتمل الطلسم..

سيترك شادي لمدة نصف ساعة بدون حركة حتى يتشرب جسده تمامًا هذا الطلسم القوي.

مع مرور الوقت وبعد عدة دقائق لاحظت أن جفني شادي قد تهدلا وأنه الآن يتجه إلى مرحلة النوم.. نظرت إلى الشيخ مستفسرًا فقال لي:

- ده تأثير الطلسم على جسمه.. هينام شوية.. بالظبط زي شعور المدمن أول ما بياخد الجرعة بعد مرحلة الهيجان.. تلاقيه في شبه غيبوبة.

بعد جملة الشيخ الأخير لم ينطق أحدنا بأي حرف.. عن نفسي احترمت هذا الصمت المهيب الذي وُلد في المكان.. صمت لم يكن يُقلق راحته سوى صوت عقارب الساعة على الحائط.

استغل الشيخ هذه الدقائق الثمينة في التسبيح والحمد والاستغفار بصوت خافت.

أما أنا كعادتي فلم يرمش لي جفن وأنا أراقب ظهر شادي والحبر الروحاني يختفي ويتلاشى في جسده..

أخيرًا اختفى الطلسم تمامًا.. هو الآن يسبح في كل خلايا جسده.. يُنظّف.. يحرق كل أثر للسحر السفلي.

بدأ شادي في الإفاقة إلى حد ما.. جلس الشيخ بجانبه ووضع يده اليمنى على رأسه مرة أخرى.. استدعى خادمه.. كنت أعرف أنه في هذه

اللحظة يقيم حوارًا طويلاً للغاية مع قرين شادي ليتأكد من أن الطلسم قد بدأ يأتي مفعوله.. ولأن الحديث كان صامتًا كقبر راسخ في أعماق الصحراء.. فلم أجد أمامي وسيلة سوى مراقبة تعبيرات وجهه بمنتهى الدقة..

من نظرة عينيه شعرت أن هناك شيئًا ما ليس على مايرام.

رفع لي الشيخ عينيه وهو يقول بلهجة غاضبة للغاية:

- الكلب اللي عمل السحر ده ربطه بحركة الكواكب.. عاوز يعجزني علشان معرفش أفك السحر.

كعادتها ينطلق صوتها مخترقًا حدود الزمان والمكان

ضاااع شاااادي

بإحساسه هو الآخر على الرغم من جهله بكل خبايا الموضوع؛ شعر أحمد أن جو الغرفة تغير.. هناك شيء ما خطأ يحدث.. شيء ما شرير طفح فجأة ولبّد جو الغرفة.

فأستطرد الشيخ حديثه بنفس الصوت الغاضب:

- السحر السفلي ده درجات ومراتب.. وعلشان صاحب العمل السفلي يطمن إن عمله لن يتم فكه بيربطه دائمًا بأشياء صعبة، زي مثلاً حركة الكواكب.. أو يكتبه على ظهر سمكة

ويرميها في البحر.. وطبعًا النوعية دي بتحتاج مجهود كبير لفك السحر ده.

- يعني يا شيخ، ومعلش في جملتي.. هتعرف تفك الكارثة دي؟

نهض وهو يقول بصوت حازم واثق:

- لا يفلّ الحديد إلا الحديد.. كل حاجة ليها حل بإذن الله.. أمال إيه فايدة العلم والكتب والقراءة؟

على مكتبه جلس وأمامه ورقة بيضاء ناصعة كقلب طفل رضيع خرج من رحم أمه.. بدأ يحسب فيها اسم شادي وأمه وتاريخ ميلاده.. كان يستخدم واحدًا من أصعب العلوم الروحانية.. نادرًا ما تجد أحدًا الآن قادرًا على استيعابها أو حتى فهمها..

علم خرج من رحم علم شديد التعقيد اسمه

علم الحرف، العدد، الجفر والزيارج

كان يقوم بحساباته المعقدة.. يستنطق الحروف.. يحدد طبائع كل حرف من اسم شادي.. وهو المقصود من معنى

علم الجفر والزيارج

كانت يده تتحرك بمنتهى البراعة بين الحروف والأرقام والجداول والحسابات الفلكية.

بعد ما يقرب من ساعة ونصف ترك أوراقه وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة مريحة.. ليخرج من دولاب خاص مجموعة من البخور مغلفة بعناية، وضعها بنسب معينة دقيقة في إناء فخاري.. كان يصنع مزيجًا غريبًا من

(القرنفل المعجون بماء السوسن وماء الكافور مع أعواد الند والشب اليماني).

في النهاية استقر الإناء الفخاري بما يحويه فوق النار.. وبصوت قوي قال الشيخ عبد القوي:

(أجب يا أبيض يا زوبعة.. بحق الملك الموكل عليك عنيائيل..

الذي تسر عالي خدمته.. بحق داموي.. أبيه.. بشملي.. جرمطط.. سبوح..

أجب يا أبيض وإلا سأعرضك إلى النار

أسرع وتوكل.. بالحضور إلى جسد شادي

بارك الله فيكم وعليكم)

من خبرتي القليلة كنت أعرف أن لكل يوم من أيام الأسبوع نداء وتوكيل خاص به، وبما أن اليوم هو الجمعة فيكون له من الملوك الأرضيين اسم (الأبيض) وكنيته (أبو الحسن زوبعة).. والحاكم عليه من الملوك العلوية (عنيائيل)، ومن أسماء الله الحسنى (الخبير).. والكوكب المتحكم فيه كوكب (الزهرة).. لهذا فقد استخدم الشيخ مزيجًا خاصًا مصنوعًا بدقة فائقة من تلك الأعشاب الخاصة بكوكب الزهرة، وبنفس نسب النتائج التي أخرجها علم الزيارج والجفر الخاص بشادي.

أسند الشيخ شادي ليجلس.. وقرب وجهه الصغير المرهق من الأبخرة المتصاعدة وأمره أن يستنشق كل تلك الكمية.. لتدخل في جسده وتحرق كل آثار السحر.. لينفذ شادي طلبه.. ويستنشق كل الدخان.. لدقائق طويلة لم يكن يدخل جسد شادي سوى تلك الأبخرة الكثيفة.. في النهاية همدت حركة الدخان المجنونة العشوائية.. لتستقر بكاملها في كل خلية بداخله.. بعد أن أحرقت فعليًا كل أثر للسحر السفلي في جسده.

الآن حان دور غسل المعدة تمامًا.. بيت الداء.

قام الشيخ بكتابة حجاب خاص يعرف بـ

(الأسماء المحرقات للأفلاك السبعة)

بالحبر الروحاني ثم وضعه في ماء الورد وقرأ عليه آيات قرآنية معينة.. وانتظر الشيخ حتى ذابت كل محتويات الحجاب تمامًا في الماء.. وقبل أن يعطيه لشادي وضع أسفل قدميه وعاءً كبيرًا خاليًا.. وأمر شادي أن يشرب كل تلك المياه.

نظرت إلى أحمد نظرة خاوية ونحن نتساءل في أعماقنا عن فائدة ذلك الوعاء الضخم.. ووجدته جالسًا هو الآخر والجهل المضجع في كل نظرات عينيه.. ولكن لم تمر سوى ثوانٍ معدودة للغاية حتى جاءنا الجواب.

قيء شنيع.. كريه الشكل والرائحة خرج من فم شادي بقسوة.

شعرت أن عضلات أمعائي ومعدتي تتقلص هي الأخرى وتنقبض في شدة.. تمالكت نفسي بشدة.. نظر لي الشيخ نظرة نارية.. جعلني اتمالك إرادتي حتى لا أفرغ معدتي أنا الآخر.

كان يمسك جسد شادي بكلتا يديه.. بقوة.. ويساعده على إمالة رأسه وإفراغ كل ما في معدته..

اللعنة، من أين يأتي كل هذا القيء.. إن وزن تلك السوائل يفوق وزن جسد شادي نفسه!

مع ارتجافة جسد شادي العنيفة.. لم يتمالك أحمد نفسه فهتف بجزع:

- الواد هيموت يا شيخ.

صرخ الشيخ في وجهه بمنتهى العنف:

- اخرس ما تتكلمش!

توترت أعصابي أنا الآخر.. انهيار أحمد وصراخ الشيخ في وجهه.. وكل هذا القيء الشنيع الخارج من جسد طفل لم يتعدّ العاشرة.. والمصيبة أن القيء تحول في النهاية إلى اللون الأحمر.. هنا شعرت أن حياتي تُسحب مني فعليًا.. ولم أتمالك نفسي وأنا أصرخ بفزع:

- هو ده دم يا شيخ ولا إيه؟ انت عملت إيه في الواد؟

أما أحمد فانهار وهو يقول بصوت باكٍ:

- الواد لو حصله حاجة.. أبوه هيقتلني.

في النهاية نطق الشيخ آخر جملة توقعت سماعها وأنا أرى كل أنهار القيء الحمراء الملقاة أمامنا:

- الحمد لله.

صحت باستنكار:

- الحمد لله!!

لم يلتفت إلينا الشيخ، بل حمل جسد شادي الضعيف الواهن وخرج به..

التفتُّ إلى أحمد وهو يقول:

- هو خد الواد وراح بيه فين؟!

- معرفش.. أنا زيك قاعد حمار بالظبط.

بعد مدة لم تتعدَ الـ ١٠ دقائق اتسعت عيوننا بدهشة كبيرة ونحن نرى شادي وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة باهتة.. وفي عينيه تلك النظرة التي تحمل المعنى الحقيقي للشقاوة والانطلاق.. عرفت في قرارة نفسي أن شادي عاد إلى أحضاننا مرة أخرى..

وعلى تلك الأريكة تمدد شادي مرة أخرى.. وفي هذه المرة وضع الشيخ يده على معدة شادي وهو يقول:

بحق الأسم الذي حضرتم به.. عودوا إلى ما توكلتم عليه

الشرق شرق.. والغرب غرب.. والجنوب جنوب.. والشمال شمال

سلطان لكم.. وسلطان عليكم

بارك الله فيكم.

التفت إلينا الشيخ وهو يقول بصرامة:

- لما أكون شغال إياك حد فيكم يتكلم مرة تانية!

- يا شيخ احنا آسفين والله، بس احنا كنا خايفين على شادي قوي.

- أنا خايف عليه أكتر منكم وأكتر من أبوه وأمه كمان!

قال أحمد بصوت يحمل نبرة أسف كبير:

- سامحنا ياشيخ.. بس هو إيه اللى كان بيحصل ده؟ أنا عمري ما شوفت حد جاب كل السوائل دي من جسمه!

اتكأ الشيخ وأراح جسده وهو يقول:

- أنا كنت بغسل معدته من القرف اللي شربه.. أكني بالظبط ركبتله معدة جديدة.. غسلتهاله كلها.. بص يا ابني، السحر اللي كان جواه كان لازق قوي في جدار معدته، ولو كان قعد عمره كله كان هيفضل لازق فيه.. دي حاجات مش هتظهر لا في أشعة ولا تحاليل، احنا بس اللى نشوفها.. وطالما نزل السائل الأحمر ده يبقى معدته بقت نضيفة، وعلى فكرة ده مكانش دم علشان بس متتخضوش.. اللون الأحمر ده علامة من الخادم بتاعي إن معدته خلاص بقت نضيفه من أي سحر.. والخادم بتاعي هو اللي كان جواه من شوية بيساعدني في غسل المعده عن طريق المشروب اللى عملته لشادي وفيه الطلسم.. غسل

معدته وغسل جسمه كله.. ولما خلص مهمته خدت شادي الحمام وغسلت جسمه من كل أثر للقيء.. وخليته يشرب مشروب خاص كده مفعوله زي السحر، هيديله طاقة كبيرة قوي علشان يعوض كل القيء والسوائل اللي فقدها جسمها.. وبعدين جيت صرفت الخادم بتاعي، خلاص مهمته خلصت والحمد لله.

ثم نظر إلى شادي نظرة أبوية وهو يقول له ويمسح على شعره:

- مش كده يا شادي؟

رد عليه شادي بصوت رقيق جعل قلبي يرقص فرحًا:

- شكرًا يا عمو.. أنا بجد حاسس إني بقيت أحسن بكتير.

ابتسم الشيخ وهو يضع قبلة حانية على جبينه ويداعبه:

- الواد ده ابن حلال مصفي.

ترك جسد شادي يسترخي تمامًا.. ثم نهض وجلس خلف مكتبه وأمسك ورقه الأبيض المميز وأخذ يكتب.. كلامًا كثيرًا.. رسومات.. وجداول.. وطلاسم.. كرر كتاباته في ٧ ورقات.. ثم وضعهم جانبًا بعناية.

ثم أخذ ورقتين كبيرتين كتب فيهما أغرب أشياء شاهدتها في حياتي.. صحيح أنني كثيرًا ما كنت أشاهد الشيخ يكتب طلاسم، إلا أنه في هذه

المرة تفوق في جعل أعماقي تصاب فعلاً بالدهشة.. ما يكتبه الشيخ الآن.. يفوق ما يعرفه أي بشري على هذا الكوكب.

بعد أن انتهى أعطاني السبع ورقات وهو يقول بلهجة من تعود على إلقاء أوامر لا تقبل المناقشة:

- اسمعني كويس انت وأحمد.. احنا الحمد لله ربنا كرمنا بفضله وخلصنا جسم شادي من كل حاجة.. احنا بقى لمدة ٧ أيام هنمشي على الجدول ده علشان نحصن جسمه تمامًا ضد أي أعمال تانية طول حياته.. الـ ٧ ورقات دول احنا بنسميهم

حجاب سليمان بن داود

أو

الحجاب المانع من كل جن وشيطان ومارد

كل يوم بعد صلاة العشاء تجيب طبق كبير وتملاه ميه دافية، وتحط فيها ورقة واحدة بس.. وتسيبها لحد ما الميه تاكل كل الكتابه من الورقة وميبقاش فيها أي أثر خالص.. وفي أوضة نوم شادي.. يبقى فيه طبق تاني كبير.. تخلي أبوه أو أمه حد فيهم يغسل جسم شادي كله بالميه دي وهو واقف في الطبق الفاضي الكبير.. وبعد ما يخلص الميه كلها على جسمه.. يلبس هدومه..

كل يوم يلبس هدوم مغسولة، ميعديش عليه يومين أبدًا بنفس الهدوم.. أهم حاجة يلبس هدومه من غير ما ينشف جسمه من الميه.. عاوز جسمه لوحده هو اللي يتشرب الميه.. وبعدين تاخد الميه اللى اتغسل بيها.. وترميها بالليل على سطح البيت.. وتسيبها لحد ما تنشف لوحدها.. ممنوع إنك ترمي الميه في الحمام..

٧ أيام تعمل كل يوم كده.. وبكده إن شاء الله يبقى جسمه اتحصن ضد أي حاجة لو حد فكر إنه يأذيه تاني.

أما الورقتين دول.. حجابين.. واحدة تحطها تحت المرتبة عند راسه.. والتانية تبقى بين هدومه في الدولاب زيادة في التحصين.

سألته باستفسار وباهتمام:

- حجابين إيه دول يا شيخنا؟

- دول حجابين مش أي حد يعرف سرهم

حجاب السبعة أقفال

و

حجاب الطهاطيل السبعة

وبكده يبقى أنا خلصت ذمتي قدام ربنا.

قبل أن يعطيني الحجابين طواهما بطريقة معينة على شكل مثلث، ثم وضعهما في شمع محترق، وفي النهاية طمسهما بالخاتم الروحاني.. ليحافظ عليهما إلى الأبد.

سأله أحمد وقد تذكر شيئًا ما:

- طب يا شيخنا هو شادي هيجيلك تاني بعد ما نخلص الـ٧ ورقات؟

- لا، أنا اللي هجيله البيت بعد ما يخلص الـ٧ ورقات.. عاوز أعمل تحصين للشقه كلها.

كان شادي قد استرد الكثير من رونقه، ساعدناه في ارتداء ملابسه وحذائه.. وعلى باب المنزل ودعنا الشيخ وهو يعيد أوامره بخصوص الـ ٧ ورقات.

وقبل أن نغادر المنزل في فنائه الخارجي ترك شادي يدي ورجع مرة أخرى إلى الشيخ، وهو يضع قبلة رقيقة على خده ويقول بصوته الطفولي:

- شكرًا يا عمو الشيخ.

نطقها شادي بنفس الطريقة التي كانت تتحدث بها الطفلة (سوسن) أمام (رشدي أباظة) في فيلم (ملاك وشيطان)، إخراج (كمال الشيخ).. وتقول له بصوتها الرقيق:

أونكل عزت.. أونكل عزت

ليضحك الشيخ ضحكة من القلب.. لمست قلوبنا جميعًا.

لتعود يد شادي مرة أخرى إلى يدي.. في هذه اللحظة عرفت أنني أحب هذا الطفل من كل قلبي، وأنني كنت سأموت هلعًا عليه منذ أن بدأت هذه الأحداث.

بنظرة سريعة إلى ساعة يدي العتيقة.. اكتشفت أننا قضينا في تلك التجربة ما يقرب من الـ ٥ ساعات!

لم أشعر بالوقت.. لهذا شعرت في أعماقي بالشفقة على الشيخ عبد القوي.. وعرفت كم هي صعبة حياته.. وشاقة.. ومتعبة.

الآن توقف صوت فيروز في عقلي تمامًا.. فلم تعد في أعماقي تتردد جملة:

ضاااع شاااادي

بل أصبحت فيروز تردد بصوتها الأسطوري:

شادي ركض يتفرج

سيركض شادي.. وسينطلق مرة أخرى في كل مكان.. وستعود ضحكاته تملأ الدنيا بهجة وحيوية.

بفضل الله وبمساعدة شيخنا.

انتهى الكابوس إلى الأبد.

وفي منزل شادي..

كانت دموع أمه هي سيدة الموقف..

من نظرة واحدة إلى وجه ابنها عرفت بقلب وغريزة الأمومة أن الكابوس انتهى بلا رجعة..

كنت أشعر أن دموعها تغسل كل الشرور في عالمنا..

لهذا لم يعترض أحدنا أو يتدخل في منع كل شلال الدموع الذي أغرق وجه ابنها قبل وجهها هي..

وبعد أن هدأت عاصفة الدموع..

حكيت لهما كل همسة حدثت..

ومع كل التفاصيل الغريبة التي تُولد على لساني.. وتعيش في عقلهما..

كانت عيناها تزداد دهشة وذعرًا..

وتحتضن ابنها وكأنها تُعوضه عن تلك التجربة الشنيعة..

في النهاية حمدا الله على نجاة ابنهما..

ثم أعطيت والد شادي.. كل الأوراق التي كتبها الشيخ والحجابين.. وأفهمته جيدًا كيف سيكون نظام التعامل مع هذه الأوراق الحساسة المشبعة بطاقة روحانية هائلة..

شكرني كثيرًا..

وكعادتي في تلك المواقف المشبعة عاطفيًا.. تمالكت أعصابي حتى لا أمارس أنا الآخر هواية شلال الدموع..

تركت الجميع وانسحبت بهدوء..

كنت أريد أن أنطلق كعادتي وحيدًا إلى منزلي..

لم أكن أريد في هذه اللحظة أن يتواجد بجانبي أي شخص مهما كان.. كنت أشعر أن بداخلي شيئًا ما مبهمًا يريد أن يفترسني وحيدًا.

كنت أحمل ذات نظرة العين التي كنت أراها مرتسمة على بطل الفيلم حينما يُنقذ المدينة من شيء ما مدمر..

هي ليست نظرة زهو.. بل هي نظرة رضا وسلام نفسي من الدرجة الأولى.

وهي من المرات النادرة التي كنت واقعًا فعليًا تحت استحواذ راحة نفسية كتلك التي أعيشها الآن.

بخطوات بطيئة كنت أتجه إلى المجهول.. إلى اللاشيء.. فقط كنت أريد أن أمارس هوايتي التي خُلقت من أجلها.

أمشي.. ثم أمشي.. ثم أمشي.. حتى يُصدر مخي إشارة إنذار قوية.. بعد أن أعلنت قدماي اعتراضهما من شدة الإرهاق.

في النهايه سأجلس في أي مكان هادئ..

أتأمل الكون من حولي.. وكأنني ناسك.. عابد.. ترك كل متع الحياة وذهب ليعيش على ضوء القمر في أعماق الصحراء أو الغابات.

خطوات بطيئة تشعر أن صاحبها يمتلك العالم كله..

في أعماقي ولو للحظات عرفت أن العالم سيكون أروع..

لقد عاد شادي مرة أخرى إلى كوكبنا سليمًا..

ومعه ستحتفل الكلاب الضالة بطريقتها الخاصة.. النباح.. ثم النباح.. ثم النباح.. احتفالاً بعودته.

كل شيء سيصبح عظيمًا..

الأم ستعود لممارسة الدور الذي خُلقت من أجله.. الصراخ.. ثم الصويت.. ثم اللطم.. من كوارث شادي.

كل شيء سيصبح رائعًا..

هذا إذا استثنينا.. وجود راشد في هذا الكوكب.. واعتبرناه شبحًا عاد من العصور السحيقة فقط ليجعل حياتي أكثر تعاسة.

لم أعرف كم مشيت..

مفاصلي.. تُذكرني أنها مفاصل إنسان وليست مفاصل حصان..

على تلك المقاعد المتراصة.. على الكورنيش تهاوى جسدي..

سأظل هكذا.. حتى يعود مؤشر طاقة جسدي المستنزفة إلى وضعه الطبيعي.

استحواذ..

استحواذ..

استحواذ..

اللعنة على هذه الكلمة..

كنت أسترجع في ذاكرتي، كعادتي التي أدمنتها وتحولت إلى أسلوب حياة..

كيف تناولت السينما في مصر موضوع الاستحواذ..

بل كيف تناولت أصلاً موضوع علاقتنا بكل ماهو غير مرئي..

في الحقيقة وحسب معلوماتي المتواضعة، لم أجد في ذاكرتي سوى ثلاثة أفلام تناولت علاقتنا بعالم الجن..

١- (الإنس والجن) ١٩٨٥.

(حول فكرة عشق الجن للإنس والصراع الأبدي بين العلم وحقيقة القوى الخفية والماوراء طبيعية)

٢- (التعويذة) ١٩٨٧.

(يتناول الجن من وجهة نظر أخرى، حيث ظواهر غريبة وغير طبيعية.. أثاث يحترق من تلقاء نفسه.. الحمام يقطر دمًا.. كائن غريب بأقدام ماعز.. حوادث قتل غريبة)

٣- (البيضة والحجر) ١٩٩٠.

(حيث يمتهن مدرس الفلسفه مهنة الدجل والشعوذة.. ويستغل جهل المجتمع واهتمامه بالخرافات والطالع والأحجية ليصبح في النهاية ثريًا وذو سطوة ونفوذ)

لكن لم أجد فيلمًا يُناقش الاستحواذ على أجساد البشر بالمعنى الحرفي للكلمة.. إن مفهوم الرعب لدينا في السينما المصرية متأخر ما يقرب من القرن لكي يصل إلى ما وصلت اليه السينما العالمية الآن.

إذن يجب أن أُفتش في السينما خلف المحيط الأطلنطي، حيث هناك كل شيء تم توثيقه ولو حتى كان استحواذًا على برص.

يسمونه الأب الروحي لأفلام الرعب..

يطلقون عليه أيقونة الرعب الخالدة..

من عباءته ورحمه.. خرجت كل أفلام الرعب..

لهذا هو جلس بمفرده دائمًا وتربع في القمة على عرش سينما الرعب على مر العصور.

لقد رأينا لمحة من طقوس طرد الأرواح الشريرة في مجتمعنا الشرقي..

دعونا نذهب في رحلة سريعة إلى طقوس طرد الأرواح في المجتمع الغربي..

حيث كل شيء شائك ويصطدم بالتقدم الحضاري والتكنولوجي.

عليكم إغلاق المحمول..

عدم الهمس.. والتركيز..

وأراكم في نهاية الرحلة.. على الجانب الآخر المظلم من الحياة.

واقفًا بجانب رجال متفردين.. يحاربون قوى الشر بأسلوب مختلف.

إنهم رجال..

(طاردو الأرواح الشريرة).

(((ومضـــات)))

"وصرخ بشدة.. بصوت عظيم قائلاً.. سقطت بابل العظيمة

وصارت مسكنًا للشياطين.. ومحرسًا لكل روح نجس..

ومحرسًا لكل طائر نجس ممقوت".

سفر الرؤيا

الإصحاح: ١٨

سطعت الشمس بشدة.. وألهبت بأشعتها الحارة الحارقة كل الكائنات في تلك المنطقة الصحراوية بشمال العراق.. وعلى الرغم من درجة الحرارة الشنيعة جلس القس الأب (مارين) على تلك التبة العالية يراقب العمال العراقيين وهم يجاهدون بكل السبل والوسائل لإزالة أطنان الرمال والحجارة عن ذلك الأثر الجديد المكتشف.. ومع كل ضربة معول وفأس في الرمال.. شعر في قرارة أعماقه أن هذه الضربات لا تُزيل فقط الرمال، بل كانت تُزيح أطنانًا أخرى من الأيام والساعات والذكريات السوداء عن كاهله.. صحيح أن عينيه المجهدتين تراقبان الجميع بلا كلل أو ملل.. بتلك النظرة الثابتة التي لا تتغير أبدًا.. ومع مرور الوقت وبدون أي مقاومة.. طغت وطفت من عقله الباطن ذكريات كئيبة.. تداعت أمام عينيه كومضات البرق الساطع في قلب الظلام.

وعلى الرغم من مرور كل تلك الأعوام الطويلة إلا أن تلك الذكريات ما زالت تطارده في كل لحظة وكأنها حدثت منذ ساعة واحدة فقط، حتى قلبه المسكين لم يتحمل هذه المطاردة الشنيعة من ذكرياته، فأعلن عصيانه هو الآخر عن باقي جسده وبدأ مرحلة التدهور والانهيار..

هو مازال يتذكر جيدًا كيف بدأ كل هذا الكابوس..

بدأ هناك في تلك القرية الصغيرة بهولندا.. في واحدة من أشنع فترات الحياة على هذا الكوكب.. الحرب العالمية الثانية.. في تلك القرية الصغيرة.. وأمام عينيه تمّت إبادة وقتل وذبح كامل أفراد القرية على يد

الجنود النازين انتقامًا لمقتل جندي في الجيش الألماني داخل هذه القرية.

اللعنة على الحروب.. وعلى من ابتدعها وجاء بها إلى البشرية..

يقتلون كل هؤلاء الصبية والفتيات والنساء والرجال بدم بارد.. ودون أن تهتز شعرة واحدة في أجسادهم التي قُدت من فولاذ.. كل أنهار الدم هذه أُريقت من أجل جندي واحد فقط.. من المفترض أنه جاء ليعتدي على حرمة الأرض قبل حرمة النساء.

بانهيار تام وقف يُشاهد هذه المذبحة الشنيعة.. والدماء تجري أمام عينيه.. كل شيء اصطبغ بلون أحمر دموي.. حتى السماء نفسها شاركت الأرض حزنها..

صرخات النساء وهنّ يشاهدن بناتهنّ في عمر الزهور وقد اختلطت دمائهن بشعرهن الأشقر الذهبي.

جهازه العصبي لم يتحمل كل هذا.. وكانت هذه هي اللحظة التي تسلل فيها الشيطان إلى أعمق أعماقه ليستحوذ عليها تمامًا.. في الحقيقة لم تكن وحدها تلك الدماء هي التي سببت زعزعة إيمانه.. بل كان شيئًا آخر.

مجرد جملة بسيطة.. قاسية وجهها إليه قائد الجستابو في هولندا.. وهو يوجه فوهة مسدسه الألماني الصنع الشهير إلى رأس طفلة صغيرة مذعورة.. تبحث بعينيها عن أي معجزة لتنقذها من الموت.

جملة بسيطة خرجت من فم قائد نازي مخيف.. وهو ينظر بثبات وبرود إلى عين القس الأب (مارين).. قس الكنيسة في تلك القرية المنكوبة.

إلهك ليس موجودًا اليوم أيها الكاهن لينقذ كل هؤلاء من يدي.

اللعنة على صوت الرصاص..

رائحة البارود الخانقة..

منظر الدماء الحمراء القانية وهي تتناثر بقوة على الأرض المغطاة بالثلوج..

اللعنة على ضعفه..

كل هذا يحدث أمام عينيه وهو يرتدي ملابس الكهان.. شعور العجز يخنقه.. يجعله يتمنى الموت قبل كل أهل القرية..

لم يدرِ ماذا يفعل سوى أن أخذ لسانه يتحرك بجنون داخل فمه وهو يتلو صلاوته الخاصة. لعلها تنجح في إنقاد حياة أي كائن.. يدعو الله في سره أن يصحوا ليجد كل هذا مجرد كابوس..

لكن هو يعلم أن كل هذا حقيقي.. مع كل لحظة كان الأمر يزداد سوءًا.. مع كل لحظة هناك رصاصة أخرى.. ورأس أخرى على الأرض تسيل منها الدماء بغزارة..

إلهك ليس موجودًا اليوم أيها الكاهن لينقذ كل هؤلاء من يدي.

سمعها كثيرًا.. حتى بكى.

سمعها كثيرًا.. حتى تهشمت أعماقه..

سمعها كثيرًا.. حتى مات في جسده الإيمان..

إلهك ليس موجودًا اليوم أيها الكاهن لينقذ كل هؤلاء من يدي..

إنها نقطة اللاعودة..

جهازه العصبي أصبح خارج السيطرة.. كل شيء انفجر بقسوة في عقله الباطن.. مرّ بألعن أزمة في عقيدته وإيمانه.. فقد إيمانه بكل شيء في هذه الحياة..

الأوغاد، لقد تركوه وحيدًا.. حيًا.. في كل تلك القرية إمعانًا في إذلاله والسخرية منه.. ومن إلهه ودينه.

لهذا خلع ثوب الكنيسة.. تناسى أنه قس.. كره الدين.. ترك كل تعاليم الكنيسة وراء ظهره واتجه إلى تعلم الآثار والتاريخ في (أكسفورد).. وبعد هذا ترك كل هذا الجحيم وراءه وذهب إلى أرض الآثار البكر.. إلى مصر.

يتذكر جيدًا ذلك اليوم من عام ١٩٤٩ حينما أستأجره شخص ما ليذهب إلى تلك البقعة في أفريقيا السوداء.. بالتحديد محمية (توركانا) في منطقة (أوتاركي) بـ (كينيا).

كعادته هرب من الهروب نفسه.. وذهب إلى هذه النقطة.. كان يبعد أكثر وأكثر كلما واتته الفرصة، ولو طلبوا منه الذهاب إلى مجرة أخرى لفعل.. بل حتى لو طلبوا منه الذهاب إلى جهنم ذاتها ليموت هناك لما تردد لحظة واحدة؛ إذا كان هذا هو السبيل الوحيد لكي يهرب من كل ذكرياته.. ومن نفسه.

هناك في تلك المحمية وقف مشدوهًا.. مذهولاً.. وهو يراقب العمال أصحاب البشرة السوداء اللامعة وهم يُزيحون طبقات الرمال الكثيفة عن ذلك المبنى الغريب.

كنيسة شُيدت على يد مجهولين قبل وجود المسيحية على الأرض بـ ١٥٠٠ عام!

وفي داخل الكنيسة صُعق مما رآه مرسومًا أو منحوتًا.. كلها رسومات تُمجد الشيطان نفسه.. أي فعل شيطاني هذا؟ شيطان داخل كنيسة؟!

مازال يتذكر كل ركن في ذلك المبنى اللعين، والذي شعر أنه تمّ بناؤه لغرض واحد فقط..

إهانة الجنة والملائكة.

بتلك التماثيل شديدة الاتقان والتي تُصور الملائكة وهم يُمسكون أسلحة مصوبة إلى أسفل.. حتى ذلك الصليب الهائل والذي وُضع مقلوبًا.. لجعل إهانة الخير أكثر كارثية.

لكن مع مرور الوقت اكتشف سر ذلك المبنى الأثري الغامض.

في هذه البقعة التي يحتلها هذا المبنى.. منذ آلاف الأعوام؛ جاء جيش مهول من الغرب يقوده راهبان من أجل هدف واحد لا ثاني له

"البحث عن مصدر قوة الشيطان"

ولكن ما أن وصل الجيش إلى تلك البقعة حتى أغواهم الشيطان بنفسه.. وأُصيب كل الجنود بسعار دموي عنيف.. ليقاتل الجنود بعضهم البعض وكأنهم اعداء.. لتتحول رمال المنطقة إلى محيط من الدماء.

فقط راهب واحد فقط تبقى حيًا من كل هذا الجيش ليكون شاهدًا على تلك الحرب الجنونية..

بعد هذا عاد رهبان آخرون بعد أن بلغ إلى علمهم لعنة هذا المكان.. ليبنوا هذا المبنى الشبيه بالكنيسة، ليكون الهدف الأساسي هو القضاء على الشيطان نفسه وحبسه فيها إلى الأبد.

طبعًا لم يُجدِ هذا نفعًا، ففي عام ١٨٩٣، وبسبب ثورة بركان تمّ الكشف عن هذا الموقع الأثري، والذي بدا أن البشر قد تناسوه بمرور الزمن.. ليأتي ٤ رهبان آخرون ليستكشفوا الموقع بمساعدة أهالي المنطقة ومعهم العديد من علماء الآثار.

ولكن..

كل البعثة اختفت فجأة بدون أي مقدمات أو حتى أثر واحد يشير إلى سر اختفائهم الغامض.. وحتى هذه اللحظة لم يعرف مخلوق واحد السر وراء اختفائهم.

وكالعادة غطى الفاتيكان على خبر تلك البعثة المشؤومة، وأقام مقبرة وهمية على أطراف المحمية، ثبت بعد ذلك أنها كانت تحوي توابيت خالية.. مع إشاعة أن المنطقة بها وباء الطاعون لإخافة الناس وإبعاد كل المتطفلين.

في الحقيقة، والذي لم يكن يعرفه الكثيرين، هو أن تلك البقعة المشؤومة، والتي حدثت بها العديد من المذابح المهولة، وأُريقت فيها بحار من الدماء تشربتها كل حبة رمل...

هي نفسها ذات المكان الذي هبط فيه (إبليس) بعد طرده من الجنة.

مازال يذكر تأثير ذلك المبنى، والذي أكتُشف فيه بمحض الصدفة ممر يقود إلى معبد أسود مخصص لتقديم الأضاحي البشرية.

لتكون قربانًا إلى الشيطان نفسه.

وفي أعماق الأرض.. في ذلك المعبد.. وعند هذا المذبح.. بدأ لأول مرة في حياته طقوس طرد الأرواح الشريرة.. لإنقاذ طفل صغير وامرأة كان من المفترض أنه يشعر ناحيتها بشيء من الحب..

يالها من لحظة فاصلة في حياته.. يشعر أن إيمانه يعود إليه كما كان..

جهازه العصبي يشعر ببعض الراحة..

ممسكًا صليبه.. وقارورة الماء المقدس.. ووشاح الرهبان الأرجواني حول عنقه.. وكتاب طرد الأرواح في يده.. مواجهًا الشيطان (بازوزو).. مازال يتذكر تلك الكلمات ولسانه ينطق بها في أعماق باطن الأرض ضد قوى الشر:

ارحمنا يا الله.. ارحمنا يا يسوع

ارحمنا أيها الأب والابن

ليرحمنا الله في الجنة

لتنزل علينا رحمة الأب والابن

ارحمنا أيتها الروح القدس

ارحمنا يا يسوع

صلي من أجلنا يا مريم المقدسة

أيتها الملائكة المقدسة صلي من أجلنا

أيها الرب العظيم ساعد عبدك الضعيف

أعطه القوة ليتغلب على الشر

يا إلهي تقبل صلاتي ودعائي

الطغاة الذين يتحكمون بالحياة والذين يكفرون بالله.. اجعل كل أطرافي مفعمة بالإيمان بك لكي أدمرهم

ربي احمِ هذا الطفل البريء.. إنه يرجو رحمتك

آمرك باسم المسيح أن تخرج

باسم الروح القدس آمرك

أنقذني باسمك يا الله.. آمين

أنقذ عبدك من أماكن الشر

واحبسه خلف أسوار منيعة

اسمع صلاتي يا الله.. اللهم تقبل صلاتي

ليكن الرب معك.. وليكن معي أيضًا

باسم الأب والابن والروح القدس.. آمرك بالانصراف

آمرك باسم الصليب المقدس ويسوع أن تنصرفي

باسم الروح القدس آمرك

باسم الروح القدس آمرك.

أفاق من ومضات ذكرياته الخاطفة على صوت صبي عراقي يقول له وهو يلهث من الحرارة:

- لقد وجدوا شيئًا هامًا يا سيدي!

- أين؟

أشار الصبي بيده العظمية وهو يقول:

- هناك عند قاعدة التل.

تركه الصبي وعاد مكانه سريعًا.. ليلحق به الأب (مارين).. كان يشق طريقه بصعوبة وسط كل تلك الأحجار الملقاة، وحوله مئات المطارق والمعاول والرجال المتحمسين للعثور على أي شيء أثري.

هناك وجد مساعده يقول له وهو يمد يده ممسكة بأشياء متنوعة:

- لقد وجدنا يا سيدي بعض الاكتشافات المثيرة للاهتمام.. عملات معدنية.. رؤوس أسهم..

تفحص الأب (مارين) تلك الأشياء باهتمام وهو يُزيل من عليها بقايا الرمال والأتربة العالقة بفعل الزمن.. ولكن ما أثار اهتمامه أكثر هو تلك القلادة الصغيرة الفضية.. ذات النقوش المتشابكة.. وجد نفسه بدون وعي منه يقول لمساعده:

- هذا أمر غريب حقًا!

نظر إليه مساعده في عدم فهم وقد انتقل إليه ذلك القلق الغريزي.. ولكن (مارين) لم يترك له الفرصة ليسأله عما هناك.. بل جثا على ركبتيه ليكمل الحفر في تلك الفجوة الضيقة في الرمال.. ليجد ما كان يخشاه منذ البداية..

إنه ذات التمثال اللعين.. نفس النقوش.. نفس نظرة العين الشيطانية.. إنه تمثال الشيطان (بازوزو)، وفي أعماقه كان يصرخ جسده بذلك السؤال الذي لم يتجاوز شفتيه مطلقًا:

- ألف لعنة، ما الذي جاء بهذا الشيء الشنيع إلى شمال العراق؟!

تقلصت أمعاؤه وهو يمسك بيديه المرتجفتين ذلك التمثال الصغير، والذي فجّر مرة أخرى ألعن ذكرياته الشنيعة في محاربة قوى الشر.

ضربات قلبه تزداد مع انفعاله..

يشعر أن قلبه سيخترق جسده حالاً.. بل سيقفز أمام عينيه..

(إلهك ليس موجودًا اليوم أيها الكاهن ليُنقذ كل هؤلاء من يدي)

ترك الموقع الأثري وذهب إلى وسط المدينة، كان يريد أن يختلي بنفسه.. يُرتب أفكاره.. يبتعد عن رائحة الموت ذاتها.

وعلى تلك المنضدة الخشبية الصغيرة المتهالكة أراح جسده.. أراد أن يحتسي أي شراب يستطيع بمعجزة أن يُبرّد تلك النيران المستعرة بداخله.. لم يعرف هل هي نيران الخوف من المواجهة القادمة أم نيران القلق أم نيران مخاوف ذكرياته القديمة، والتي مرّ عليها أكثر من ٣٠ عامًا.

تذكر قلبه المريض.. فأخذ بيد مرتعشة قرصًا صغيرًا من علبة الدواء التي يحملها أينما ذهب.. حتى أصبحت مع مرور الوقت جزءًا أصيلاً من جسده هو.. جلس قليلاً.. ثم اتجه إلى مكتبه.. كان يمرّ بتلك الشوارع الضيقة المميزة لذلك الحي الشعبي العراقي.

لم يشعر أنه يتجه إلى مكتبه.. بل شعر أنه يتجه إلى نهايته هو شخصيًا.

مازال مرأى ذلك التمثال يُفجر بداخله كل قسوة الماضي.. كان تائهًا في ذكرياته وأفكاره.. تائهًا لدرجة أنه لم يشعر بأي شيء حوله.. تائهًا لدرجة أنه لم يشعر بتلك العربة السريعة إلى تجرها خيول سوداء بلون الليل وتتجه نحوه بسرعة شديدة.. والتي كانت لتسحق جسده العجوز في ثوانٍ معدودة أسفل عجلاتها وحوافر الخيول القاسية التي لا ترحم..

لـولا أنـه أفـاق في آخـر لحظـة على صـوت الصـهيل المجنـون لتلـك الخيول..

ولكـن مـا أثـار دهشـته.. هـو تلـك المرأة الطاعنـة في السـن، والتي كانـت تجلـس في المقعـد الخلفـي للعربـة وترتـدي السـواد.. لقـد رأى في نظـرة عينيها وملامح وجهها المنهكة بفعل الـزمن.. الموت محفوزًا في كل خلية فيها.

(إلهك ليس موجودًا اليوم أيها الكاهن لينقذ كل هؤلاء من يدي)

أخيرًا وصـل بمعجـزة إلى مكتبـه في دار الآثـار، ليجـد مسـاعده الإداري يُـدوّن في دفـاتره مـا وجـدوه اليـوم مـن آثـار.. هـدوء المكتـب.. مـع ذلـك الصـوت المميز لبنـدول السـاعة المعلقـة على الحـائط.. اسـتطاعا إلى حـد ما أن يخففا من توتر اعصابه.. حركات البندول الرتيبة الروتينية شعر أنها تُخدر أعصابه..

أمسك الأب (مارين) تلك القلادة مرة أخرى ليقرأ بصوت مرتفع ما حُفر عليها بلغة متشابكة"

"الشر ضد الشر"

نظر إليه مساعده بنظرة خاوية..

وفجـأة توقـف بنـدول السـاعة بـدون سـابق إنـذار.. توقـف البنـدول الـذي افتخر صانعوه أنه لم يتوقف لحظة واحدة منذ تمّت صناعته..

الزمن نفسه توقف..

مخاوفه تزداد..

في تلك اللحظة أتى من يخبره أن العمال انتهوا تمامًا من تنظيف وحفر تلك البقعة الأثرية.. استقل سيارة سريعًا.. وعند تلك التبة العملاقة والتي تكشف له كل شيء في المنطقة.. وجد أمامه الشيء الشنيع الذي انتهى العمال من إخراجه من باطن الأرض.

تمثال هائل الحجم للشيطان (بازوزو)..

والذي يبدو أن شرّه قد بدأ يسيطر على تلك المنطقة.. وقريبًا سيُغطي شرّه العراق كلها ثم بعد هذا العالم أجمع. فعند قاعدة التمثال كان هناك كلبان من الكلاب الضالة يقتتلان بعضهما البعض بشراسة غير عادية، وبدون سبب مفهوم..

لقد أيقن في قرارة نفسه وهو يواجه هذا التمثال الشيطاني الملعون..

أنه في هذه المرة لن تكون المعركة بين الخير والشر.

بل ستكون بين الحياة نفسها والموت.

ولن تكون أي حياة.

بل ستكون حياته هو شخصيًا.

(((إنـــــذارات)))

"لست أسأل أن تأخذهم من العالم.. بل أن تحفظهم من الشرير"

إنجيل يوحنا

الإصحاح: ١٧

مدينة جورج تاون.. في تلك الضاحية الهادئة جدًا.. وعلى الرغم من أن الوقت تعدى منتصف الليل.. الا أن (كريس ماكنيل) جلست في فراشها الدافئ تُراجع دورها جيدًا قبل بدأ التصوير غدًا..

ممثلة شهيرة.. في أواخر الثلاثينات.. وأم لفتاة رائعة في سن المراهقة تُدعى (ريجان).. كانت تعشق عملها كممثلة وتجد في هذه المهنة المتنفس الوحيد لإخراج كل طاقاتها الإبداعية.. لهذا كانت منهمكة بكل خلية في جسدها كله وهي تحفظ كل حرف في هذا السيناريو العملاق بين يديها.. ولأنها محترفة بحق فقد كانت تُضيف بخط يدها بعض الملاحظات على السيناريو.. بخبرتها تعرف أن هذه الملاحظات ستُفيدها للغاية وهي واقفة أمام الكاميرا.

وما ساعدها على التركيز هو ذلك الهدوء الشديد المحيط بها، سواء في الشارع أو حتى في منزلها.. إلا أن هذا الهدوء قُتل في لحظة واحدة حينما تسرب هذا الصوت الغامض إلى داخل غرفتها..

إنه صوت شيء ما يتحرك.. غير مفهوم.. وكأن هناك من يعبث وسط أشياء.. توقفت لحظات عن القراءة وهي تُنصت السمع جيدًا لعلها تعرف ماهية ذلك الصوت على وجه التحديد.

إلا أن تلك الضوضاء الخافتة توقفت فجأة كما بدأت.. دقائق وعاد الصوت مرة أخرى.

على الرغم من التوتر الذي أصابها إلا أنها تركت كل شيء في يدها وغادرت فراشها.. شعرت ببرودة الأرض تقتل الإحساس في قدميها.. ارتدت خفيها سريعًا.. وفوق ملابس النوم التي تُظهر مفاتن جسدها الرائع كتفاحة طازجة ارتدت ذلك الروب.. بهدوء غادرت غرفتها لتعرف مصدر ذلك الصوت.. منزلها أشبه بالفيلا.. غرفتها كانت تقع في الدور الثاني.. كان عليها أن تقطع ممرًا طويلاً إلى حد ما لتصل إلى غرفة نوم ابنتها (ريجان).

فوق رأسها تمامًا ازداد الصوت.. اللعنة، إنها غرفة الخزين التي تحتفظ فيها بكل تلك الأشياء القديمة التي تخص المنزل.. غرفة تتشارك أرضيتها بكل سقف الممر، حتى سقف غرفة ابنتها (ريجان).

شعرت بالقلق لهذا اتجهت سريعًا للاطمئنان على ابنتها.. شيء ما غريزي بداخلها.. أجبرها أن تذهب هناك.. وما إن فتحت باب حجرتها حتى صدقت توقعاتها.. ابنتها كانت نائمة في فراشها.. ونافذة حجرتها الكبيرة مفتوحة على مصراعيها.. بل والأدهى وسط كل هذا البرد كان الغطاء المنحسر تمامًا عن كل جسد ابنتها.. لهذا تساءلت في حيرة: كيف لم تشعر ابنتها بكل هذا البرد الذي يجمد الدماء في العروق؟!

سريعًا أغلقت النافذة.. وغطت ابنتها جيدًا.. ولم تنسَ أن تطبع قبلة حانية على جبينها وهي تهمس في أذنها قائلة:

- أحبك إلى أقصى درجة.

بمفردها وقفت حائرة كطفل تائه في ذلك الممر بين غرفتها وغرفة ابنتها.. بصراحة شعرت بالعجز وبعدم القدرة على ولوج تلك الغرفة العلوية.. لا تتخيل نفسها وسط كل هذا الظلام ثم فجأة يقفز في وجهها فأر مثلاً.. ساعتها سيتوقف قلبها من الخوف.. هي تعتبر نفسها أجبن مخلوقة في الكون من الممكن أن تواجه فأرًا.

لهذا دخلت حجرتها وفي فراشها تمددت مرة أخرى تُراجع دورها.. وما ساعدها على هذا القرار بجانب خوفها هو أن الأصوات قد صمتت تمامًا هذه المرة.

في الصباح الباكر.. في الدور الأرضي وبالتحديد في مطبخ المنزل الكبير.. كانت الخادمة السويسرية (ويللي) تُجهز طعام الإفطار؛ بيض أومليت وقهوة لسيدتها، التي فوجئت بها تقتحم عليها المطبخ وهي مازالت ترتدي ملابس النوم وفوقها ذلك الروب مفتوحًا.. في فمها كانت تلوك قلمها.. ومع ذلك السيناريو في يديها.. عرفت الخادمة أن سيدتها لم تنم ليلة أمس أو يغمض لها جفن.

- صباح الخير يا ويللي.. كيف حالك؟

- صباح الخير سيدة كريس.. أنا على ما يرام.. لقد جهزت لك الإفطار.

سريعًا على تلك المنضدة الخشبية وسط المطبخ جلست كريس تتناول إفطارها بهدوء وهي تشرب قهوتها الصباحية.. لحظات صمت بين

الاثنتين.. لم يبددها سوى دخول عامل المنزل (كارل) وهو يُحيي الجميع.. التفتت إليه (كريس) وهي تقول له باهتمام:

- صباح الخير كارل.. بالمناسبة، يبدو أن هناك فئرانًا في غرفة الخزين العلوية.. عليك أن تضع بعض الفخاخ لاصطيادها.. في الواقع أنا خائفة من أن أجد فأرًا يهبط فجأة فوق رأسي.

هتف كارل في دهشة حقيقية وهو غير مصدق:

- فئران؟! هنا؟! ولكن المنزل نظيف للغاية، سيدة كريس!!

ردت عليه كريس وهي تضحك:

- إذن يوجد في المنزل فئران نظيفة، كارل!

لم يضحك كارل لدعابتها، فقد شعر في أعماقه أن وجود فئران في المنزل لهو دليل واضح على فشله وعدم كفاءته في العناية بالمنزل.. لهذا ردّ عليها بثقة:

- ولكنني واثق ثقة عمياء يا سيدتي من أنه لا يوجد أي فئران بالمنزل.

- إن أصواتها كانت فوق رأسي ليلاً يا كارل.

هزّ كارل يده في حيرة:

- ربما أنابيب السباكة هي من تصدر ذلك الصوت.

ردت عليه كريس في تحدٍ وبلهجة آمرة:

- وربما هي الفئرانّ عليك فقط أن تُعدّ بعض الفخاخ لها في كل ركن بالمنزل.

- نعم سيدة كريس.. سأفعل فورًا.

وعلى الرغم من أن الوقت كان مبكرًا للغاية.. فقد قرن قوله بأن خرج لشراء فخاخ للفئران.. فما كان من الخادمة ويللي إلا أن هتفت به:

- ولكن لا تذهب الآن، كارل.. المحلات لم تفتح بعد.

لم يرد عليها كارل.. بل خرج مغلقًا الباب خلفه بهدوء.

*****

في موقع التصوير ووسط كل هذا الحشد من المعجبين والمعجبات، نست كريس كل شيء بخصوص موضوع الفئران، ومع اندماجها في التحضير لتصوير المشهد الجديد هناك بجانب جامعة (جورج تاون)، من المفترض أن أحداث فيلمها كانت تدور هناك في حرم الجامعة.. وكعادتها حينما تتواجد وسط أدوات الإضاءة والكاميرا والفنيين؛ تندمج في شخصيتها سريعًا.

مشهد التصوير كان بسيطًا، يحاولون هدم المبنى وعليها أن تقف وسط مظاهرة طلابية وتقول خطبة عصماء، وهي تُمسك مكبر صوت بيدها لتحثهم على الوقوف ومنع هدم المبنى.

دارت الكاميرا سريعًا، تقدمت سريعًا ناحية الحشد.. للحظة لفت نظرها ذلك القس الشاب الهادئ ذو الابتسامة الواثقة الحانية.. هي لم تعرف لماذا جذبها هذا الوجه بالذات دونًا عن كل باقي الوجوه حولها.. قتلت سؤالها في لمح البصر في أعماقها وهي تُركز في مشهد التصوير، كانت تحفظ كل حرف عن ظهر قلب.

- كلنا مهتمون بحقوق الإنسان لإرضاء الله، لكن الأطفال الذين يريدون الحصول على التعليم لهم حق علينا أيضًا، ألا تفهم أن هذا ضد مبادئك، أنت لا تستطيع إنجاز أي شيء في حياتك إذا كان الثمن هو ترك هؤلاء الأطفال خارجًا في العراء، إذا أردت القيام بأي تغيير يجب أن يكون ضد النظام فقط، ولكن ليس على حساب هؤلاء الطلاب المساكين.

انتهى المشهد وتفرق كل الحشد.. كان من المفترض أن تستقل سيارتها ومعها حقيبة ملابسها إلى منزلها، كان (مايك) السائق واقفًا بانتظارها باحترام، في لحظة ما شعرت أن روحها منطلقة تُريد أن تستمتع بالمشي حتى منزلها القريب، لهذا طلبت من سائقها أن يوصل حقيبتها وأخبرته برغبتها.

إحساس هائل في أعماقها نما سريعًا، تريد أن ترى أكبر كمّ ممكن من الوجوه البشرية، أن تستمتع بهذا الجو البارد المنعش، أن تمتزج فعليًا مع الطبيعة وما ساعدها على هذا الإحساس الرائع أن الوقت كان مازال عصرًا.. كل شيء حولها هادئ جميل والرياح خفيفة، أوارق الشجر تتساقط في كسل، داست آلاف الأوراق طوال طريقها، كانت تعشق صوت الـ (كرااااش) المميز لسحق أوراق الشجر الجافة تحت حذائها الرقيق، حولها كان أطفال يجرون في ملابس الهالوين، على الرغم منها وجدت نفسها تقف وتراقب حركاتهم وتبتسم في سعادة وهي تتذكر في أعماقها طفولتها.

استمرت في طريقها، جذب نظرها راهبتين تتحدثان أثناء مشيهما متشحات بالملابس البيضاء، شعرت أنها ترى ملاكين أسطوريين يرتديان عباءتين تتطايران خلفهما بفعل الرياح.. شيء ما فيهما أثار راحة نفسية في أعماقها.

عند تلك الكنيسة الملحقة بحرم الجامعة القريب من منزلها.. وجدت نفسها أمام القس الشاب الذي رأته اليوم في موقع التصوير، لدهشتها وجدته يتحدث مع القس الأب (داير)، وهو صديق شخصي ومقرب لها، لم يرياها لحسن حظها.. لهذا استغلت الفرصة لتتوارى في ركن جانبي وهي تُراقب بفضول شديد أثار حيرتها ذلك القس.. وهو يقول بصوت مرتفع وصل إليها:

- ليس هناك يوم في حياتي لم أشعر فيه بالخداع والضياع والوحدة..

للأسف الشديد لم تستمع إلى باقي الجملة لأن صوت طائرة ركاب كبيرة اقتحم المشهد فوق رأسها بدون استئذان، ليطغى ضجيجها على صوت ذلك القس.

انصرفت هي الأخرى بهدوء قبل أن يرياها.. واتجهت إلى منزلها وفي أعماقها كانت صورة ذلك القس الغامض تومض باستمرار، وشعرت أن هناك رسالة غامضة من القدر يخبرها فيها أن ذلك القس ستحتاجه في حياتها قريبًا..

للغاية..

*****

عند الغروب كانت كريس تقف على عتبة منزلها، شعرت وهي تخطو أولى خطواتها في الداخل أنها كانت فكرة صائبة للغاية أن تمارس رياضة المشي اليوم.. لقد تخلصت من عبء نفسي كبير يجثم على صدرها بعد انتهاء التصوير اليوم، بداخل المنزل كانت مساعدتها ومديرة أعمالها الشابة (شارون) جالسة على مكتبها في غرفة المعيشة بالدور الأرضي، تكتب أشياء ما على الآلة الكاتبة وبيدها تفاحة، وحينما رأتها كريس أمامها بادرتها بتلك الابتسامة الرائعة وهي تسألها:

- مرحبًا سيدتي، كيف كان يومك؟

- إلى حد ما رائع، شارون.

رأت على المكتب أمام شارون كومة من الخطابات، فسألتها:

- هل هناك أي بريد هام؟

مدت إليها شارون بطاقة خاصة أخرجتها من وسط الخطابات، وهي تقول:

- لقد حصلت اليوم على دعوة عشاء خاصة في البيت الأبيض.

- هل تمزحين؟! البيت الأبيض؟ هل هي حفلة كبيرة ولها علاقة بالسياسة أم ماذا؟

كانت كريس تكره كل ما له علاقة بالسياسة، تشعر أنها خُلقت من أجل الفن فقط، وليس من أجل التواجد وسط قوم كئيبي المنظر كل ما يشغلهم في هذه الحياة هو المؤامرات السياسية.. وبخبرتها قرأت مساعدتها شارون في عينيها ترددها في قبول تلك الدعوة، فبادرتها وهي تطمئنها:

- لا تقلقي، سيدة كريس، إنها حفلة صغيرة لن يزيد فيها عدد المدعوين عن ٥ أو ٦ أشخاص، كما أن ميعادها مناسب تمام لجدولك.. الخميس القادم.

- أوكي شارون، إذا كان الأمر كذلك سألبي الدعوة وسأذهب إلى الحفلة.

قرنت قولها بأن تركتها تُنهي أعمالها المكتبية واتجهت إلى البار الصغير الملحق بغرفة المعيشة وصنعت لنفسها كأسًا صغيرة.. لتلتفت إلى الخلف على صوت ابنتها (ريجان) وهي تجرى نحوها وتحتضنها بلهفة وحب وهي تقول لها:

- مرحبًا أمي.

احتضنتها أمها بيد واحدة وهي تضع قبلة حانية على جبينها، ويدها الأخرى مازالت ممسكة بكأس الشراب، واتجهت بها إلى تلك الأريكة المريحة في بهو المنزل وهي تسألها:

- احكِ لي.. ماذا فعلتِ اليوم؟

- فعلت أشياء رائعة يا أمي.

- ماذا تعنين بأشياء رائعة؟

اتخذت ريجان وضع القرفصاء أمام والدتها وهي تقول لها:

- أنا وشارون لعبنا سويًا في الفناء الخلفي، ثم قمنا بنزهة رائعة عند النهر.

كانت أمها تتابع حديثها وعيناها تحملان نظرة حب حقيقي لها، وهي تخبرها بما فعلته طوال اليوم.. وبين الحين والآخر تحتسي مشروبها.. لتنظر كريس في عيني شارون نظرة امتنان لأنها اعتنت جيدًا بابنتها طوال غيابها اليوم.. تابعت ريجان حديثها وهي تقول حالمة:

- أمي، كان يجب أن تري هذا الرجل الرائع عند حافة النهر هو وحصانه الرمادي الجميل.

- حقاً! حصان من أي نوع؟

- لا أعرف على وجه اليقين نوعه يا أمي، ولكنه جميل جدًا، لقد تركني ذلك الرجل الرائع أن أكون فارسة على ظهر حصانه لمدة نصف ساعة كاملة، كنت أدور به في كل مكان، لقد عشقت ركوب الخيل يا أمي، هل بإمكاننا الحصول على حصان هنا؟

- لا طبعًا يا حبيبتي، ليس ونحن هنا في قلب هذه المدينة.

- لم لا يا أمي؟!

- سنناقش هذا الموضوع عندما أنتهي من تصوير الفيلم ونعود إلى منزلنا الأساسي يا ريجان.. موافقة؟

أعطتها ابنتها قبلة حانية وهي ترد عليها بعلامة الإيجاب.

لتمد يدها بشقاوة المراهقين وتختطف حلوى كثيرة من تلك العلبة الخاصة بعيد الهالوين من أمام شارون، وتجرى مسرعة وأمها وراءها لتسقط الاثنتان أرضًا وهما تطلقان الضحكات العالية في كل أرجاء المنزل.

*****

في نفس الليلة ولكن في مدينة أخرى.. مدينة الزحام الشهيرة.. نيويورك.. على رصيف محطة المترو كان ذلك القس الشاب واقفا بانتظار قطار المترو.. لحسن حظه كان الرصيف خاليًا من البشر فيما عدا سيدتين طاعنتين في العمر.

اسمه (داميان كاراس)، بمعنى أدق القس الأب (داميان كاراس) كما يناديه الجميع دائمًا، واقفًا بذلك الرداء الأسود وبيده حقيبته التي لا تفارقه أبدًا.

من بعيد يتعالى صوت القطار القادم من ظلام باطن الأرض، صحيح هو مازال بعيدًا لكن أضواءه وهديره يخبرنا أنه قادم لا محالة.

بجانب ذلك الهدير كان هناك صوت آخر جاء من خلفه.. صوت مرتعش جعله يجفل وينظر بدهشة لمصدر الصوت، هاله وجود ذلك المتسول العجوز بجانبه على الأرض وهو يمد إليه يده العظمية النحيلة ويقول له في رجاء:

- أبي، هل يمكن أن تساعد خادم مذبح كبير السن مسكين.. أنا كاثوليكي مثلك.

لم ينطق الأب داميان حرفًا واحدًا وهو ينظر بتركيز شديد إلى ذلك العجوز، ومن خلفه يهدر قطار المترو وكأنه وحش خُلق ليفترس الهدوء والصمت بلا رحمة.. في قرارة نفسه لم يعرف لماذا يشعر بكل هذا التوجس ناحية ذلك المتسول!!

اللعنة، إنها عيناه، إنهما عينان أرهقتهما الخطيئة.. إنهما عينا شيطان يُقلى في سقر ويتقلب في جحيمها.

تركه داميان واستقل المترو غير عابىء به، ولو حتى بحرف واحد يرد به على طلبه.

وصل منزله بعد رحلة مرهقة طويلة من العاصمة واشنطن حتى نيويورك، حيث تقيم والدته المسنة.. يكره هذه المنطقة المعدمة من المدينة، حيث كل براثن الفقر تطغى على كل ركن، عشرات المنازل الضخمة متراصة بجانب بعضها تحوي في أمعائها مئات من الشقق الضيقة، بمعنى أدق مئات من الجحور صالحة لتكون مستعمرة فئران وليس سكنًا لبشر.. بعينيه رأى صناديق القمامة بطول الطريق.. صناديق تئن بكل مخلفات المنطقة.. من شكلها ورائحتها الخانقة عرف أنه لم يهتم أي مخلوق برفع تلك الصناديق منذ عدة أيام.. أمام منزله وجد بعض الصبية المراهقين يستمتعون بالقفز فوق سقف إحدى

السيارات بهدف تحطيمها.. صبية وجدوا فقط في الحياة من أجل هدف واحد هو جعلها أكثر جحيمًا على بشر آخرين.

لم يعبأ بهم خارجيًا.. لكن في قرارة نفسه كان يتمنى أن يمتلك القدرة والسطوة لسحق أجسادهم تمامًا.

اللعنة على كل شيء يدعو إلى الاكتئاب في هذه البناية.. تلك الأنوار الخافتة تجعل السلالم وكأنها سلالم قبر تقود إلى الجحيم نفسه.. هكذا هتف في أعماقه، وداخل شقته لم يكن الجو يختلف عن خارجه، نفس الإضاءة الخافتة والهدوء القاتل، لا يقطعه سوى صوت راديو قديم يأتي من آخر نقطة في الشقة حيث توجد هناك دائمًا.. وضع حقيبته بجانب حائط ذكرياته الذي يحوي كل ميدالياته وكؤوسه وذكرياته مع عالم الملاكمة.. تلك الرياضة الوحيدة التي استطاعت أن تجتذبه منذ أن كان صبيًا.. ووجد فيها ملاذًا لكل شيء خانق في الحياة.. انسلخ من ذكرياته سريعًا وبصوت مرهق قال:

- ماما؟

كان يمشي باتجاه أمه وهو يناديها.. وجدها نائمة كعادتها على ذلك المقعد الضخم المبطن المريح، وأمامها تمددت إحدى ساقيها المربوطة بعناية بذلك الرباط الطبي.. انحنى نحوها وهو يهزها برفق:

- ماما؟

على صوته وهزاته الرقيقة صحت والدته من نومها.. لترتسم على وجهها المتغضن ابتسامة حانية وهي تنهض لتحتضنه في حنان وهي تقول له:

- أنا سعيدة للغاية لرؤيتك أخيرًا يا بني.

- هل أنتِ بخير يا أمي؟

- أنا بخير يا بني.

- كيف حال ساقك اليوم؟

تجاهلت سؤاله بسؤال آخر:

- ماذا عنك أنت يا داميان، هل أنت بخير؟

- أمي، أنا بخير.

لم تمر سوى دقائق معدودة وكان الأب داميان جالسًا يتناول طعامًا بسيطًا من الجبن والزيتون والخبز.. بجانبه كانت أمه جالسة على ذلك المقعد الهزاز، بجانبهما طبعًا كان مازال صوت الراديو هو الصوت الوحيد الذي يقتل كل هذا الهدوء.. في بيئة كهذه يصبح التلفاز أسطورة لا يمكن أن تنالها أو تمتلكها حتى في أحلامك.. لهذا كانت علاقة أمه بالعالم الخارجي عن طريق مخرج واحد فقط.. الراديو، على

الأقـل لـن يجبرهـا أن تظـل مسـتيقظة طـوال الوقـت.. لهـذا ارتبطـت بالراديو وأصبح ملاذها الأول والأخير.

تركته يأكل في هدوء إلى أن قالت في محاولة لكسر حاجز الصمت هذا:

- خالك جون أتى لزيارتي.

- حقًا!! متى؟

- الشهر الماضي!!

نظر إليها نظرة سـاهمة.. حزينة.. في أعماقـه دوى صـوت تأنيب الضمير، ٣٠ يومًا لم ترَ والـدتك!! شعر بغصة في حلقه جعلته يتوقـف عن ابتلاع الطعام، والذي تحول إلى مرّ علقم في فمه.

أمام والدته جلس ليطمئن على ساقها.. ويعيد ربطها جيدًا وهـو يقـول لها ناصحًا:

- يجـب أن تتـوقفي عـن بـذل أي مجهـود.. أنـتِ لا تسـتطيعين الصعود والنزول على السلالم، يجب أن تعطي سـاقك بعضًـا من الراحة الإجبارية.

- أوكي، حسنًا، سأحاول داميان.

قال لها وهو يحضر دواءها، متحاشيًا النظر في عينها:

- يمكنني أن آخذك إلى مكان ما أكثر راحة، ستكونين فعلاً في أمان، لن تظلى بمفردك كل تلك الأيام، دائمًا سيكون حولك بشر يتحدثون إليك.. ولن تضطري إلى الجلوس طوال الوقت لتسمعي صوت الراديو فقط.

نظرت إليه معاتبة، وقالت بصوت حاد لا يتناسب مع صحتها المتدهورة:

- هذا بيتي ولن أتركه أبدًا.. ولن أذهب إلى أي مكان داميان.

شعر أن كلمات أمه قاسية، تلهب كيانه وكأنها سياط تقطع جلد جسده.. هو يعلم علم اليقين في قرارة نفسه أنه لا يجيد العناية بها ولا يعطيها حقها، وبالكاد يستطيع أن يترك عمله ويذهب ليراها كلما أمكن.

وكلما أمكن هذه تجعله يغيب عنها لمدة شهر أو أكثر، وهذا ما يعذب روحه.. شعر أن حلقه جاف كأعواد الحطب، وعلى الرغم من هذا نهض ليدخن سيجارة أراد بها أن يُخرج كل انفعالاته بأي طريقة، حتى لو من خلال أنفاس دخان مسمومة.

بإحساس الأم الغريزي عرفت ما يموج من انفعالات في صدر ابنها، فقالت له:

- ديمي.. لا داعي لكل هذا القلق.

- لا يا أمي، لا يوجد أدنى قلق.

- ولكنني أشعر يا بني أنك لست سعيدًا.. عيناك تبوحان بهذا.. أخبرني ماذا هناك؟

سحب نفسًا عميقًا، وجاهد ليقول بصوت حاول أن يكون أكثر ثقة:

- أمي، أنا بخير.. أنا بخير حقًا.

نظرة طويلة من عين الأم إلى وجه ابنها أدركت بدون مجهود أنه يكذب عليها.. وبخبرة أعوامها لم تشأ أن تضغط عليه أكثر من هذا، لتتركه مع دخان سيجارته وتذهب إلى مقعدها الوثير المبطن بجانب جهاز الراديو وتلقي جسدها، هي حتمًا ستعرف أنها ستظل هكذا حتى تنام مكانها، هذا المقد أصبح جزءًا أساسيًا من حياتها، بل هو جزء أساسي من جسدها ذاته.

ساعات قليلة مرت عليهما.. هي نائمة تعيش وتحلم بأوجاع جسدها وهو جالس ينظر اليها وضميره يقتله في كل لحظة على إهماله لها.. كان مرآها يمزق مشاعره.. لهذا كعادته أخذ قرارًا بالهروب من كل هذا.. نهض وارتدى ملابسه مرة أخرى ليعود إلى مكان عمله.. لم ينسَ أن يترك لها بجانب الراديو مبلغًا ماليًا، صحيح هو ليس كبيرًا ولكنه قادر على سد احتياجاتها الأساسية.. وضع قبلة حارة على جبينها.. وبيده الممسكة بحقيبته غادر الشقة بهدوء.. ليترك كل هذا العذاب خلف ظهره.

هو يعلم جيدًا في قرارة نفسه أنه جبان.. وسيظل هاربًا من مسؤولية أمه هكذا.

ولكن إلى متى سيظل هاربًا؟!

*****

في منزل كريس ماكنيل، وبالتحديد في قبو المنزل الواسع النظيف المضاء جيدًا.. كانت ريجان جالسة تمارس هوايتها في صنع أشكال الطيور المختلفة بالطين الصلصال، وما إن انتهت حتى قفزت بسعادة وهي تجري نحو أمها وتقول:

- ها، ما رأيك ماما؟ هل أعجبك؟

ضحكت أمها من منظر الطائر وكل تلك الألوان المبهرجة فيه.. في النهاية أمسكته ووضعته بجانب النافذة لتقول لها:

- من الأفضل ريجان أن يوضع هنا، فهو مازال لينًا للغاية.

اتجهت ريجان إلى منضدة البنج بونج وأخذت المضرب والكرة الصغيرة وظلت تلعب بها مع نفسها، إلى أن أفاقت على صوت أمها وهي ممسكة لوحة السحر المعروفة باسم (ويجا)، وتقول لها في دهشة واستغراب:

- من أين جئتِ بهذا الشيء الشنيع؟

- لقد وجدته أمي.

- أين؟

- في تلك الخزانة أعلى المنزل التي نضع فيها كل تلك الأشياء القديمة.

بهتت الأم لصعود ابنتها الوحيدة ريجان لتلك الخزانة بمفردها.. وما أثار هلعها ولم تظهره على وجهها هو أنها جرؤت على الصعود هناك على الرغم من وجود تك الأصوات الغريبة التي كانت تصدر داخلها.. لم تدرِ لماذا شعرت بخوف وفزع مبهم يتملكها بخصوص ابنتها ريجان، فقالت لها بتوجس:

- هل لعبتِ بها؟

- نعم يا أمي.

- غريبة!! كيف وأين ومتى تعلمتِ اللعب بهذا الشيء؟!

قالت ابنتها في بساطة أدهشتها:

- لا أعرف يا أمي، فجأة وأنا في الغرفة العلوية وحينما أمسكت هذه اللعبة وجدت نفسي أعرف كل شيء.. سأريكِ كيف يتم اللعب بها، فأنا العب بها حاليًا طوال الوقت في غرفتي.

قرنت قولها بأن أخذت اللعبة من يد أمها ووضعتها على منضدة البنج بونج، وجلست تشرح لأمها كيف يتم اللعب.. وعلى الرغم من الضحكات الطفولية التي ملأت جو الغرفة إلا أنه في أعماق أمها كان هناك انفعال آخر ينمو ببطء.. انفعال أساسه الخوف من المجهول..

مرّ الوقت سريعًا حتى جاء موعد نوم ريجان، وفي فراشها.. وجدت الأم عددًا من مجلة (فوتو كوبي) على غلافها كانت تتصدر صورتها هي وأمها بما أنها ممثلة مشهورة.. أخذت الأم المجلة وهي تقول لها:

- لماذا تقرئين في هذه المواضيع؟

- لأنني ببساطة أحبها.

- إنها ليست حتى مناسبة لسنك ريجان.. وعلى الرغم من هذا تتصرفين وكأنك فتاة ناضجة جدًا.

ثم تذكرت شيئًا ما فجلست بجانبها على الفراش، وهي تنظر في عين ابنتها ويدها تتحرك بحنان بالغ على شعرها الناعم:

- ماذا سنفعل في عيد ميلادك حبيبتي؟ أجمل شيء أنه سيكون يوم الأحد في هذه السنة.

- لا أعرف يا أمي، ليس عندي أي أفكار معينة.

- ما رأيك أن نأخذ جولة في واشنطن؟ هناك الكثير من الأماكن الجميلة لم نرها.. ثم بعد ذلك نذهب إلى السينما؟

بسعادة غامرة احتضنتها ريجان وهي تقول لها بضحكة رائعة:

- موافقة طبعًا يا أمي الجميلة.

ويبدو أنه قد طرأ شيء ما على عقلها الصغير لتقول لأمها:

- يمكنك أيضًا أن تحضري معنا السيد (بورك دينكس).. إذا أحببتِ.

وجمت الأم من كلام ابنتها، حتى إنها ردت بدهشة حقيقية:

- السيد بورك! ولماذا بورك بالتحديد؟!!

- ببساطة لأنك تحبينه يا أمي.

للمرة الثانية كانت دهشتها هذه المرة مضاعفة من رد ابنتها الصريح، والذي لم تكن تتوقع أن يصدر من ابنتها أبدًا، لهذا ردت عليها:

- نعم أحبه، ولكن ألا تحبينه أنتِ أيضًا يا ريجان؟ هيا تكلمي، ماذا هناك؟

- أنت ستتزوجينه.. أليس كذلك؟

بضحكة ردت عليها أمها وهي تمسك يدها الصغيرة:

- لابد أنكِ تمزحين.. أنا أتزوج بورك! لا تكوني سخيفة.. بالطبع لأ.. لن يحدث هذا أبدًا.. من أين أتتكِ تلك الفكرة الغريبة؟

بإصرار ردت عليها ريجان:

- لكنك تحبينه.

- بالطبع أحبه.. وأحب البيتزا أيضًا.. لكن هذا لا يعني أنني سأتزوج من البيتزا مثلاً.. نفس الشي بالنسبة لبورك، لن أتزوجه أو أتزوج أي شخص آخر.

- لماذا يا أمي.. ألا تحبينه مثل أبي؟

وكأن ذكرى زواجها الفاشل المنتهي منذ مدة قد طفت إلى سطح عقلها هي الأخرى.. وجدت نفسها تلقي عن قلبها عبئًا ثقيلاً وهي ترد:

- ريجان، إنني فعلاً أحب أباك.. وسأظل أحبه دائمًا.. ولكن ما حدث من انفصال بيننا كان في مصلحتنا جميعًا.. أما بخصوص بورك فهو صحيح يأتي هنا كثيرًا، ولكن ليس إلا لأنه صديقي الوحيد في هذه المدينة، كما أنه مخرج الفيلم، وهو مثلي وحيد هو الآخر.

بخبث ردت عليها ابنتها:

- لكن أنا سمعت شيئًا مختلفًا.

- ماذا سمعتِ؟

- أنكما ستتزوجان فعلاً.

- أنتِ فقط رأيتِ الأمور من منظور مختلف لهذا اختلط عليك الأمر.. والآن هيا، لقد سهرنا طويلاً اليوم وحان موعد النوم.

طبعت على جبين ابنتها قبلة حارة وهي تقول لها:

- ليلة سعيدة ريجان.

- ليلة سعيد يا أمي الجميلة.

*****

وصل الأب داميان في ساعة متأخرة إلى جورج تاون.. شعر أنه يريد التحدث مع أي كائن حي، لهذا ولج إلى تلك الحانة الكبيرة الملاصقة لحرم الجامعة.. روحه القلقة كانت عطشى إلى البيرة المثلجة.. بالإضافة إلى إحساسه الشنيع أنه يريد التحدث مع شخص يثق فيه ثقة عمياء.. إنه رئيسه (توم)، هو لا يعتبره رئيسه فقط.. بل وصديقه أيضًا، وكثيرًا ما كان يثق في آرائه ونظرته في هذه الحياة.

دخل الحانة ووجدها مليئة عن آخرها بالطلاب.. الموسيقى الصاخبة التي تدوي في كل أرجاء المكان مختلطة بأصوات الضحكات من هنا

وهناك جعلتا روحه تهدأ تدريجيًا.. أمسك بكوبين كبيرين من البيرة المثلجة واتجه إلى منضدة توم.. من نظرة واحدة عرف هذا الأخير أن داميان في حالة نفسية سيئة، فبادره بالسؤال عما يضايقه.. بصوت حزين رد عليه داميان:

- إنها أمي يا توم، دائمًا بمفردها.. لا يجب عليّ أبدًا أن أتركها في هذه السن.. وأعمل بعيدًا عنها.. على الأقل لو انتقلت للعمل في نيويورك سأكون معها وبجانبها.. وقريبًا منها في أي وقت تحتاجني فيه.

بحنان أبوي رد توم:

- يمكن أن أدبر لك أمر الانتقال داميان.. لا تقلق ولا تحمل همًا لهذه النقطة.

- أشعر أيضًا انني لم أعد راغبًا في العمل كله.. أحيانًا أفكر أن أرمي كل هذا وراء ظهري وأتفرغ فقط لرعايتها.

أمسك توم يده وهو يقول له مشجعًا.. محاولاً أن يرفع روحه المعنوية المنهارة:

- ولكنك أفضل من لدينا.. داميان.

بشك وعدم ثقة رد عليه داميان:

- حقًا؟!

لحظة صمت مرت على الاثنين، قطعها داميان وهو يقول وعينه تحمل نظرة خاوية للاشيء:

- أنت تعرف أن عملنا يتخطى حاجز الطب النفسي إلى منطقة أخرى.. بها العديد من المشاكل لضعاف الإيمان بسبب مهنتهم أو أسلوب حياتهم.. وقد أقف عاجزًا أمامها ولا أستطيع حلها.

بعين ثابتة لا ترمش نظر إليه توم وهو يحاول أن يعرف ما الذي يدور في عقله.. ولكنه عجز.. ووجد نفسه بدون إرادة منه يسرح في صديق قديم له كان يمر بنفس ذات الموقف..

وهو يجرع كأس البيرة بلا اكتراث.. قال داميان وكأنه يرمي حملاً ثقيلاً لا يفهمه عن قلبه:

- أريد أن أبتعد عن كل شيء.. أخرج من كل هذا.. أعتقد أنني أفقد أيماني وقوتي يا توم.. أنا واثق أن هناك شيئًا ما خطأ يحدث لي.. لا أفهمه.

يبدو أنه كان صائبًا إلى أقصى درجة في هذا الإحساس.

فما يحدث له يقوده دون وعي منه.. إلى ألعن معركة في حياته كلها.

معركة ضد الشيطان نفسه.

(((- رعشـــــات -)))

"واغفر لنا خطايانا.. لأننا نحن أيضًا نغفر لكل من يذنب إلينا

ولا تدخلنا في تجربة.. لكن نجنا من الشرير"

إنجيل لوقا

الإصحاح ١١

مرت عدة أيام بمنتهى الهدوء، وجاء يوم عيد ميلاد ريجان.. كان يومًا رائعًا بحق، حاولت الأم كريس أن تجعله يومًا مميزًا لا يشاركهما فيه أي مخلوق آخر.. صحيح هي تشعر بداخلها كأم أن ابنتها قد طرأ شيء ما خفي على حياتها.. شيء مبهم.. لا تستطيع أن تلمسه أو تراه بعينيها.. ولكنها واثقة أنه موجود بغريزتها.. كل شيء أمامها طبيعي.. ابنتها لا تشكو من أي مرض، ولكن على الرغم من هذا هي لا تعرف السر وراء هذا الشعور الغريب الذي يتملكها كلما نظرت في وجه ابنتها.. بالتحديد في عينيها، وكأن هناك شيئًا ما كان موجودًا واختفى، أو شيئًا ما اقتحم حياتها.

لهذا حاولت قدر الإمكان أن تسعد ابنتها قدر المستطاع، وقد نجحت في هذا تمامًا.

كانت فرصة رائعة لهما.. أن يتجولا طوال اليوم في مدينة واشنطن مع رفيقيهما الوحيدين.. الضحك واللعب وإطلاق النكات.

ومع كل مكان جديد كان هناك العديد من الصور الفوتوغرافية تخليدًا لتلك الذكرى.. وهناك عند النصب التذكارى للجندي المجهول كان هناك ذلك العرض للجنود مع موسيقى المارش العسكري.. وعلى الرغم من أنه لا يوجد تمثال بالمعنى الحرفي للكلمة وإنما قاعدة رخامية كبيرة كُتب عليها بحروف أنيقة:

"هنا يرقد بسلام وشرف.. الجندي الأمريكي المجهول لنا.. ولكن للرب معلوم".

توقفت ريجان طويلاً تحدق في تلك الجملة وكأنها لعبت على وتر دقيق في روحها القلقة، ودون أن تدير عينها قالت لأمها:

- لماذا يموت الناس؟

نظرت أمها إليها بحيرة وهي تبحث في عقلها عن إجابة مقنعة مرضية لها.. ولكنها فشلت، لتقول لها بعد لحظات صمت:

- لأن الناس تمرض.

- ولماذا يدعنا الله نمرض؟

ردت عليها أمها وهي تمسح شعرها:

- إن الله رحيم بنا يا ريجان.. لا يريد أن نبقى إلى الأبد على هذه الأرض.. لهذا هو يريد أن يعيدنا إلى الجنة.

التفتت اليها ريجان ببطء، وهي تقول لها وعقلها يسبح في مكان آخر:

- يعيدنا إلى الجنة.. أم إلى الجحيم؟

*****

انتهى اليوم، وطوال الطريق إلى المنزل كانت جملة ريجان تدوي في عقل أمها كالرعد:

يعيدنا إلى الجنة.. أم إلى الجحيم.

يعيدنا إلى الجنة.. أم إلى الجحيم.

لم تتخيل أن تنطق في يوم من الأيام ابنتها جملة قاسية كهذه.. اللعنة، أي تغيير يحدث لك ريجان.. في المساء كان الجو خريفيًا به لمسة باردة.. أوراق الشجر المتساقطة بنشاط تملأ فناء المنزل.. بوجه عام كان كل شيء هادئًا في الخارج يحمل لمحة من حزن طبيعي.

أما في داخل المنزل فكانت هناك عاصفة.. اسمها كريس.. كانت تشعر بالحنق من أن طليقها ووالد ابنتها ريجان لم يهتم أو يتذكر حتى عيد ميلاد ابنته ريجان.. ولم يكلف نفسه حتى الاتصال بها ليشاركها عيد ميلادها ولو بتهنئة بسيطة.

لهذا قررت هي أن تتصل به لتخرج معه انفعالها وثورتها على الهاتف، لعله يخفف من بركان الغضب المشتعل في أعماقها.

وعلى باب الحجرة وقفت مساعدتها شارون تراقبها في قلق.. هي لم ترها منفعلة هكذا من قبل.. أما كريس فكانت تصب جام غضبها على عامل التليفون الأحمق الذي لم يعرف كيف يقوم بتحويل مكالمة إلى فندق (أكسلسيور) في روما.. لم تجد أمامها سوى أن تطلق اللعنات على

عامل التليفون.. في النهاية رمت الهاتف من يدها وهي تحترق داخليًا من شدة ثورتها.

أما في نهاية الممر بالتحديد عند باب حجرة ريجان.. وقفت هذه الأخيرة.. مسندة ظهرها إلى باب غرفتها.. تستمع إلى كل هذا.. في النهاية شعرت بالملل من كل شيء حولها.. لتتجه إلى فراشها وهي تحدق بعيون خاوية نحو كل شيء في حجرتها.

وبداخلها كانت هي الأخرى تعرف يقينًا أنها ليست على ما يرام..

وأن هناك شيء شنيع بداخلها.. ينمو.

شيء مجهول..

لا تعرف ما هو.

*****

لم تشعر كريس بالوقت وهي نائمة.. كان جسدها يئن من إرهاق اليوم، نامت وكأنها جزء من غيبوبة.. وما ساعدها على هذا هو الهدوء الشديد المحيط بالمنزل.. ولكن اخترق كل هذا الصمت رنين الهاتف المزعج، وكأنه يصر ويتلذذ بقتل كل هذا الهدوء بعد منتصف الليل.

كانت مكالمة من صديقها المخرج (بورك دينجز)، أخبرها بكلمات سريعة أن تستعد غدًا لإعادة تصوير مشهد اكتشفوا فيه بعض الأخطاء..

مازال إحساس الغيبوبة يسيطر على عقلها وجسدها كله.. إرهاقها طوال اليوم.. ثم مشاجرتها مع عامل الهاتف الأحمق، ثم الآن يقلقون راحتها.. شعرت أن هناك شيئًا ما ينام بجانبها في فراشها.. أجفلت بشدة.. ولكنها فوجئت أن هذا الشيء ما هو إلا ابنتها ريجان.. والتي نامت بجوارها لأول مرة منذ مدة طويلة للغاية.. منذ أن أصبح لها غرفة خاصة بها.. لتسألها باهتمام:

- ماذا تفعلين هنا حبيبتي؟

ردت عليها ريجان بصوت نائم:

- سريري كان يهتز لهذا لم أستطع النوم بغرفتي.

قالت جملتها وأولتها ظهرها لتكمل نومها.

أما كريس فقد عقدت الدهشة والصدمة لسانها.. فلم تعرف ماذا تقصد ابنتها بأن سريرها كان يهتز!

شعرت بخوف مبهم بداخلها.. وعادت أجراس الإنذار تدق بعنف..

اللعنة، هناك فعلاً شيء ليس على ما يرام بخصوص ابنتها.

وستفعل المستحيل لتكشف هذا السر..

مهما كلفها الأمر..

ولو حتى حياتها هي شخصيًا.

*****

لم تدرِ كم مرّ عليها من الوقت وهي تائهة في أسئلتها الداخلية بخصوص ابنتها.. لقد فقدت الإحساس بعامل الوقت وهي في تلك الغيبوبة المرهقة.. حتى اقتحم ذلك الصوت الغريب أذنيها..

ألف لعنة، إنه نفس ذلك الصوت إلى كان يصدر بوضوح منذ عدة أيام فوق رأسها.. في تلك الحجرة أعلى حجرتها..

استجمعت شجاعتها وارتدت روبها واتجهت إلى الممر الخارجي.. وبيدها أمسكت تلك الرافعة لتفتح الكوة الخاصة بتلك الغرفة.. ومنها جذبت ذلك السلم المطوي، هالها أن هناك عطلاً في مفتاح الكهرباء الخاص بها.. أمسكت شمعة وبدأت أولى خطواتها المرتعشة لتعرف سر مصدر ذلك الصوت.

في فراشها، أو بمعنى أدق في فراش والدتها، كانت ريجان مستلقية تتظاهر بالنوم.. تنظر بخوف مبهم إلى السقف، وذلك الصوت الكئيب يخترق كل خلية في جسدها..

أما كريس فقد دخلت تلك الغرفة المليئة بالكراكيب، ارتطمت بتلك الحافة المدببة لتطلق صيحة ألم وهي تمسك قدمها.. كانت تجوب ببصرها كل أركان الحجرة محاولة على ضوء الشمعة الباهت أن تخترق ببصرها حاجز الظلام..

فعلاً وجدت كل شيء نظيفًا كما كان يقول خادمها كارل.. بل وجدته فعلاً قد وضع في كل ركن مصيدة لاصطياد الفئران كما أمرته، ولكنها حتى لم تجد فأرًا واحدًا!

هتفت في عقلها: إذن ما السر وراء هذا الصوت الغريب؟!

وسط الظلام وهذا الجو الخانق، وعلى الرغم من أن الصوت يأتي من كل مكان حولها.. صوت شعرت بالحيرة تجاهه.. لم تعرف أو تحدد مصدره.

فجأة وجدت خادمها كارل أمامها يحمل كشافًا قويًا.. فأجفلت بشدة لأنها لم تشعر بقدومه، فقال لها بلهجة أدهشتها:

- ألم أقل لك يا سيدتي إنه لا توجد أي فئران.. إن المكان نظيف تمامًا.

- ولكن كارل، ألم تسمع هذا الصوت الآن؟

قال كارل باهتمام واضح:

- أي صوت سيدتي؟ في الحقيقة لم أسمع أي صوت.. لقد جئت هنا لأنني سمعت صوتك وأنتِ تصرخين.

- لقد صرخت لأن قدمي ارتطمت بهذه الحافة المدببة هناك..

- ولكن أي صوت كنتِ تقصدين سيدتي؟!

شعرت بالعجز ولم تعرف ماذا تقول له بخصوص هذا الصوت الغامض.. كما أنها شعرت بالدهشة أيضًا لأن الصوت قد توقف فجأة، فتركت كارل وعادت إلى غرفتها وفراشها مرة أخرى.

ولأن غرفتها كانت شبه مظلمة بتلك الإضاءة الخافتة.. فلم ترَ أن ابنتها ريجان تحدق بها..

بمعنى أدق كانت تحدق في كل شيء حولها بخوف واضح.

*****

في اليوم التالي صباحًا في تلك الكنيسة الملحقة بجامعة واشنطن.. كان أسقف الكنيسة يمشي بخطوات سريعة نشطة وهو يحمل بيده باقتين من الزهور الرائعة.. ليضعهما عند قاعدة تمثالين للعذراء في مصلى الكنيسة.. كان يعشق الزهور ويرى أنها تُضيف لمسة رقيقة جمالية على هذا المكان الروحاني المقدس..

في بهو الكنيسة انحنى باحترام شديد أمام الصليب الكبير.. واتجه نحو المذبح ووضع باقة عند قاعدة تمثال العذراء وهي تحمل المسيح طفلاً.. واتجه إلى الناحية الأخرى ليضع الباقة الثانية، ولكنه صدم صدمة عمره.. وهو يهتف بشدة:

- بحق المسيح.. أي عبث شيطاني هذا!

قالها في رعب وهو ينظر بدهشة وفزع.. فأمام عينيه كان واحد من ألعن كوابيسه قد تحقق في بهو الكنيسة.

وجد أمامه تمثال العذراء الأبيض النقي.. قد تلطخ بالدماء في كل جزء منه.. هناك يد شيطانية قد امتدت إليه.. لتدنسه بشكل مروع، ليس هذا فحسب ما أثار فزعه.. بل كانت هناك قضبان قد اخترقت التمثال دون أن يتحطم، وهذا ما أثار خوفه أيضًا..

قضيبان أسودان بشعا المنظر اخترقا صدر التمثال.. وقضيب آخر اخترق أسفل بطن التمثال.

وفي أعمق أعماقه.. هتف بخوف شديد:

- يا إلهي الرحيم.. ارحمنا.

*****

يومان مرا على هذا الحادث الغريب في بهو الكنيسة، ولم يتوصل أي كائن إلى تفسير لهذه الأحداث الشيطانية غير المنطقية.. أيضًا انتهت كريس من تصوير كل مشاهد فيلمها الجديد.. في الحقيقة لقد بذلت جهدًا مضاعفًا لتنهي التصوير بأي ثمن كي تعتني بابنتها ريجان.

كانت تريد أن تطمئن على صحتها، لهذا اصطحبتها إلى صديقها دكتور (كلين)، كانت تثق فيه وفي تجهيزات المستشفى التي يعمل بها، وأيضًا في طاقم تمريضه.

هناك في حجرة الانتظار جلست كريس تقتل الوقت بممارسة هوايتها في التطريز، كانت عيناها مع حركة الإبرة في النسيج، ولكن عقلها وقلبها كان هناك مع ابنتها ريجان في حجرة الكشف وفحوصاتها الطبية.

بمعدل كل دقيقة كانت تنظر إلى ساعة الحائط الضخمة المعلقة أمامها.. في غرفة الكشف كانت ريجان جالسة ترتدي ثياب المستشفى البيضاء القصيرة، وقد بسطت ذراعها أمامها للممرضة لتسحب منها عينة دم لتحليلها.. أخذوا منها عينة بول، والآن جاء الدور لعمل رسم كهرباء كامل لجسدها كله.. نائمة مستلقية بهدوء على سريرها الطبي بكامل جسدها، أوصلوا العديد من الأقطاب الكهربائية التي تقيس وتسجل كل همسة في جسدها.

ومع صوت أزيز الجهاز المميز وحركة الإبرة المجنونة التي تُطلق صراخها على الورق: وقفت الممرضة تتابع كل هذا باهتمام شديد.. أما ريجان

فلم تتفوه بكلمة واحدة، صحيح هي كانت صامتة كالقبر إلا أن عينيها كانتا تشعان ببريق غريب.. بريق شرس إلى حد ما، وأمام وجهها كانت ترتسم خيالات لوجه شيطاني للحظة ويختفي.

يظهر ويختفي كالومضة، ولكنها لم تخبر أحدًا بهذا.. إلا أن اتساع عينيها برعب كان ينبئ أن جسدها ليس على ما يرام.

جاء دكتور كلين وبيده شوكة رنانة يقيس بها سرعة استجابة أعصابها ومناطق الإحساس لديها، لم تنظر له ريجان أبدًا وأدارت وجهها للناحية الأخرى في اشمئزاز، ليقول لها دكتور كلين:

- ريجان، أخبريني إذا شعرتِ بأي اهتزازات.

لم تعره أدنى اهتمام، أو يبدو أنها شعرت أصلاً باهتزازات الشوكة الرنانة فوق قدمها:

- ريجان؟! هل تشعرين بهذا؟

لم ترد عليه مما دعاه أن يقول لها مرة أخرى:

- ريجان، هل تشعرين بشيء؟

التفتت إليه وهي تقول له بشراسة غير معهودة منها:

- لا أشعر بأي شيء

على الرغم من لهجتها القاسية استمر في فحصها، كان يقيس درجة حرارتها عن طريق جهاز متصل بسلك يوضع في فمها وعلى شاشته تتحرك أرقام.. لم تتحمل ريجان مذاقه المعدني البارد، لتطوح الجهاز بعيدًا وهي تقول بلهجة متحدية:

- لا أريد أي شيء منك أو أي فحوصات.

تركها دكتور كلين وغادر الغرفة تاركًا ممرضته مع ريجان، وكانت مشغولة في ترتيب نتائج الفحص.. وخلفها كانت ريجان واقفة ووجهها للحائط.. تزوم بأصوات غريبة.. وبجسدها تدور حول نفسها ببطء وتراخي وهي ترفع ذراعها في الهواء.. شعرت الممرضة بالتوتر والقلق من تلك الأصوات غير المفهومة.. تمنت أن تنهي عملها سريعًا لتفر من هذه الفتاة الشيطانية.

أما في غرفة دكتور كلين فقد جسلت كريس بهدوء تنتظره بعد أن علمت أنه أنهى فحص ابنتها.. وأمام عينيها قال لها دكتور كلين وعلى وجهه تلك الابتسامة إلى يجيد صنعها حينما يبدأ في الكشف عما لديه من معلومات:

- خلل في الأعصاب، هذا ما نعتقده، ولا نعرف له أسبابًا على وجه التحديد، غالبًا هذا الخلل يظهر في السنوات الأولى مع فترة المراهقة، وأعراضه تنطبق تمامًا على ريجان.

خلع معطفه الأبيض وجلس خلف مكتبه وهو يكمل حديثه:

- حتى أداؤها في اختبار الرياضيات غير مرضي تمامًا.

ردت عليه كريس في دهشة محاولة أن تفهم:

- وما علاقة صحة ابنتي يا دكتور باختبار الرياضيات؟!

- إن المرض يؤثر على قدرتها على التركيز، ومع اختبار كهذا نكتشف إلى أي مدى قل تركيزها.

أمسك قلمه وهو يكتب لها روشتة علاجية:

- سأكتب لها دواء (الريتالين)، ستأخذ منه جرعة يومية مقدارها ١٠ ملليجرام.

- هل هو مهدىء؟

- بالعكس إنه عقار منبه للقشرة المخية.

هتفت بدهشة غير مصدقة:

- منبه! اللعنة.. إنها منتبهة للغاية، دكتور.. إنها لا تنام أصلاً.. دائمًا عيناها مفتوحتان وتحدق في لا شيء.

- سيدتي، إن حالتها المرضية ليست كما تبدو لك من أنها منتبهة، لا أحد يدرى سبب النشاط الزائد أو الانتباه الزائد عند المراهقين، وعقار الريتالين سوف ينبه مناطق معينة في

مخها ويهدىء أعرضًا أخرى لديها، لكن في الحقيقة بوجه عام لا أحد يعرف على وجه اليقين ماذا يحدث لها.. قد يكون كل هذا أعراض ناتجة عن حالة اكتئاب مثلاً، لكن في الحقيقة هذا خارج تخصصي ونحتاج إلى رأى استشاري نفسي.

- لكن ابنتي ليست مكتئبة، ولم يعرف الاكتئاب طريقًا لها في أي وقت مضى.

شبك دكتور كلين أصابعه أمام وجهه وهو يقول لها في هدوء:

- ولكنك أخبرتيني عن موضوع والدها والانفصال، وأنها تفتقده.

لم ترد عليه، وظلت لحظات صامتة تحدق في عينيه، ثم قالت:

- هل تعتقد، أو بمعنى أدق هل أنت واثق أنك تريد مني أن أذهب بابنتي إلى طبيب نفسي.

- حاليًا لا.. ولكن أعتقد أنه يجب أن ننتظر حتى نرى ما سيفعله عقار الريتالين، هذا هو الحل الصحيح.

واستطرد بلهجة مشجعة:

- أعتقد أن هذا هو الحل الأمثل لحالة ريجان.

تذكرت كريس شيئًا ما فقالت له:

- حسنًا دكتور. ولكن ماذا عن كل تلك الأكاذيب التي تحكيها دائمًا؟ هل تلك الأكاذيب جزء من مرضها؟

أثارت تلك النقطة اهتمام دكتور كلين، فقال لها:

- أكاذيب؟ أي نوع من الأكاذيب تقصدين؟

- مثلاً تقول إن سريرها يهتز ليلاً.. لهذا هي تنام بجانبي الآن.

تجاهل دكتور كلين جملتها الأخيرة، ولم يعلق عليها على الرغم من غرابتها، وهو ينهض من خلف مكتبه ليقف متكئًا مشبكًا يديه أمام صدره، وهو يقول لها مفكرًا:

- هل تعلمين أن ابنتك تسبّ بألفاظ بذيئة للغاية؟ أعتقد أنه نفس الشيء بالنسبة للكذب في تلك الحالة التي تمر بها ريجان، فالكذب يعتبر شيئًا متوقعًا.

صُعقت كريس من حديثه وردت بحيرة:

- حقًا لم أعد أفهم أي شيء.. طوال حياتها لم أسمعها ولو لمرة واحدة تقول أي ألفاظ خارجة أو تسبّ أي شخص، بالعكس دائمًا كانت هادئة وتعامل الناس بحب واحترام.. أخبرني ما الذي قالته لك بالضبط، دكتور؟

تردد لحظة قبل أن يقول لها:

- في غرفة الكشف كنت أنزع ملابسها لأفحص جسدها كإجراء طبيعي.. ثم...

شعر بحرج بالغ فلم يستطع نطق حرف واحد.. فما كان من كريس إلا أن هتفت به وقد قتلها فضولها:

- ماذا قالت يا دكتور؟

- على وجه التحديد قالت بلهجة شرسة لم أرها في حياتي، وبنظرة مخيفة، أمرتني ألا ألمس أعضاءها التناسلية اللعينة!

صُعقت كريس من رد ابنتها.. وشعرت بالحرج الشديد، هي لم تتوقع أبدًا في حياتها أو تتخيل أن يأتي علها يوم تسمع أن ابنتها قد نطقت هذه الكلمات بمنتهى الجراءة أمام أي شخص مهما كان.. وفي جزء من عقلها كان شعور الخوف يتزايد على تطور حالة ابنتها، لهذا قالت في حيرة:

- لا أصدق أن ابنتي الوحيدة تقول هذا بمنتهى الوقاحة.. هل تعتقد أن الطبيب النفسي سيكون مفيدًا في حالتها؟

- أعتقد أنه علينا أن ننتظر ونرى نتيجة الدواء.. ويجب ألا تقلقي، كل شيء سيكون على ما يرام.

بداخلها شعرت أن الطبيب يطلب منها المستحيل. كيف لا تقلق على ابنتها وهي تراها أمامها تتحول إلى شيء مختلف؟!

بدون إرادة منها دوت الكلمة التي نطقتها ريجان إلى الطبيب وظلت تتردد في داخلها..

فما كان من كريس إلا أن هتفت بصوت لم يغادر جسدها:

أي عبث شيطاني يحدث لك يا ريجان؟!

*****

في نفس ذات اللحظة، ولكن في الناحية الأخرى من مدينة نيويورك، كان القس الأب داميان كاراس يجري كالمجنون ليرى والدته التي تم نقلها إلى مصحة نفسية بعد أن ساءت حالتها للغاية..

هناك وجد خاله بانتظاره في طرقات المصحة الفقيرة القذرة، قال له بتوتر شديد:

- لقد أثّر الورم على مخها، هل تفهم ما أعني؟ لقد كانت تصرخ باستمرار وهيستيريا وهي بمفردها في شقتها، حتى إن الجيران اتصلوا بالنجدة، وعندما حضروا وجدوا حالتها شنيعة، حتى إنها لم تدع أي طبيب يقترب منها أو حتى يفحصها.. بل إن أحد الجيران أقسم أنه كان يستمع إلى صوتها كل ليلة وهي تتحدث مع أشخاص وهميين.

بغضب شديد ولهجة لائمة صرخ داميان في وجهه وهو يقول:

- كان يجب أن تتصل بي عندما حدث كل هذا منذ البداية. لا بعد أن تنقلها إلى مصحة حقيرة كهذه النفاية!

لم يرد عليه خاله أو يجادله حتى وصلا إلى غرفة الممرضة المسؤولة عن عنبر النساء.. دخل الخال وهو يقول باحترام للممرضة:

- ميس.. نريد رؤية السيدة كاراس.

- هل لديك موعد مسبق؟

- طبعًا.

نظرت إليه الممرضة السوداء بنظرة متفحصة، وهي تسأله بنفس الصوت البارد الخالي من أي مشاعر:

- هل أنت قريبها؟

- نعم، أنا أخوها وهذا هو ابنها الأب داميان كاراس.

قالت له الممرضة وهي تلتقط سلسلة مفاتيح عملاقة معلقة على الحائط.. سلسلة مفاتيح جديرة بسجن لا مصحة نفسية:

- انتظر هنا.

لم يشغل الأب داميان نفسه بكل هذا الحديث المتخلف الذي دار هناك، بل كان بصره وعقله وكل كيانه يراقب العنبر من خلال فتحات السلك الصلب الذي يعزل العنبر تمامًا عن باقي المصحة.. هاله كل هذا الفقر الشنيع.. وهو يرى كل هؤلاء المرضى النفسيين المهملين في كل مكان وكأنهم قاذورات.. اللعنة على الفقر، وألف لعنة على من ابتدع المال.. لماذا كُتب على الفقراء أن يتعذبوا ويُهانوا على طول الخط؟ هنا في صفيحة القمامة التي يقف بداخلها لا توجد أي حقوق إنسان.. هنا توجد مصحة للكلاب الضالة.

والآن أمه أصبحت جزءًا من عالم الكلاب، حتى وإن كانت تحمل ملامح البشر إلا أنها في نظر المجتمع ليست أكثر من مجرد أنثى كلب ضالة.

ويبدو أن خاله قرأ ما يدور في عقله، فأمسك يده وهو يقول له:

- لو لم تكن كاهنًا كنت ستكون طبيبًا نفسيًا مشهورًا.. وكانت أمك لتعيش في شقة جيدة، وكنا سنعتني بها بدلاً من أن نحضرها إلى هذا المكان.

فتحت له الممرضة باب العنبر، وبخطوات مرتعشة خطا الأب داميان بساقيه المترددتين للغاية.. أشارت له الممرضة السوداء إلى آخر العنبر الذي يوجد به عشرات الأسرّة، وهي تقول بلا مبالاة أثارت حنقه إلى أقصى درجة:

- ستجد أمك على السرير الأخير من الجهة اليسرى.

هيئته كانت متنافرة للغاية مع المكان بالداخل.. بملابسه السوداء المميزة للكنيسة.. بدون سابق إنذار هجمت عليه مجموعة من النساء المرضى النفسسين وهن يصرخن.. خلصته الممرضة من أيديهن.. بخطوات بطيئة اتجه نحو سرير أمه وعيناه تجوبان المكان..

يا إلهي الرحيم، ما كل هذا البكاء وأنّات العذاب.. إن الموت هو السبيل الوحيد لخلاص كل هؤلاء المساكين.

أمام سرير والدته وجدها مستلقية لا حول لها ولا قوة.. تبكي بصمت.. أثاره منظرها فشعر كم هو حقير.. واختلج قلبه في أعماقه بتأنيب الضمير.. اقترب منها أكثر وهو ينادي عليها بصوت باكٍ.. التفتت إليه ببطء.. وعيناها تحملان شلالأ من الدموع.. دموع ساخنة أحرقته بأكثر مما ألمته.. فقالت له معاتبة:

- لماذا فعلت هذا يا داميان؟ لماذا؟

- أمي، سأخرجك من هنا.. سآخذك إلى البيت.

أدارت وجهها إلى الناحية الأخرى واستمرت في البكاء.. حاول أن يتحدث معها، ولكنها كانت قد اتخذت قرارًا في أعماقها.. لن تنظر له مرة أخرى حتى تموت.. من يبيعها بسهولة.. لا يستحق حتى أن تتحدث معه.

لم يدرِ ماذا يفعل.. شعر كم هو صغير، بل كم هو يتضاءل الآن.. كم أصبح العالم كبيرًا من حوله.. إنه يكره نفسه.. لا، هو يحتقرها، هذا هو الوصف الأدق.

في الخارج تحدث مع خاله وتوسل إليه بلهجة باكية:

- هل بإمكانك وضعها في مكان آخر أفضل من هذا؟

رد عليه خاله باستنكار:

- مثل ماذا؟ مستشفى خاص مثلاً؟ من لديه المال لذلك داميان؟ أنت أم أنا؟!

كان يعرف أن كل حرف نطق به خاله لا سبيل لمناقشته.. إنهم بالكاد يعيشون، فكيف له تدبير نفقات مستشفى خاص؟

طوال الطريق إلى واشنطن لم يكفّ عن لوم نفسه.. أهمل والدته.. ولن يغفر لنفسه هذا أبدًا إلى أن يموت.

وفي جامعة جورج تاون.. في صالة الملاكمة الرياضية.. وقف الأب داميان بملابس رياضية يُخرج كل إحباطه وكرهه لنفسه بضرب كيس الملاكمة الثقيل.. تمنى أن تتحطم يداه.. أن يموت وهو يخرج كل كبته في هذه الرياضة العنيفة.

ظل يضرب.. ويضرب.. ويضرب..

حتى تهاوى على الأرض..

من شدة التعب.

*****

٣١ أكتوبر ليس مجرد يوم عادي، ولكنه هنا يوم له مذاق خاص للغاية. إنه عيد الهالوين.. حيث من المفترض أنه واجب مقدس على كل شخص أن يرتدي أكثر الملابس رعبًا، ويضع مكياجًا مخيفًا لكي ينجح في طرد كل الأشباح.. هو يوم غريب ممتع للغاية لكل الأطفال، الذين يقضون كامل وقتهم ينتقلون من منزل إلى آخر ليجمعوا أكبر كمّ ممكن من الحلوى.

استغلت كريس تلك المناسبة مع انتهائها من تصوير فيلمها.. وأقامت حفلاً رائعًا في منزلها دعت فيه كل أصدقائها والمقربين منها، وكانت فرصة رائعة أن تُخرج ابنتها ريجان من حالة الانعزال الشنيعة التي أصابتها..

ولكن كل أحلامها تبخرت كالزئبق المتطاير، فقد لازمت ابنتها الفراش طوال اليوم.. نائمة.. طبعًا لم تعرف كريس أن ابنتها بمعنى أدق تتظاهر بالنوم كلما دخلت حجرتها للاطمئنان عليها.

كان المنزل يعيش أبهى لحظاته.. مضيئًا كشمس منتصف الليل.. في كل ركن تسمع ضحكًا صاخبًا.. وأحاديث متنوعة بين الفكاهة والسياسة أو حتى أحاديث خارجة.. كل هذا كان يسبح تحت أنغام الموسيقى.

وعلى تلك الأريكة التي تتصدر بهو المنزل جلس المخرج جيمس بورك والصديق المقرب من كريس.. منهكًا من فرط الشراب.. غير متزن.. يهذي بكلمات غير مفهومة أثارت استياء كل من جلس بجانبه.

في الركن الآخر وحول تلك المائدة المسديرة جلست كريس ومعها مساعدتها شارون والقس الأب داير.

لاحظت كريس بطرف عينيها أن بورك يُضايق خادمها كارل بمزاح سخيف، ولكنها كانت تعلم أن كارل سيتمالك أعصابه بقدر المستطاع أمام طباع بورك السيئة.. طردت الأمر من عقلها سريعًا وهي تسأل الأب داير باهتمام:

- هناك عند الكنيسة، بالتحديد عند المدخل ذي الإطار الأحمر الطوبي، من الكاهن الذي أراه دائمًا هناك؟ لديه شعر أسود ونظرة حادة جدًا.. كنت تتحدث معه منذ عدة أيام..

صمت لحظات وهو يحاول تذكر من الذي تقصده كريس، ليقول وقد تهلل وجهه:

- آه كريس، إنك تقصدين صديقي الأب داميان كاراس.. هذا مكان مكتبه.. إنه مستشارنا النفسي في الجامعة.

بداخلها شعرت كريس براحة نفسية تتملكها عندما علمت أنه مستشار نفسي.. شعرت أنها ستحتاجه بشدة في الأيام القادمة.

تابع الأب داير حديثه وهو يقول بأسف:

- لقد حدثت في حياته مصيبة قاسية ليلة أمس.. رجل مسكين.. لقد ماتت أمه.. كانت تعيش بمفردها في نيويورك.

شعرت كريس بالأسف لأجله حقًا.. أما الأب داير فقد استمر يحكي لها كل ما يعرفه عن صديقه الأب داميان.. كريس في نفسها احترمت للغاية عدم سؤالها عن السبب في كل أسئلتها المتعلقة بصديقه.

في الجانب الآخر من المنزل..

بالتحديد في المطبخ؛ كان بورك مستمرًا في مضايقة كارل الخادم.. والذي يبدو أنه وصل لنقطة اللاعودة في احتمال سخافات ذلك السكير، فانفجر فيه هو الآخر.. وأمسكه بعنف محاولاً خنقه وهو يقول له بصوت وصل إلى كل الحضور:

- أيها الخنزير بورك، سأقتلك!

تعارك الاثنان بشدة، وتحطمت العديد من الأكواب والأطباق.. وتكهرب الجو في لحظة.. جرت شارون مسرعة هي وكريس وبعض الحضور، وبصعوبة فضوا تلك المشاجرة، لتلتفت كريس إلى بورك وهي تقول له موبخة إياه:

ما مشكلتك يا بورك؟ يكفي ما شربته اليوم! عليك أن تذهب إلى بيتك لترتاح الآن!

سريعًا عاد الحضور إلى ضحكهم وأصواتهم العالية.. وانتبهت كريس إلى أنها لم ترَ ابنتها طوال الساعة الماضية.. انسلت سريعًا من الجميع وصعدت إلى غرفة ابنتها، والتي كانت تسبح في ظلام لا يبدده سوى الضوء الشاحب المتسلل من نافذة الغرفة.. اقتربت منها فوجدتها مستكينة في الفراش نائمة.. غطتها جيدًا ولم تنسَ كعادتها أن تضع قبلة حانية على جبينها وتغادر الغرفة.

وبمجرد أن أُغلق الباب.. فتحت ريجان عينيها، والتي كانت تلمع بلمعة مخيفة وسط كل هذا الظلام المحيط بها.. وكعادتها عادت إلى النظر للعالم المحيط بها بتلك النظرة الثابتة الخالية من أي مشاعر.

في الأسفل استند بورك على كتفي كريس وشارون حتى غادر المنزل، كان يغني بصوت أجش مضطرب بفعل الخمر، التفت إلى كريس وهو يودعها.. أراد أن يقول لها شيئًا ما ثم تراجع عنه، وغادر وهو يقول لها:

- اللعنة عليه.

نظرت كريس إلى شارون وهي تتساءل بدهشة حقيقية:

- ما الذي يقصده باللعنة عليه؟

- أعتقد هو يقصد خادمك كارل.

- لا يا شارون، أنا أعرف بورك جيدًا.. هو يقصد شخصًا آخر، أو بمعنى أدق شيئًا آخر.. إنني أعرف جيدًا تلك النظرة في عينيه حينما يكون هناك شيء غريب في حياته.. عامة حينما يفيق غدًا سأتحدث معه لأعرف ماذا هناك.

التفّ الجميع حول الأب داير وهو يعزف البيانو.. بصوته غير المحترف أطلق أغنياته.. وردد خلفه الحضور أغنية مرحة.. كان الجميع منشغلاً بالغناء والضحك..

منشغلاً لدرجة أن أحدًا لم يشعر بباب غرفة نوم ريجان يفتح بهدوء..

منشغلاً لدرجة أن أحدًا لم يشعر بها وهي تنسل زاحفة على السلم بهدوء جدير بأفعى محترفة..

وجدوها أمامهم ترتدي ملابس النوم البيضاء الطويلة.. واقفة بثبات حافية القدمين..

كان أول من رآها هو الأب داير.. لهذا توقف عن الغناء وهو ينظر إليها وعلى نظرات عينيه التفت الجمع ليروها..

قال لها مداعبًا:

- أعتقد أن لدينا ضيفة من نوع خاص.

نظرت كريس سريعًا لترى ما الذي يقصده الأب داير.. وانصعقت حينما وجدت أمامها ابنتها ريجان.. كانت ستنطق بشيء ما إلا أن ابنتها سبقتها ولم تعطها الفرصة لتنطق حرفًا واحدًا. وهي تحدق في الجميع وتقول لهم بلهجة آلية خالية من أي مشاعر:

- جميعكم سيموت بالأعلى.. داخل غرفتي.

نظر إليها الجميع بتعجب وعدم وفهم، ونقلوا أبصارهم بينها وبين أمها كريس:

ومن عند قدميّ ريجان الصغيرتين الحافيتين.. كانت هناك مياه تتساقط من أعلى جسدها.. بمعنى أدق كانت تبول على نفسها أمامهم جميعًا بدون أن تهتز أو تتحرك أو حتى تشعر بما يحدث لها.

شعرت باقي النساء بالحرج الشديد..

أما كريس فقد زلزل أعماقها رؤية ابنتها تبول هكذا واقفة أمام كل هذا الحشد من المدعوين.. اتجهت إليها منزعجة وهي تضمها إلى صدرها وتقول بلهجة شبه باكية:

- يا إلهي، ما الذي يحدث لك ريجان؟

لم تنطق ابنتها بكلمة واحدة.. فما كان من كريس إلا أن التفتت إلى ضيوفها تقول معتذرة والحرج يقتلها:

- أنا آسفة.. ابنتي مريضة وهي لا تدرك ما الذي تقوله أو تفعله.

سريعًا انصرف الجميع بعد أن تعكر صفو الجو تمامًا.. أصبحت ليلة كئيبة جديرة فعلاً بليلة الهالوين.. هكذا هتفت كريس في أعماقها وهي تحمم ابنتها ريجان في حمامها الخاص بعناية لإزالة آثار البول ورائحته الشنيعة من على جسدها.

في البانيو الأبيض الناصع انكمشت ريجان على نفسها.. هادئة.. صامتة.. نظراتها ثابتة لا تتحرك.. تحدق في لا شيء.

مما دعا أمها أن تسألها باهتمام:

- ريجان ما الذي جعلك تنطقين تلك الجملة الغريبة بأسفل؟ ولماذا سيموت الجميع في غرفتك بالتحديد؟

لم تعرها ريجان أدنى اهتمام وكأنها لم تسمعها..

أنهت كريس تنظيف جسد ابنتها ريجان وألبستها ثيابًا نظيفة وحملتها إلى فراشها وغطتها جيدًا، واستعدت لمغادرة الحجرة إلا أن ابنتها فاجأتها وهي تقول لها:

- أمي، ماذا أصابني؟

أخيرًا نطقت ابنتها، لهذا تمالكت كريس دموعها بصعوبة وهي تحتضن كف ابنتها الرقيق وتقول لها بلهجة حاولت أن تكون أكثر اطمئنانًا:

- لا شيء حبيبتي.. إنه كما قال الدكتور يا ريجان مجرد توتر عصبي، وهذا كل شيء، وأنتِ تأخذين الدواء بانتظام وستصبحين حقًا على ما يرام.

من نظرات عين ابنتها شعرت أن كلماتها لم تترك في أعماقها الصدى المنشود، شعرت بالعجز ولم تعرف ماذا تقول أكثر من هذا، فتركتها بهدوء وهي ساهمة تفكر في كل ما يحدث لابنتها، أصبحت الآن أكثر حيرة وتشعر بأن الأمر يفوق نطاق الطب.. شعرت فعليًا أنها بمفردها ووحيدة، لا تعرف كيف تساعد ابنتها المساعدة الحقيقية التي تستحقها.

وجدت بالأسفل الخادمة تغسل وتنظف آثار البول من على السجادة الفخمة.. كانت تهمّ بسؤالها عن شيء ما حينما اقتحم صراخ ابنتها الشديد هدوء المنزل.. كانت ريجان تصرخ وهي تنادي أمها.

بسرعة البرق صعدت كريس السلالم.. كانت أضواء المنزل ترتعش هي الأخرى وكأنها أصابتها الحمى..

بخوف اقتحمت غرفة نوم ابنتها.. ليرتسم على وجهها رعب شديد.

فمع صراخ ابنتها المريع القادر على إيقاظ الموتى أنفسهم.. تجمدت كريس من الخوف وهي ترى فراش ابنتها وكأن ألف يد شيطانية خفية تحركه في كل اتجاه، حتى إن جسد ابنتها كان يرتفع ويرتطم به بشدة.

صرخت ريجان وهي تمد يدها محاولة أن تتمسك بيد أمها..

ارتمت كريس على الفراش محاولة أن تزيد الثقل عليه ليهمد قليلاً..

ولكنها كانت واهمة، فقد استمر الفراش في الحركة العنيفة وهو يحمل جسدهما معًا.

ومع صراخ ابنتها المستمر الهستيري.

هتفت كريس في عقلها:

أي أفعال شيطانية استحوذت على هذا المنزل وعلى ابنتها؟

أيقنت الآن.. أنها تعيش ألعن كوابيس حياتها مع ابنتها الوحيدة.

*****

في ساعة متأخرة من نفس الليلة وصل الأب داير إلى سكنه الداخلي في جامعة جورج تاون بعد أن أنهى الحفلة مع صديقته كريس.. طوال الطريق كان يفكر في كلام كريس وأسئلتها حول صديقه الأب داميان..

ثم تلك النهاية الشنيعة للحفلة.. وتبول ريجان أمام الجميع.. في أعماقه شعر أن هناك شيئًا ما خفي ليس على مايرام يدور في بيت صديقته كريس، وهو كما يبدو للجميع متعلق بابنتها.. ومن الواضح أن الأمور تتجه إلى كارثة محققة.

قطع حفل أفكاره وصوله إلى حجرة صديقه الأب داميان كاراس.

فتح الباب ليفاجأ بسحابة خانقة من دخان السجائر تعبئ جو الحجرة، وعلى الأرض بجانب الفراش الصغير كانت توجد مطفأة سجائر مليئة عن آخرها بالأعقاب.. وبجانبها زجاجة خمر كبيرة من نوع ويسكي اسكوتش، شارفت على الانتهاء هي الأخرى.

من الواضح أن صديقه داميان يمر بألعن حالة اكتئاب وحزن شاهدها في حياته.

لهذا جلس بجانبه وهو يقول له معاتبًا:

- داميان، صديقي، هل تحاول قتل نفسك بكل تلك السجائر والشراب؟

نظر له داميان نظرة حزينة، ولم يتمالك نفسه فبكى بحرقة وهو يرد عليه بلهجة تفوح منها رائحة اللوم وتأنيب الضمير:

- كان يجب أن أكون هناك معها دائمًا.. بجانبها.. أرعاها.. أحافظ عليها.. ولكنني تركت كل هذا خلف ظهري كالجبان.. بل إنني حتى لم أكن معها في آخر لحظات حياتها.

- ولكن داميان، لم يكن بيدك شيء تفعله ولم تفعله، لقد كنت بعيدًا عنها من أجل عملك وهي قد ارتاحت الآن.. الآن هي بين يدي الرب يراعها أفضل منك.. هوّن على نفسك يا صديقي.. إنها سُنّة الحياة، وهذا قدرها أن تموت بمفردها.. أرح جسدك يا داميان وحاول أن تنام.. غدًا صباحًا قداس والدتك وسيكون يومًا شاقًا لك في الكنيسة حتى تنتهي من كل طقوس دفنها.

ساعده على النوم وأطفأ كل أنوار الحجرة وأخرج كل أعقاب السجائر الخانقة، ونظر له نظرة مشجعة وهو يقول مغادرًا الحجرة:

- أتمنى لك نومًا هادئًا يا صديقي العزيز.

ولكن أمنية الأب داير لم تتحقق للأسف الشديد..

فطوال الليل كان الأب داميان يتقلب في فراشه كالمحموم، بفعل كل الكوابيس التي راحت تنهال على عقله وحوّلت ليلته إلى واحدة من أشنع الليالي التي عاشها في حياته..

وككل الأحلام كانت الصورة باهتة.. صامتة.. تغوص في مستنقع جحيم الأبيض والأسود

اقتحم عقله صورة لقلادة فضية قديمة نسبيًا.. عليها نقوش لم يفهم منها شيئًا، كانت تهبط عليه من أعلى، شعر أنها تنبت من العدم نفسه.

وأمامه كان يجري كلب أسود بلون الليل.. يجري برعب.. شعر أنه يرى في هذا الكلب الشيطان متجسدًا.. كان الكلب ينبح على الرغم من أنه لم يسمع صوت نباحه، ولكن كل شيء في هيئته يقول إنه ينبح بسعار.

رأى أمه الميتة تخرج من محطة المترو في ذلك الشارع المزدحم في مدينة نيويورك.. واقفة ثابتة ترتدي السواد، ومع شعرها الرمادي كان شكلها مخيفًا.

رأى نفسه واقفًا أمامها على الجهة المقابلة للشارع.. كان ينادي عليها.. يشير إليها بكلتا يديه.

لم يسمع صوت نفسه أو حتى صوت أمه.. ولكنه عرف من حركة شفتيها أنها تناديه هي الأخرى.

اخترق وجه شيطاني مخيف عقله الباطن واستحوذ على الحلم.. كان يُحدق فيه بشدة، وكما ظهر سريعًا اختفى سريعًا كومضة.

عاد إلى أمه مرة أخرى.. يجري ناحيتها يناديها.

ولكن حركته في الحلم كانت بطيئة كعادة كل الحالمين.

تركته أمه وغادرت الشارع وهبطت مرة أخرى إلى محطة المترو لتختفي في ظلامها.

وأمام عقله الباطن كانت ماتزال تلك القلادة الفضية تهوي من العدم إلى العدم..

وشعر داميان أنه هو أيضًا يهوي معها.

إلى الفراغ.. الأبدي.

(((- تحـــولات -)))

"اصحوا واسهروا، لأن إبليس خصمكم كأسد زائر.. يجول ملتمسًا من يبتلعه هو"

رسالة بطرس الأولى

الإصحاح ٥

طوال الليل لم يغمض لكريس جفن واحد.. ظلت تتقلب طوال الليل على جمر من نار.. كانت تنتظر الصباح بفارغ الصبر. ولأنها كانت تنتظر فقد مرت عليها الثواني كسنوات.. وأخيرًا صحت الحياة من غفوتها.

في البداية تمنعت ريجان من الانصياع لأوامر أمها في الذهاب معها إلى مستشفى دكتور كلين.. إلا أن أمها كان بداخلها بركان ثائر يغلي في أعماقها طوال الليل، لهذا أجبرتها بالقوة وحملتها كالذبيحة إلى هناك..

وفي حجرة الكشف كانت الفوضى على أوجها.. كان طاقم التمريض مجبرين على التعامل مع أنثى أسد شرسة.. هائجة تطيح في الجميع بلا رحمة.. امسكتها الممرضات بشدة وكبلوا يديها من الخلف لشلّ حركة جسدها.. أما كريس فقد نجحت في الإمساك بقدم ابنتها ووضعوها بالقوة على الفراش، وابنتها تصرخ بهيستيريا عنيفة:

- لا أريد أي علاج.. لا أريد أي حقن.

سريعًا غرس في ذراعها دكتور كلين حقنة مهدئة سريعة المفعول وهو يقول لها:

- ولكنها مفيدة لك ريجان، وستساعدك على الشفاء.

استمرت ريجان في صراخها الشنيع، ومع إفراغ المحقن في يدها بصقت بقوة في وجه دكتور كلين، وهي تقول له بشراسة:

- أيها السافل اللعين.

في نفس التوقيت في الكنيسة الملحقة بجامعة جورج واشنطن وقف الأب داميان كاراس يقود قداس جنازة أمه.. في ملابس الكهنوت البيضاء الرائعة، وذلك الوشاح الأحمر الناري، والذي تراصت عليه صلبان ذهبية اللون؛ وقف أمام تابوت أمه.. يقول مواجهًا الحشد المتجمع بصوت مغلف بالحزن العميق:

تذكر يا إلهي.. خادمتك ماري كاراس

وتذكر أيضًا كل من ماتوا قبلها

وينامون الآن نومة السلام الأبدية

إلهي

أعترف أنني لست جديرًا لملاقاتك الآن

لكن أدعو لأمي بهذا الدعاء

متمنيًا لها السعادة والراحة الأبدية

وأن تغفر لها ولي

خادمك داميان كاراس.

*****

في حجـرة مكتـب دكتـور كلـين، كانـت كـرس واقفـة تغلي فعليًـا بانتظـار قـدوم دكتـور كلـين ليُفهمهـا ويُعرّفهـا مـاذا يحـدث لابنتهـا.. استرجعت في عقلها كل ما حدث حتى وصلت إلى اللحظة الحالية. لـم تتصـور مطلقًـا أن تصـل شراسـة ابنتهـا لحـد أن تبصـق في وجـه أي كائن مهما كان.

هي لـم ترهـا أبدًا على هـذه الحالـة المزاجيـة اللعينـة.. إن مـن يقبـع هنـاك في حجـرة الكشـف ليسـت ابنتهـا التي ولـدتها وربتهـا وعاشـت معهـا. بل هي كائن آخـر يشـبهها.. شـعرت أنهـا ستُجن مـن كل تلـك النيران المجنونة الجامحة التي تحرق عقلها وكل كيانها. حاولت أن تجـد وسـيلة لتطـرد بهـا كل تلـك الأفكار اللعينـة مـن رأسـها ولكنهـا فشلت. لهذا رفعت بصرها تناجي السماء:

- ماذا يحدث لك ريجان.. أنقذها يا إلهي الرحيم.

اقتحم عليها دكتور كلين الحجرة وأنقذهـا من عذابها. نظرت إليه نظرة سـريعة فـوجدت في عينيه الكثير والكثير. أخرج سيجارة أحـرق فيهـا هـو الآخـر كل مـا بداخلـه مـن تـوتر. وهـو يقـول بصـوت حـاول أن يخـرج أكثر قـوة ولكنه خرج مرتعشًا ضعيفًا:

- إنهـا أعـراض نـوع مـن أنـواع الاضـطراب في النشـاط الكيميائي والكهربائي للمخ.. بالتحديد في حالة ابنتك فالمشكلة تكمن في الفص السفلي للمخ.

أشار إلى جزء معين في دماغه وهو يتابع شرحه:

- في هذا المكان بالتحديد للمخ، وهو مرض نادر، وأعتقد أنه يسبب لها كل تلك الهلوسة الغريبة، ومن تأثيراته أيضًا حالات التشنج.

هتفت كريس في دهشة محاولة استيعاب الكلمة:

- تشنج! أي تشنج تقصد يا دكتور؟

- اهتزاز فراشها العنيف بالأمس.. بلا شك هذا حدث نتيجة تشنجات عنيفة في جسد ريجان، وإلا كيف اهتز؟

هزت رأسها بقوة وهي تقول نافية:

- لا لا لا.. ذلك لم يكن تشنجًا على الإطلاق، لقد رميت بجسدي على فراشها، ولكنه استمر في الارتفاع والاهتزاز المجنون بشدة.

تذكرت ذلك الموقف، فتابعت بصوت باكٍ:

- أنا واثقة أنها لم تكن تشنجات.

- سيدة كريس، المشكلة مع ريجان وليس مع فراشها، وكل هذا ينبع من مخها، الخلل هنا في مخها.

أومأت برأسها متفهمة، ووجدت نفسها تنظر له في حيرة وتقول:

- وماذا في رأيك يسبب كل هذا؟

- كما قلت لك، ضرر في الفص المخي يسبب لها نوعًا من أنواع نوبات الصرع القوية.

حاولت أن تستوعب وتبتلع كلمة الصرع والتشنجات، ولكن عقلها فشل في هضم الكلمتين، فقالت له بعدم اقتناع:

- دكتور كلين، حقًا أنا لا أفهم كل تلك المصطلحات الطبية، ولكن ما أثق فيه هو أن هناك أمرًا جللاً يحدث لابنتي لا نعرفه، جعل شخصيتها تتغير بهذا الشكل الشنيع، وهذا الأمر خارج نطاق الصرع والتشنجات.

- سيدتي، حينما يتعلق الأمر بالفص السفلى للمخ فتلك الأعراض الغريبة تُعتبر شائعة جدًا، وهذه الأعراض ممكن أن تستمر لأيام أو حتى أسابيع، بل لا تندهشي إذا وجدتِ سلوكًا تدميريًا أو حتى سلوكًا إجراميًا.

- إجرامي وتدميري! دكتور أرجوك، أخبرني شيئًا جيدًا يدخل عقلي وأقتنع به ويساعد في شفاء ابنتي!

ربّت على يدها بلهجة مشجعة وهو يقول لها بابتسامة دبلوماسية:

- لا تكونى قلقة، إذا كان الضرر في المخ فهي محظوظة، كل ما يجب أن نفعله معها هو إزالة هذا الضرر، وهذا ما نفعله الآن عن طريق الأدوية.. ثقي في الطب سيدة كريس.

*****

بعد مدة قصيرة على هذا الحديث ذهب دكتور كلين إلى ريجان، وقد وجد حالتها قد هدأت كثيرًا بفعل تلك الحقنة المهدئة، نجحوا كثيرًا في التحكم في أعصابها وإرخائها تمامًا، على ذلك السرير الطبي البارد تمددت ريجان بلا حول ولا قوة، فقط عيناها كانتا تجوبان في الوجوه بنظرة متنمرة..

دفعوا سريرها الطبي وهي عليه حتى غرفة الأشعة المجاورة.. بوجهها الشاحب استسلمت لهم بدون إرادة منها.. لو كان عليها لسلخت جلودهم والتهمتهم كلهم أحياء.. بعينيها وجدت أمها ودكتور كلين يراقبانها من غرفة أخرى مشتركة مع حجرتها بنافذة زجاجية، ثبتوا رأسها جيدًا بشريط لاصق قوي يمنع رأسها من أدنى حركة.. في البداية قاسوا ضغطها، وبعد ذلك عرّوا نصف جسدها العلوي وأوصلوا فيه أقطابًا كهربائية عديدة.. ثم نظفوا عنقها بسائل داكن اللون، كريه ونفّاذ الرائحة.

اقترب منها دكتور (تاني) المتخصص في الأوعية الدموية والمخ.. غرز في عنقها محقنًا كبيرًا.. تألمت ريجان وشعرت أنهم يذبحونها، ثم سحبوا عينة دم من وريدها العنقي.

تألمت الأم بشدة لألم ابنتها، شعرت أن ذلك المحقن غُرز في قلبها هي لا عنق ابنتها.

وضعوا رأسها بين جهازين عملاقين.. وأظلموا الحجرة تمامًا.

ومع إظلامها بدأت تلك الآلة في الهدير بصوت شنيع تلتقط عشرات الصور لمخها.

ومع ذلك الصوت الشنيع..

كان هناك صوت أكثر شناعة يخترق أعماق الجميع..

صوت صراخ ريجان.

*****

٤ ساعات مرت على انتهاء جلسة الأشعة، كانت حالة ريجان يُرثى لها، لهذا اصطحبتها كريس إلى المنزل للراحة.. وفي حجرة الأشعة وقف دكتور كلين ودكتور تاني يتابعان ويدرسان صور الأشعة، وبعد دقائق من الصمت قال دكتور تاني بحيرة:

- لا يوجد في الأشعة أي شيء غير طبيعي بالمرة.. لا تغير في الأوعية الدموية مطلقًا.

التفت إليه دكتور كلين وهو يقول متسائلاً باهتمام:

- هل تريدني أن أكرر تلك الأشعة مع ريجان مرة أخرى؟ ربما كان هناك عطل ما؟

- لا أعتقد أن هناك عطلاً يا دكتور، ولكن اعتقد أن الـ..

بتر عبارته اقتحام ممرضته الخاصة وهي تقول بصوت مضطرب بانفعال:

- معذرة دكتور، ولكن السيدة كريس على الهاتف وتريد منك أن تذهب إلى منزلها حالاً على وجه السرعة، تقول إن الأمر عاجل وكارثي.

انزعج دكتور كلين وأمسك ذراع دكتور تاني وهو يقول له:

- ما رأيك؟ هل لديك بعض الوقت لنذهب سويًا ونرى ماذا يحدث هناك؟

- بالطبع يادكتور سآتي معك، إنها مريضة تهمني جدًا.

*****

طوال الطريق إلى منزل كريس لم يهدأ عقل دكتور كلين، وكان فضوله الطبي يقتله لمعرفة التطورات التي دعت كريس إلى طلبه شخصيًا في منزلها بعد ساعات من مغادرتها..

سريعًا توقفت السيارة أمام المنزل، فتحت لهما شارون الباب، ومع رؤية وجهها الشاحب الممتقع عرفا أن هناك كارثة فعلية ما حدثت أو ستحدث.. قدم لها دكتور كلين سريعًا دكتور تاني، فقالت له شارون وهي تغلق الباب وتقودهما سريعًا إلى الطابق العلوي:

- أصبحت الأمور أسوء يا دكتور منذ أن اتصلت بكما كريس هاتفيًا.

قال دكتور كلين وهو يعدو خلفها:

- هل هي التشنجات مرة أخرى؟

- نعم، لكنها عنيفة للغاية يا دكتور.

كان دكتور كلين يحمل حقيبته الطبية الصغيرة وهو يعدو خلفها، وعلى الرغم من أن حجرة نوم ريجان كانت مغلقة بإحكام إلا أن قوة صوت صراخها الهيستيري كان يملأ جنبات المنزل.

هذا صوت صراخ بشري يُعذب في جهنم ذاتها..

هكذا هتف دكتور كلين في أعماقه.

قالت شارون وهي تقف أمام باب حجرة ريجان في الطابق الثاني:

- افتحي يا كريس، لقد وصل الدكتور.

بيد مرتعشة فتحت كريس الباب ليدخل الجميع، وأمام ما يحدث لجسد ريجان وقفوا مصدومين.

فما كان يحدث لجسد ريجان الصغيركان يتنافى مع طبيعة أي جسد بشري.

هناك في فراشها كانت ريجان ممددة بثيابها البيضاء، وكان نصف جسدها العلوى فقط يُثنى ويُفرد بسرعة وبطريقة غريبة، وكأن هناك يدًا خفية عملاقة تتحكم في جسدها، والذي أوشك على أن يتمزق.

حتى إن دكتور كلين تساءل في أعماقه كيف تحمّل عمودها الفقري ما يحدث لجسدها؟

أما ريجان نفسها فكانت تصرخ بهيستيريا وهي تنادي أمها، التي وقفت مشلولة لا تعرف ماذا تفعل، ومع حركة جسدها العنيفة المستمرة صرخت وهي تمد يدها لأمها:

- أمي.. أنا أموت.. إنه يقتلني.. أنا أحترق.

صرخت كريس في وجه دكتور كلين:

- افعل شيئًا يا دكتور، أرجوك ساعدها!

استمرت ريجان في صراخها الشنيع وحركة جسدها العنيفة:

- أمي اجعليه يتوقف، إنه يحاول قتلي.. أنقذيني.

توقف جسد ريجان عن حركاته العنيفة وبدأ جسدها يتحدى الجاذبية ويرتفع ويهبط بقوة على سريرها، وكأن جسدها كرة من المطاط.

- أمي ساعديني.

ظلت تصرخ بهيستريا ثم تحوّلت عيناها إلى بياض مخيف، وقد اختفى بؤبؤ عينيها الأسود تمامًا وانتفخت حنجرتها وكأنها ستنفجر، وبصوت أجش قاسٍ غير بشري ظلت تردد كلمات بلغة غريبة، وهي تزأر كالضواري المفترسة.

اقترب منها دكتور كلين وهو يقول لها بصوت خرج مرتعشًا من خوفه:

- حسنًا ريجان، دعينا نرى ما المشكلة؟

بسرعة البرق وقفت ريجان على فراشها وصفعت دكتور كلين صفعة قوية.. قاسية.. شديدة لا تتناسب أبدًا مع قدراتها الجسدية كفتاة طبيعية.. صفعة جعلته يتراجع مترين للوراء ويطير جسده ويصطدم بباب الحجرة بعنف، ويهوي أرضًا وكل عظمة من عظام جسده تئن.

وبنفس الصوت الأجش البشع هتفت ريجان وهي تقول بشراسة:

- ابتعد أيها الحقير، هذه الفتاة أصبحت ملكي أنا.

ارتكزت على ركبتيها ورفعت ملابسها ليصبح نصف جسدها السفلي عاريًا تمامًا، وهي تفتح ساقيها وتشير إلى ما بينهما بطريقة سوقية، وتنظر إلى دكتور كلين وهي تطلب منه بلهجة جمدت الدم في العروق أن يمارس الجنس معها.

نطقتها بطريقة تفوق طريقة الغانيات..

نطقتها بصوتها القاسي الأجش الغريب..

نطقتها وعيناها تشعان ببريق شهواني..

صُعقت كريس من ابنتها، وتراجعت بهلع إلى الوراء وهي تضع يدها على فمها، وتمنع نفسها من الصراخ من أجل ما يحدث لابنتها..

مرة أخرى ارتمت ريجان على فراشها وهي تصرخ بصوتها الطبيعي وتتلوى من الألم، وأمها ترى كل هذا وتبكي بحرقة.

سريعًا هوت صفعة قوية على وجه ريجان من دكتور كلين، ليهجم عليها دكتور تاني والخادم كارل الذي جاء في تلك اللحظة ويكبلا حركات جسدها تمامًا.. كان الأمر أشبه بمحاولة السيطرة على أسد جريح هائج.. في نفس الوقت كانت ريجان تسب وتلعن الجميع بأسوء السباب، سريعًا غرس دكتور كلين محقنه المهدىء والقوي في ذراعها.

وعند هذا الحد فقدت كريس اتزانها وهي ترى ابنتها الوحيدة تصرخ وتتلوى، لتصرخ هي الأخرى بعد أن انهارت أعصابها، فما كان من

مساعدتها شارون إلا أن احتوتها وأخرجتها خارج الغرفة تمامًا وأغلقت الباب على الجميع..

مرّ الوقت سريعًا، ليخرج دكتور كلين ودكتور تاني والخادم كارل من غرفة ريجان.

وفي بهو المنزل قال دكتور كلين:

- فلنحمد الله أنها نائمة الآن، لقد أعطيتها دواءً سيجعلها نائمة حتى الغد.

كانت كريس جالسة واجمة من تأثير ما شاهدته في حجرة ابنتها، فقالت محاولة كبح ثورتها:

- دكتور، أخبرني ماذا يجري هناك؟ كيف كان جسدها يطير هكذا؟ بل كيف كان يُثنى ويُفرد على هذا النحو؟ لقد خشيت على عظام جسدها من أن تتحطم!

لم يجد دكتور كلين أي جواب، فخفض عينيه في عجز حقيقي، فما كان من دكتور تاني إلا أن قال بهدوء:

- هناك حالات مرضية معينة ممكن أن تُفجر طاقة في الجسد نعتبرها قوة خارقة.. أداء حركي غير طبيعي، على سبيل المثال تمّ تسجيل حالة امرأة وزنها ٩٠ رطلاً وجدت ابنها وقد دهسته عجلات شاحنة كبيرة، هذه الأم وبشهادة الجميع وجدوها

تجرى بسرعة مخيفة وترفع العجلات من على جسد ابنها نصف قدم فوق الأرض، وبعد هذا لم تدرِ الأم أنها فعلت كل هذا. أعتقد أنك سمعتِ تلك القصة. نفس الحالة هنا مع ابنتك ريجان، وأنا طبعًا أتحدث عن المبدأ نفسه.

نظرت إليهما متسائلة:

- كل هذا لا يهمني، أنا أريد أن أعرف ماذا أصابها أصلاً ليحدث لها كل هذا!

قال دكتور كلين:

- أعتقد أن هذا يُرجعنا إلى نظرية الفص المخى وال..

قاطعته ريجان غاضبة وهي تصرخ في وجهه:

- ما الذي تتحدث عنه بحق المسيح؟ هل رأيت ماذا يحدث بها؟ هي تتصرف كالمجنونة.. أو المصابة بالفصام في شخصيتها، أو حتى الـ..

لم تتمالك نفسها من الانفعال فتوقف الكلام في حلقها، وأخذت تبكي.

بهدوء ربت دكتور تاني على يدها وهو يقول لها:

- سيدتي، لم يكن هناك أكثر من ١٠٠ حالة حقيقية من الفصام.. الآن أنا أعرف أن هناك إغراء في أن توقفي علاجها وتذهبى بها إلى طبيب نفسي. لكن خذيها نصيحة مني سيدتي، أي طبيب نفسي يجب أن يستنفد الأدوية العلاجية لجسدها أولاً.

كانت تائهة وتشعر أنها غير قادرة على فهم أي شيء من كل هذا، بل حتى غير قادرة على اتخاذ أي قرار، لهذا هتفت بضعف وقلة حيلة:

- إذن ما هي الخطوة التالية؟

قال دكتور تاني:

- لا نريد أن نكرر رسم المخ لها، بل أريد أن نأخذ عينة من نخاعها الشوكي لنحلله.

بكت كريس بحرقة وهي تتذكر معاناة ابنتها في حجرة الكشف اليوم.

تابع دكتور تاني حديثه:

- أنا واثق أننا إذا لم نكتشف شيئًا في رسم المخ والأوعية الدموية من المعقول أن يظهر هذا في نخاعها الشوكي.. على الأقل سيُغلق أمامنا بابًا من الاحتمالات، وساعتها سنطرق بابًا آخر.

نظرت كريس إليه في صمت، وفي أعماقها كان إحساسها كأم يقول إن الأيام القادمة..

ستحمل إليها ولابنتها..

ما يفوق شناعة الكوابيس نفسها.

*****

انتظروا يومًا كاملاً حتى أفاقت ريجان من غيبوبتها الصناعية التي أجبروها على الدخول فيها بفعل المهدئات، ثم حملوها إلى المستشفى وهناك جهزوا جسدها لسحب عينة النخاع..

ثبتوا رأسها جيدًا وأحكموا وثاق جسدها، ومن عظمة القص سحبوا عينة النخاع.

كم تألمت.. كم صرخت.. وكم حاولت أن تُمزق قيودها.

أما الأطباء فوجدوها فرصة، فقاموا بإجراء أشعة سينية على المخ كإجراء احترازي.

انتهت ريجان من كل هذا الكابوس الطبي، وقد شعرت أن جسدها لم يعد ملكها بعد كل هذا الصراخ والعذاب والألم.. لم تدرِ بنفسها إلا وهي راقدة على فراشها في منزلها.

تركتها أمها مع مساعدتها شارون بعد أن أمرتها ألا تتركها لحظة واحدة.. وعادت كريس مرة أخرى إلى المستشفى لتنتظر نتيجة التحاليل، لم تعرف كيف مرت عليها الثواني والدقائق، والقلق ينهش كل جزء من أعماقها ويحوّل دمها إلى بركان ثائر يلتهم بنيرانه كل شيء.

وأخيرًا أمام صور الأشعة وقف دكتور كلين ودكتو تاني وكريس، وقد احترمت الأخيرة صمتهما وهما يتأملان الصور والتحاليل. في النهاية قطع دكتور تاني الصمت بأن قال في هدوء طبي يحمل رائحة الحيرة والاندهاش:

- كل شيء سلبي!! لا يوجد أي أعراض مرضية، سواء في عينة النخاع أو الأشعة السينية على المخ!

ثم نظر إلى كريس وهو يقول لها مطمئنًا:

- أي إن جسد ابنتك ريجان من الناحية الطبية سليم تمامًا.

تنهدت كريس في راحة، وشعرت أن جبلاً من الهم قد انزاح عن كاهلها، بل عن قلبها.. وفي أعماقها هدأت الكثير من تلك البراكين المستعرة.. إلا أن هذا الكلام لم يترك نفس الإحساس في أعماق دكتور كلين.. فبخبرته الطبية زادت تلك الشكوك كثيرًا وأُضيفت علامات أخرى للغموض أمام عينيه بخصوص حالة ريجان.. فنظر إلى كريس وسألها:

- بصراحة، هل تحتفظين بأي مخدرات في بيتك يا سيدتي؟

- لا بالطبع، لا يوجد شيء من هذه القاذورات في منزلي!

- هل أنتِ متأكدة؟

هتفت بقوة:

- بالطبع أنا متأكدة، وإلا كنت سأخبرك، ثم إنني حريصة للغاية على أن يظل منزلي نظيفًا تمامًا وخاليًا من هذه الأشياء الملعونة.

مضت لحظات صمت على الجميع، وبنفس الحيرة سألها دكتور كلين:

- هل تخططين للرجوع إلى مدينتك مرة أخرى؟ أقصد لوس أنجليوس؟

هزت رأسها نفيًا ببطء وهي تقول:

- لا، أنا أبني حاليًا منزلاً جديدًا، لقد بعت منزلي القديم هناك، لي فيه ذكريات سيئة، لهذا تخلصت منه تمامًا.

ويبدو أن الذكريات السيئة مع زوجها السابق قد طفحت إلى عقلها، انسابت دموعها ببطء وهي تكمل حديثها:

- أنا كنت سآخذ ريجان إلى أوروبا لنمكث هناك فترة.

مسحت دموعها وهي ترفع عينيها إلى دكتور كلين، وتقول له محاولة أن تفهم:

- لماذا تسأل عن كل تلك الأشياء؟

تنهد بعمق وهو يجيبها:

- أعتقد بعد كل تلك التحاليل والفحوصات الطبيعية وهذا النتائج السلبية.. أن هذا هو الوقت المناسب لتبحثي عن طبيب نفسي لابنتك ريجان.

*****

طبيب نفسي لريجان..

ابحثي عن طبيب نفسي لريجان..

ريجان..

ريجان..

استمرت تلك الجملة تتردد في عقلها طوال الطريق كقرع أجراس عنيفة وهي عائدة إلى منزلها.. لم تدرِ كيف عادت إلى منزلها وهي شاردة الذهن، بل لم تتخيل أن يأتي يوم وتلجأ فيه لطبيب نفسي..

ليعالج من؟!!

ليعالج ريجان!!

الفتاة التي كانت تملأ الحياة بهجة.

الآن هي بقايا إنسانة.

استمرت تلك الأفكار تنهش أعماقها.. حتى هي شخصيًا شعرت أنها بسبب القلق والتوتر وعدم النوم والتفكير أصبحت أكبر من عمرها بمراحل.. وصلت إلى منزلها أخيرًا.

بجانب منزلها وجدت تجمعًا وحشدًا كبيرًا وسيارة إسعاف وشرطة.

يبدو أن هناك كارثة في ذلك الشارع الجانبي الملاصق لمنزلها، بمعنى أدق هو ليس شارعًا، بل ممرًا ضيقًا عبارة عن عشرات السلالم المؤدية إلى شارع آخر.

كان كل ما يشغل بالها هو أن سارينة الإسعاف والشرطة المستفزة قد بددت كل هدوء المنطقة، وأكيد ستكون ليلة ليلاء.. رمت كل هذا الصخب خلف ظهرها ودخلت منزلها.

وعلى عكس الخارج كان كل ركن فيه غارقًا في هدوء مستفز، وجدت أنوار المنزل بالكامل ترتعش وكأنها مصابة بالجنون هي الأخرى.. كان الهاتف يرن بإزعاج وبإلحاح غريب.. اتجهت سريعًا إليه، ولكنها لم تكد تلمس السماعة حتى أصابه الخرس.

ثم انقطعت الكهرباء مرة واحدة.. فشعرت بخوف مبهم، نادت على مساعدتها شارون بصوت مرتعش فلم يجيبها أحد.. لحظات وعادت الكهرباء مرة أخرى..

أي جنون يحدث في منزلها اليوم؟! هكذا قالت لنفسها.

كانت خائفة في خطواتها.. متوجسة.. لم تعرف أبدًا أن هناك وجهًا شيطانيًا مخيفًا تجسد للحظات على الحائط خلفها واختفى دون أن تراه أو حتى تشعر به.

أصابها الخوف من أن المنزل بالكامل خالٍ.

لهذا صعدت إلى غرفة نوم ابنتها سريعًا، وهي تقتحم الغرفة لتطمئن عليها.. ولكن ما هالها هو أنها وجدت النافذة مفتوحة.. تلك النافذة التي تُطل على الزقاق الضيق الصغير والذي يمتلئ بدرجات السلالم الحادة إلى أسفل.

كانت الغرفة باردة بشكل شنيع.. وجدت ابنتها نائمة وقد انحسر عنها الغطاء تمامًا.

سريعًا أغلقت النافذة وغطت ابنتها جيدًا.

وتساءلت كيف لم تشعر ابنتها بكل هذا البرد القارص واستطاعت النوم بهدوء!!

نزلت إلى الطابق الأرضي بسرعة وهي مازالت تواصل نداءها على شارون.. في تلك اللحظة دخلت شارون من الباب، كانت عائدة للتو من الخارج، ولم تكد كريس تراها حتى قالت لها بلهجة غاضبة للغاية وهي تمسك ذارعيها بقوة:

- بحق الجحيم ما الذي تفعلينه بالضبط؟ ألم أحذرك من ألا تتركي ريجان أبدًا بمفردها؟ هل أنتِ مجنونة حتى تتركيها نائمة ونافذتها مفتوحة في هذا البرد الشنيع؟

صُعقت شارون من حديثها، وردت بمنتهى الدهشة:

- بمفردها؟!! ونافذتها مفتوحة!! مستحيل سيدة كريس، لقد اطمأننت على كل شيء بنفسي وتركت مع ريجان صديقك بورك.. وقد اضطررت لهذا لأنه لم يكن هناك أي شخص بالمنزل، وكان حتمًا أن أُحضر لريجان الدواء، وقد حذرت بورك أن يترك ريجان ويذهب، بل يظل معها حتى أعود.

قطع حديثهما صوت رنين جرس الباب بإلحاح مزعج.. فجرت شارون لتفتح الباب بسرعة، لتجد أمامها سائق كريس الخاص.. دخل في هدوء مريب وهو يقول وعلى وجهه تعبير من تلقى صدمة كبيرة:

- لا أعرف ماذا أقول سيدة كريس، ولكن هل سمعتِ الخبر أم لا؟

- سمعت ماذا؟

- لقد مات صديقك بورك منذ نصف ساعة!

نزل الخبر على شارون وكريس كالصاعقة، ولم تستطيعا نطق حرف واحد، خصوصًا شارون، لقد تركته بخير منذ نصف ساعة، فتابع السائق حديثه:

- كان يجب ألا يشرب كثيرًا، فقد سقط من أعلى درجات السلم بالخارج في ذلك الزقاق المظلم، بالتحديد أسفل غرفة نوم ريجان.. هبط على عنقه أكثر من مائة سلمة فكُسرت رقبته تمامًا.

صرخت كريس وهي تبكي:

- يا إلهي.. لا.. لا.. ليس بورك!

تركها السائق وغادر المنزل بهدوء، أما كريس فقد شعرت أن كل الكوارث تنهال فوق رأسها مثل الشلال، التفتت إلى شارون وهي تقول لها باكية:

- شارون، أريد منك أن تبدأي في الـ..

بترت عبارتها بغتة وهي تنظر إلى شيء ما كابوسي يحدث أمامها خلف ظهر شارون.. واتسعت عيناها برعب مخيف، مما دعا شارون إلى أن تلتفت هي الأخرى لترى ما الذي صدم كريس هكذا..

لتقفز هي الأخرى إلى الخلف من شدة الرعب، فما يحدث أمام أعينهما كان يفوق ألعن كوابيس حياتهما.

على درجات السلم الداخلي للمنزل كانت ريجان تهبط سريعًا ولكن ليس على قدميها، بل على أطرافها الأربعة في وضع مستحيل تشريحيًا.. وكأنها عنكبوت عملاق يتحرك على أطرافه الأربعة.. وبطنها إلى أعلى ورأسها متدلى بشكل شنيع..

وأمام أمها فتحت ريجان فمها وهي تُطلق فحيحًا وكأنها ألف أفعى غاضبة.. مع نافورة من الدماء الحمراء القانية انطلقت من فمها.

ومع ذلك المزيج من الفحيح والدماء..

رددت جنبات المنزل..

صرخات كريس وشارون..

طويلاً.

*****

في ساعة متأخرة من الليل وصل دكتور كلين مع طبيب نفسي يثق فيه.. كعادته كل ما شعر به وهو يتلقى اتصال كريس وصراخها المدوي، مع صوتها المضطرب الذي يحمل رعبًا شنيعًا: أن هناك كارثة فاقت الكارثة الأولى لريجان بالمعنى الحرفي للكلمة.

سريعًا دخل المنزل ووجد سيمفونية الرعب على أوجها أسفل السلم..

ريجان نائمة بوضع لم يره في أي مرجع طبي طوال حياته المهنية.. كما هاله كل تلك الدماء التي كانت تتناثر حولها.. من حسن حظهما أن ريجان نفسها كانت في مرحلة ما بعد الصدمة.. شبه نائمة بعد أن أستهلك جسدها كل تلك الدماء.

اللعنة، من كمية الدماء شعر أنه كانت هنا حرب عالمية بالمعنى الحرفي للكلمة

حملوها جميعًا إلى الحمام ونظفوا جسدها وغيروا ثيابها بثياب أخرى نظيفة، وفي حجرة كريس وضعوها على كرسي ضخم مبطن جيدًا ومريحًا للغاية.. ومع تلك الإضاءة الخافتة.. نجح الطبيب النفسي في تنويمها مغناطيسيًا.

أما كريس فكانت جالسة بجانب دكتور كلين تراقب ما يحدث في صمت وترقب.

كريس نفسها كان وجهها شاحبًا للغاية.. مازال مشهد ابنتها الخارق المرعب وهي تجرى على السلم كأنثى العنكبوت لم يفارق عينيها.. ومع تلك النظرة السوداوية للحياة ظلت تتابع ما يحدث أمامها.

قال الطبيب النفسي بهدوء وهو يواجه ريجان:

- عندما ألمس جبهتك افتحي عينيكِ.

قرن قوله بأن لمس جبهتها، ففتحت ريجان عينيها ببطء.

- هل تشعرين بالراحة الآن ريجان؟

ردت عليه بصوت هادىء للغاية، ولكن بطريقة آلية خالية من أي مشاعر:

- نعم.

- كم عمرك؟

- ١٢ عامًا.

- هل هناك شخص بداخلك الآن ريجان؟

- أحيانًا.

- من هو هذا الشخص؟

- أنا لا أعرف.

- إن طلبت منه إخباري بمعلومات عنه هل ستتركينه يجيب؟

- لا.

- لماذا؟

- لأنني خائفة.

- ولكن ريجان، ثقي أنه إذا تحدث معي فسوف يترك جسدك.. هل تريدينه أن يترك جسدك ويرحل؟

- نعم.

بخبرته الطبية نهض ووقف خلف رأسها بعيدًا عن عينيها، وهو يقول بلهجة أكثر جدية:

- أنا أتحدث الآن مع الشخص داخل جسد ريجان.. إذا كنت بداخلها الآن فأنت أيضًا منوم مغناطيسيًا، ويجب أن تجيب عن كل أسئلتي.

غير وضع جسده وجلس مرة أخرى أمامها وهو يواجه عينيها، وقال في صرامة:

- تقدم وجاوبني الآن.

في نفس اللحظة تحركت صورة ريجان الموجودة فوق المدفأة وتحطمت بدوي مريع، ففزعت كريس وانتفضت من مكانها، أما دكتور كلين فشعر بداخله أن ما يحدث لريجان الآن ليس نتاج مرض نفسي، هناك بالفعل حالة غامضة سحرية شيطانية مرتبطة بهذه الفتاة، لكن أفكاره هذه ظلت حبيسه عقله ولم يبح بها لمخلوق بعد.. ليس هذا هو الوقت أو المكان المناسب لمناقشة هذا الاحتمال.

أما ريجان نفسها فقد تقلص وجهها، صدرت من حلقها حشرجة خشنة وهي تزأر بصوت غير بشري لا يمت لصوتها الطبيعي الرقيق بأدنى صلة، وفتحت فمها لتنبعث منه رائحة كريهة للغاية عبقت جو الغرفة، لم يتحملها أي من الموجودين في الغرفة، فكتموا أنوفهم بقوة وهم يتراجعون للخلف.. ما خرج من فم هذه الفتاة هو رائحة جهنم ذاتها.

بصعوبة حاول الطبيب النفسي أن يُكمل الجلسة وهو يقول بصوت شبه مختنق:

- هل أنت الشخص داخل ريجان صاحب تلك الرائحة الشنيعة؟ عرفنا بنفسك، من أنت؟

نظرت له ريجان نظرة شيطانية وهي تزأر مثل الغيلان، وتحوّل وجهها إلى وجه شيطانى بشع في لحظة، لتمتد يدها بسرعة البرق إلى أسفل بطن الطبيب النفسي في تلك المنطقة الحساسة للغاية لتمسكها بكلتا

يديها، وكأن الشيطان في أعماقها حوّل يديها الرقيقتين إلى كلابات حديدية من فولاذ لتعتصر كل شيء في كف يده الصغيرة.

صرخ الطبيب النفسي من الألم وشعر أنه يموت، بل إن روحه نفسها تسحق تحت قبضتها القوية.. حملته ريجان بسلاسة وقذفته بقوة على الأرض وجثمت فوق صدره ككابوس مرعب، وهي مازالت تعتصر كل شيء في يديها.. والطبيب النفسي يصرخ من الألم الشديد، وهو يناشد الجميع بصوت خانق:

- ساعدوني!

التصقت كريس في رعب بالحائط، أما دكتور كلين فقد هجم على ريجان وبصعوبة شديدة استطاع أن يخلص الطبيب النفسي من قبضة يدها، ومع صرخات الطبيب المليئة بالألم.. كانت ريجان هي الأخرى تصرخ بشراسة ولذة.

ظلت تصرخ.. وجسدها ينتفض بقوة.

حتى غابت عن الوعي.

*****

عدة أيام مرت على جلسة العلاج النفسي الشنيعة الفاشلة لريجان..

أقنعوا والدتها كريس أن وجود ابنتها على تلك الحالة المزرية خطر داهم على كل من في المنزل، بعد أن كادت تقتل طبيبها النفسي بطريقة مرعبة.. في تلك الجلسة الملعونة.

لهذا حملوها بالقوة ووضعوها تحت المراقبة الشديدة في مستشفى دكتور كلين.

وفي ذلك الصباح الرمادى وجدها القس الأب داميان كاراس فرصة ليمارس رياضة الجرى في مضمار السباق بجامعة جورج تاون، كان الجو منعشًا يحمل تلك اللمحة الباردة.. لهذا استمتع بالجرى في ذلك الجو الخالي من كل شيء.. ظل يجري طويلاً حول التراك، وقد لفت نظره أن رجلاً ما جلس يراقبه بنظرات فاحصة وهو يمسك بيده بجريدة.

وعلى تلك المقاعد الخشبية توقف الأب كاراس وهو يلهث من التعب والإرهاق.

تقدم ناحيته ذلك الرجل المجهول وهو يطوي الجريدة تحت إبطيه ويسأله باهتمام:

- الأب داميان؟

رد عليه داميان بحذر وهو يضع المنشفة على عنقه ويجفف عرقه رغم برودة الجو:

- هل تقابلنا من قبل؟ أنا لا أعرفك.

أخرج الرجل شارته وهو يقول له:

- أنا الملازم وليام كيندر مان من قسم جرائم القتل.

- وما علاقتي أنا أيها الملازم بقسم جرائم القتل؟

نظر إليه الملازم وليام بهدوء، وهو يتجاهل سؤاله ويقول له:

- هل تعلم أيها الأب أنهم اخبروني قبل أن آتي إليك أنك تشبه الملاكم جون جارفيد في الجسد والأسلوب تمامًا؟ لا أعلم هل أخبرك أحدهم من قبل بهذا أيها الأب أم لا.

رد عليه الأب داميان:

- وأنت أيها الملازم، هل أخبروك أنك تشبه الممثل بول نيومان؟

رد عليه الملازم بثقة:

- دائمًا ما يقولون هذا، والآن نعود إلى حديثنا.. هل تعرف هذا المخرج السينمائي الذي كان يُصور فيلمًا هنا في الجامعة؟ اسمه بورك ديننجز.

أومأ الأب داميان برأسه بالإيجاب وهو يقول:

- طبعًا أعرفه، وقد رأيته وهو يُصوّر مشهدًا في حرم الجامعة منذ فترة.

- عظيم، هل تعرف أيضًا كيف مات في الأسبوع الماضي؟

- في الحقيقة ليست لدي معلومات سوى ما قرأته في الصحف.

غادرا مضمار السباق واتجها للخارج في صمت، مما دعا الملازم أن يسأله مباشرة:

- أيها القس، ما الذي تعرفه من خبرات عن مواضيع السحر؟ أنا أتحدث عن جانب السحرة أنفسهم وليس عن موضوع الاستحواذ.

نظر إليه الأب داميان نظرة مريبة وهو يرد بحذر شديد:

- لقد قمت بعمل دراسة ذات مرة عن هذا الموضوع.

- حقًّا؟

- أكيد.. لقد ركزت في دراستي على الجانب النفسي للسحرة.

قال له الملازم متسائلاً:

- هل سمعت عن الحادث الغريب لتدنيس الكنيسة؟ هل تعتقد أن هذا الموضوع له علاقة بالسحر؟ أو بطقوس معينة؟

- ربما بعض الطقوس استُعملت في هذا الغرض.. نوع من أنواع السحر الأسود أيها الملازم.

- والآن ايها الأب داميان، أخبرني ما الذي تعرفه بالتفصيل عن كيفية موت هذا المخرج.

رد عليه الأب داميان باقتضاب:

- في حادث سقوط.

نظرالملازم وليام في عينيه طويلاً، ثم قال له وكأنه يُلقي عن كاهله عبئًا ما:

- إذن دعني أخبرك كيف مات، ولكن رجاءً لا تُخبر أي شخص بما سأقوله لك الآن.. الموضوع ما يزال سرًا وغير قابل للنشر، لقد وجدنا المخرج بورك أيها القس في أسفل الزقاق الضيق، وأنت تعلم أن هذا الزقاق له طبيعة خاصة للغاية، في البداية كان منحدرًا طبيعيًا ثم قامت الحكومة بصقله والاستفادة منه في ربط شارعين ببعضهما البعض، عن طريق إنشاء أكثر من مائة سلمة.. هذا المخرج وجدناه أسفل هذه السلالم

برأس ملتف بالكامل حول نفسه ومتجه للخلف، وعلى وجهه وعينيه ارتسم إلى الأبد أشنع إحساس رعب وخوف ممكن أن تراه على وجه كائن حي.. لقد قال الطبيب الشرعي في تعليق له إن صاحب هذه الجثة قد شاهد الشيطان بنفسه قبل أن يلقى حتفه.. طبعًا كانت مجرد جملة عابرة من الطبيب وقتها، ولكنني كرجل شرطة لم أتوقف أمامها، إنني أبحث عن الماديات والأسباب الحقيقية والملموسة للوفاة.. أبحث عن شيء منطقي.

شعر الأب داميان بأمعائه تتقلص وهو يتخيل كيف كانت تبدو الجثة من ذلك الوصف، لهذا هتف باهتمام وقد جذب الموضوع اهتمامه:

- وطبعًا يبدو من كلامك أن هذا لم يحدث بسبب السقوط على أكثر من مائة سلمة حادة!!

- بمعنى أدق هذا مستحيل ومستبعد تمامًا، نحن من الناحية العملية لدينا نوع من أنواع سحر القتل.. طقوس شيطانية.. بمعنى أدق أفعال سرية تُمارس هنا في تلك المنطقة، ومن ناحية أخرى موضوع تدنيس الكنيسة هذا يسبب لنا قلقًا من نوع خاص.

- هل تعتقد أيها الملازم بأن القاتل والمُدنِّس هما لشخص واحد؟

- هو احتمال، ربما يكون شخصًا ما مجنونًا.. شخص يحمل ضغينة ما ضد الكنيسة وضد كل ما هو مقدس على وجه الخصوص. نوع من أنواع التمرد المجنون.

قال الأب داميان وهو يفكر:

- هل تعتقد أنه كاهن مختل عقليًا مثلاً؟

- انظر أيها القس، إن الموضوع شائك للغاية، لكنني ألجأ إليك بصفتك الطبيب النفسي ذو المرجعية الكنسية للكهنة أنفسهم والطلبة.. أنت تعرف الجميع وتعرف تاريخهم النفسي جيدًا، ومن الذي كان مريضًا ومن الذي يمكن أن يكون في طريقه لهذا العته النفسي.. أعني أنك قادر على أعطائي أي طرف خيط نعرف منه سبب كل هذا.

هز الأب داميان رأسه في ثقة وهو يقول نافيًا:

- أنا لا أعرف أيها الملازم أي شخص يلائم هذا الوصف، أو على الأقل عنده استعداد أو ميول لفعل تلك الأشياء الشنيعة.

ضحك الملازم وليام بسخرية وهو يرد عليه بلهجة تهكمية:

- أنا أعرف أن أخلاق الطبيب النفسي تمنعك من أن تبوح بأي معلومة.. وأعرف يقينًا أن أسرار المرضى شيء مقدس لا يجوز مناقشته على الملأ أبدًا.. أليس كذلك؟

- لا طبعًا.. إذا تعلق الأمر بعملية قتل، خصوصًا وإذا كانت بشعة كما حدث مع هذا المخرج المسكين، فثق أنني سأخبرك.

تركه الأب داميان وأكمل سيره بمفرده، إلا أن الملازم لحق به وهو يقول بلهجة مرحة:

- هل تحب مشاهدة الأفلام في السينما؟

- طبعًا، كثيرًا!

- حسنًا، لقد حصلت على تذكرتين إلى أفضل الأفلام حاليًا وزوجتي متعبة ولا تحب الذهب أبدًا إلى السينما، وفي الحقيقة أنا أكره الذهاب بمفردي، أحب أن أتحدث عن الفيلم مع أي شخص يشاركني فيه، أعشق المناقشة والنقد، هل تريد رؤية الفيلم معي؟

شعر أن الملازم يتودد إليه وأنه ليس شخصية سيئة كما شعر ناحيته في البداية، لهذا قال بابتسامة هادئة:

- ما اسم الفيلم؟

- عطيل.

- لقد رأيته من يومين أيها الملازم.

مرت لحظات صمت شعر خلالها الأب داميان أن الملازم وليام يحاول أن يخترق عقله بنظراته، إلا أنه جديًا لم يكن بداخله شيء يُذكر يستطيع أن يقدمه في هذه القضية. إلا أن قاعدة الشك التي يتحرك بها الملازم دائمًا جعلته غير قادر على أن يرى تلك الحقيقة، مما دعا هذا الأخير أن يسأله بنفاد صبر:

- والآن أيها الأب، ألم يحن الوقت لتخبرني بما لديك من معلومات؟

- لا يوجد لدي معلومات عن أي شيء، لماذا لا تصدقني؟

بلهجة رسمية تناقضت بشدة مع حديثه الودي طوال المحادثة، قال له الملازم:

- بالمناسبة أيها الأب، كان من الممكن أن أستدعيك في مكتبي بشكل رسمي ولكنني فضلت أن يتم الأمر بشكل ودي.

- هل هو تهديد؟

- في الحقيقة لا، ولكنني فقط أذكرك أن الجريمة هامة وخطيرة للغاية ويجب أن تساعدني فيها بأي معلومات ممكنة.

تركه الأب داميان وهو يقول له مبتسمًا:

- حينما يوجد لدي شيء أو معلومة سأساعدك أيها الملازم.. والآن أراك في أقرب فرصة.. وداعًا.

ليدخل إلى مبنى الجامعة ويترك خلفه الملازم وليام، والذي كانت نظرات عينيه..

تحمل شعورًا من التخبط والإحساس بالعجز وهو يمشي بمفرده في دهاليز كل تلك الأشياء الغريبة والمرعبة التي تحدث في المنطقة.

*****

على الجانب الآخر من المدينة، وبالتحديد في مستشفى دكتور كلين، كانت كريس في غرفة الاجتماعات ومعها العديد من جهابذة الطب النفسي ومختلف التخصصات الأخرى.. ملتفون حول تلك المائدة الكبيرة ينصتون إلى دكتور كلين مدير المستشفى وهو يتحدث عن حالة ريجان ويوصّفها.

- ما ترونه أيها السادة هو نوع من أنواع الاضطراب العقلي العنيف، والذي لم أره من قبل على هذه الشاكلة طوال حياتي، ماعدا ما قرأناه طبعًا في الثقافات البدائية.. بصراحة شديدة لقد شعرنا بالحيرة جميعًا، ووقفنا عاجزين أمام هذه الحالة النادرة التي لا تستجيب لأي عقاقير طبية، بل بالعكس فالحالة تزداد سوءًا مع مرور الوقت.. هناك نزاع داخلي في أعماق هذه الفتاة، نوع من أنواع الشعور بالذنب وتخيل

أجسام غريبة تعيش في داخلها واستحوذت على جسدها كما أخبرتنا من قبل.

كان يتحدث ومن خلفه يشاهد الحضور شريطًا مسجلاً لريجان عن حالتها في الأيام الماضية في تلك الحجرة المغلقة بعناية.. كانت مقيدة في سريرها بالمستشفى.. هائجة.. شرسة.. تحمل دومًا تلك النظرة الشيطانية في عينيها.. شحوب وجهها.. جفاف شفتيها وتشققهما.. وجود ندوب كثيرة دامية في وجهها.. صراخها المستمر.. سبابها البذيء السوقي.. كلامها غير المفهوم.. في أحيان أخرى تكون هادئة لا تفعل أي شيء سوى أن تحدق إلى العدم.. وهي تتمتم بتلك الكلمات الشيطانية. وبذلك الصوت غير البشرى الذي احتار الجميع كيف يخرج أصلاً من أحبالها الصوتية الضعيفة.

تمالكت كريس أعصابها للنهاية وهي تقول بصوت حاولت بقدر الإمكان أن يخرج متزنًا هادئًا:

- لن أخبرك ثانية يا دكتور، من المستحيل أن أضع ابنتي في مصحة نفسية أبدًا.

حاول دكتور كلين أن يقاطع حديثها ويقول شيئًا ما.. إلا أن صوت كريس احتد فجأة وهي تُكمل بغضب شديد:

- ولا يهمني ماذا سيكون اسم مرضها، كل مايهمني أنني لن أضع ريجان في مصحة أبدًا، هل تفهم؟

- أنا آسف سيدة كريس.

خرجت كريس عن شعورها تمامًا وهي تضرب المائدة بيديها بقوة وتصرخ في وجهه:

- هل تقول آسف؟! ٨٨ طبيبًا حتى الآن رأوا حالة ابنتي، وكل ما يمكن أن تقوله هو أنا آسف؟! مع كل كلامك الفارغ هذا لم يفيدني أي طبيب في حالتها بشيء يُذكر.. كل ما تفعلونه هو أنكم تقيدونها كالحيوان وتقفون أمامها بمعاطفكم البيضاء المملة تشاهدونها.

لم يرد عليها دكتور كلين أو أي دكتور آخر، كان في قرارة نفسه يعلم علم اليقين أن كلامها صحيحًا تمامًا، وقد قدّر حالتها النفسية والمزاجية الشنيعة التي تمر بها.. فقال بعد فترة صمت طويلة وبلهجة شبه مترددة:

- بالطبع هناك فرصة للعلاج، ولكنني أسميها صدمة علاجية، ولا أعرف مدى تقبلك لها.

نظرت إليه كريس في اهتمام لتقول له بلهفة واضحة:

- بحق المسيح ماهي تلك الفرصة؟

نظر دكتور كلين إلى باقي الأطباء ملتمسًا من نظراتهم مزيدًا من الشجاعة، وأخذ نفسًا عميقًا وهو يقول:

- سيدة كريس.. هل سمعتِ من قبل عن جلسات طرد الأرواح الشريرة؟

حدقت في وجهه غير مصدقة أن هذا هو الحل.. فتابع دكتور كلين حديثه بمنتهى الجدية وهو يقول لها:

- إنها طقوس حيث يحاول القس إخراج ما يسمى بالروح الغازية، هذه الطقوس صحيح لم يعد لها وجود قوي في زمننا هذا، لكن هذا لا يمنع أن هناك بعض الحالات يمارسها الكاثوليك سرًا ولا يعلنونها خوفًا من الحرج، ولكنها تُفلح.. في الحقيقة رغم أنها ليست لأسباب يعتقدونها في الكنيسة.. ولكن يكفي نقاء وقوة الاقتراح، حيث تعتقد الضحية بحلول الشيطان في جسدها، وبنفس أسلوب قوة الاعتقاد يكون نجاح الطرد وجعلها تختفي من الجسد.

من عيون كل المتواجدين عرفت كريس أن الموضوع جاد، وأن هذا أصبح الباب الوحيد الباقي، والآن هم مجبرون على فتحه والولوج بداخله، لهذا قالت بتساؤل حذر:

- هل تطلب مني أن أذهب بابنتي إلى معالج روحاني؟! ونقوم بجلسة طرد أرواح شريرة؟! هل هذا هو الحل وهذه هي الفرصة التي تقصدها؟!

عرفت من صمتهم جميعًا أنهم يقصدون كل حرف تفوه به دكتور كلين. لهذا لم تنطق كريس بحرف واحد. كل ما فعلته أنها غادرت المكان في هدوء بعد أن ذهبت إلى غرفة نوم ريجان. والتي كانت نائمة بفعل المهدئات التي يحقنونها في جسدها. لمحاولة السيطرة عليها من نوبات العنف الشديدة.. لفتها في بطانية دافئة وحملها خادمها كارل إلى السيارة.. وأخذوها إلى المنزل.

وطوال الطريق كانت كريس تُعيد ترتيب أفكارها.. بعد أن ظهر أمامها حل غريب لم تتخيل يومًا أنها ستلجأ إليه.

وبدون إرادة منها وجدت وجه واحد فقط يقتحم عقلها في تلك اللحظة بمنتهى القوة.

وجه القس الأب داميان كاراس.

*****

كانت النيران تستعر في أعماق الملازم وليام كيندرمان بعد أن تركه الأب داميان. بدون أن يفيده أو يقدم له بادرة أمل في تلك القضية الشيطانية الغامضة.. لهذا أخذ نفسًا عميقًا وذهب حيث وجدوا جثة المخرج بورك.. هناك عند قاعدة ذلك الزقاق بالتحديد عند آخر سلمة من تلك السلالم التي تتعدى المائة. وقف وهو ينظر إلى تلك البقعة الداكنة. والتي كانت يومًا ملتهبة بفعل دماء بورك.

توقف كثيرًا وهو يجوب ببصره كل شيء.. ارتفع بنظره لأعلى.. هالته كل تلك السلالم الحادة.. بعد تلك الجريمة الشنيعة ومنظر الجثة المهول الذي لا يفارق عينيه: أصبح يرى تلك السلالم وكأنها نصال حادة صُنعت خصيصًا لسحق أعماق وأجساد البشر، بل حتى قادرة على سحق جسد حيوان الماموث نفسه لو وضعه حظه العاثر وانزلقت قدماه في ذلك الزقاق.

ببطء بدأ يصعد الدرجات.. قلبه الضعيف وسنه الذي بلغ حد الشيب جعلا كل شيء في جسده يئن وهو يُجاهد.. في النهاية وصل إلى القمة، جاب ببصره المكان لتتوقف عينيه عند نافذة معينة.. وحيدة تُطل على ذلك المنحدر.

عليه أن يذهب إلى أصحاب هذا المنزل ليرى الموقع من منظور تلك النافذة المجهولة له تمامًا.

أما نحن فنعرف تلك النافذة معرفة تامة..

إنها نافذة حجرة ريجان.

*****

في منزل كريس كانت ريجان نائمة وكريس بجانبها تُعيد ترتيب الوسائد وتُغطي جسدها جيدًا.. كل شيء كان هادئًا حتى اصطدمت يداها بشيء

معدنى مبهم أسفل وسادة ريجان.. بتوجس سحبت هذا الشيء لترى ماهو..

لتُفاجأ أنه صليب معدني..

شعرت بقشعريرة وهي تقربه من وجهها وترى المسيح المصلوب عليه.. في أعماقها هتفت:

- اللعنة، ما الذي جاء بهذا الصليب تحت وسادة ابنتي؟!

غادرت غرفة ابنتها سريعًا وهي مازالت ممسكة بذلك الصليب، وفي عينيها نظرات جادة غاضبة، وجدت أمامها خادمها كارل يهبط السلالم الداخلية للمنزل، نادت عليه:

- كارل.

التفت اليها كارل متسائلاً عما هناك، إلا أنها قاطعته بحدة وهي ترفع الصليب أمام عينيه وتسأله:

- هل وضعت هذا في غرفة نوم ريجان تحت الوسادة؟

بنظرة سريعة قال لها كارل:

- ثقي سيدة كريس أن ريجان ستكون بخير.

ردت عليه كريس وقد شعرت من إجابته أن ضغطها سينفجر في وجهه، لهذا قالت له بشراسة:

- كارل إذا كنت قد وضعت هذا في غرفة نوم ريجان أريدك أن تخبرني الآن.. للمرة الأخيرة أقول لك: هل فعلت ذلك؟

- لا ياسيدتي، أقسم لك أنني لم أفعل هذا، بل حتى إنها المرة الأولى التي أرى فيها هذا الصليب الآن.

بعدم فهم وحيرة تركته كريس وبصوت مفعم بالغضب نادت على مساعدتها شارون وخادمتها، وقالت لهما وهي تواجههما وترفع يدها الممسكة بالصليب أمام أعينهما:

- هذا كان تحت وسادة ريجان.. من منكما وضعته هناك؟

بوجه شاحب ردت عليها شارون:

- بالطبع ليس أنا، سيدة كريس.

أما خادمتها فردت بثقة:

- لا، لم أضعه بالطبع.

نظرت إليهن كريس بحيرة وعدم فهم، وقالت وهي تكاد تجن:

- إذا لم يكن أي شخص في هذا المنزل قد وضع هذا الصليب فكيف جاء إلى غرفة نوم ابنتي؟ هل وضعه الشيطان مثلاً بنفسه؟

قطع حديثها خادمها كارل وهو يقول:

- اعذرينى سيدتي..

ردت عليه بصوت حاد متوتر:

- ماذا هناك كارل؟

- هناك رجل يود أن يراك الآن؟

- أي رجل؟!!

لم تعطه الفرصة ليجاوبها، بل تركتهم جميعًا واتجهت بعصبية مفرطة إلى بهو المنزل، ولم تنسَ بالطبع أن تضع الصليب أولاً في درج مكتبها الخاص.

وجدت أمامها رجلاً غريبًا عنها لم تره من قبل.. حينما رآها خلع قبعته باحترام وهو يقدم نفسه إليها:

- أنا الملازم ويليام كيندرمان سيدتي.. لن آخذ من وقتك كثيرًا.. هي مجرد دردشة.

بابتسـامة دبلوماسـية شـجعته كـريس على الجلـوس على تلـك المائـدة الصـغيرة في بهـو المنزل. وبعـد فترة وجيزة وهـو يقلـب فنجـان القهـوة رفـع رأسه بهدوء إلى كريس وهو يقول لها:

- هل السيد بورك زار ابنتك في غرفتها قبل الوفاة؟

بهتت من السؤال وشعرت بتوتر وقلق مبهم. ووجدت نفسها تهتف:

- لماذا تسأل؟!

لـم يـرد عليهـا المـلازم وليـام وإنمـا اتبـع نفـس أسـلوبه الـذي يعشـقه. الملاحقة بالأسئلة:

- هل يمكن أن تتذكر ابنتك كل ما حدث في تلك الليلة؟

- لا، فهي مريضة بشدة.

بهـت مـن إجابتهـا، فلـم يتوقـع أن يكـون الـدليل الوحيـد الـذي قطـع كل هذه المسافة من أجله.. مريضًا.. فسألها باهتمام حقيقي:

- هل هو مرض خطير؟

- أخشى ذلك.

- هل يمكن أن أسأل ماذا أصابها؟

- في الحقيقة نحن مازلنا لا نعرف ما بها.. على وجه الحقيقة كل شيء مبهم حتى الآن.

صمتت لبرهة من الوقت، واستجمعت شجاعتها وهي تنظر في عيني الملازم وتقول له:

- لماذا تسأل كل هذه الأسئلة أيها الملازم؟

- إنه أمر غريب سيدة كريس، أمر يستحق أن تشاركيني فيه، لهذا جئت إليك.

وضع يده أمام وجهه وكأنه يفكر بصوت عالٍ:

- يأتي بورك المتوفى لزيارة ابنتك ويمكث معها ٢٠ دقيقة، ثم يترك فتاة وحيدة ومريضة جدًا ويغادر مسرعًا بدون سبب وجيه.. أنا أتحدث معك بوضوح الآن.. في الحقيقة لا يبدو الأمر وكأنه سقط وهو مخمور كما يشاع بين العامة، بالإضافة إلى أن السقوط لا يجعل رقبته تنثني هكذا حول نفسها، هذا هو إحساسي الداخلي ورأيي الخاص: أن بورك قد تمّ قتله، وأن من قتله هو شيء ما بالغ القوة.. هذه هي النقطة الأولى..

قطعته كريس وهي تسأله بدهشة:

- شيء ما قتل بورك! ماذا تقصد بشيء ما أيها الملازم؟

- أسف إذا خانني التعبير. ولكن ما أقصده هو أن الأمر مربك، حيث من المفترض أن الجريمة تحتاج إلى رجل قوي للغاية، رجل يفوق في قوته مفهوم القوة الطبيعية لدى البشر، بحيث يستطيع أن يقتلع رقبته بهذا الشكل البشع. وهذا ما يسبب لنا جميعًا تلك الحيرة.. أما بخصوص النقطة الثانية فبالإضافة إلى الأسباب المتنوعة الأخرى التي ذكرناها.. تجعل من المحتمل جدًا.. محتمل وليس مؤكدًا، أن الميت قُتل بشراسة، ثم دُفع بقوة من نافذة ابنتك ليتهشم جسده تمامًا على تلك الدرجات الحادة.. ولكن العقل يقول إنه لم يكن في الغرفة سوى ابنتك.. فكيف حدث هذا؟! هذا هو اللغز الذي ستطير بسببه عقولنا قبل أن نجد له حلاً.

نظرت إليه كريس وعيناها تحملان ألف سؤال وسؤال، في أعماقها كان هناك شعور يتزايد مع الوقت، ومع كل حرف ينطق به الملازم.. شعور يحمل اسم الصدمة.. ويبدو أن الملازم بخبرته شعر بهذا، لهذا احترم صمتها وأعطى لها فرصة لكي تهضم تلك الأهوال.. ليستكمل حديثه بنفس الصوت المفكر:

- هناك حل واحد فقط لهذا اللغز.. أن شخصًا ما مجهولاً أتى في الوقت بين ذهاب الآنسة شارون وعودتك، واستغل هذا في قتل بورك.

تذكرت كريس شيئًا ما، فقالت بعجلة:

- يا إلهي، لحظة واحدة.

شعر الملازم أن هناك شيئًا ما، فقال بفضول:

- هل عادةً يأتي زوار للخدم؟

- لا، على الإطلاق.

- هل كنتِ تتوقعين وصول طرود هذا اليوم؟

- لا شيء.

- وماذا عن المواد الغذائية.. المنظفات.. أي شخص يبيع أي شيء؟

- حقًا سيدي الملازم لا أعرف هذه الأشياء، ولا أشغل عقلي بها، فخادمي كارل يعتني بكل صغيرة وكبيرة في شؤون المنزل.. هل تود أن تسأله؟

- لا.. لا يهم.

أخذ نفسًا عميقًا وهو يغادر المائدة الصغيرة ويتجول في المنزل، مما دعا كريس أن تسأله بابتسامة:

- هل تود فنجانًا آخر من القهوة؟

- إذا كان مسموحًا طبعًا.. أوافق.

حملت الفناجين الفارغة. أما الملازم وليام فكان مستمرًا بالتجول في بهو المنزل، توقفت عيناه عند بعض الرسومات باللون الأبيض والأسود معلقة بجانب النافذة، كما وجد بعض التماثيل الصغيرة بالصلصال. أمسك واحدًا منها، كان لسلحفاة صغيرة، في قرارة نفسه شعر بالإعجاب لمن صنع بيديه تلك التحفة الفنية، مما جعله يلتفت إلى كريس ويسألها:

- هل ابنتك يا سيدتي هي من صنعت هذا التمثال؟

بابتسامة زهو هزت رأسها بالإيجاب، وهي تأخذ منه التمثال وتقدم له فنجانًا آخر من القهوة، ليقول لها الملازم:

- من الممكن أن تسألي ابنتك بخصوص بورك إذا كانت تتذكر رؤيته في غرفتها تلك الليلة. هل سمعت شيئًا؟ أو رأت شخصًا ما؟ أنا واثق سيدتي أن ابنتك لديها الكثير لتخبرنا به وتزيل تلك الطلاسم عن هذه الجريمة.

شعرت كريس بالتوجس من محاولة إقحام ابنتها وهي مريضة في تلك الجريمة، لهذا وجدت نفسها ترد بسرعة تحمل لمحة من الشراسة:

- أنا واثقة أن بورك لم يذهب إلى حجرة ابنتي في تلك الليلة، وابنتي نفسها ليس لها علاقة بتلك الجريمة.

- سيدتي، علينا فقط أن نسألها لنغلق هذا الباب تمامًا، وكما يقولون: إذا لم يسأل الأطباء قديمًا عن ماهية ذلك الفطر الغريب ما كنا لنعرف أبدًا اليوم ما هو البنسلين.. أليس كذلك سيدة كريس؟

- عندما تتحسن صحتها سأسألها.

- عظيم، وأنا سأنتظر دائمًا في أي وقت أي اتصال من طرفك.

أخذ معطفه وناولته قبعته، وهو يستعد للاتجاه إلى باب المنزل ويقول لها:

- أنتِ فعلاً سيدة لطيفة.

- شكرًا لك أيها الملازم، أنت أيضًا رجل مهذب.

- سأعود مرة أخرى عندما تتحسن صحة ابنتك.

غادر المنزل بهدوء، أما كريس فجلست تجمع كل أفكارها بخصوص حديث الملازم وليام.. ويفصح كل التوتر بداخلها عن نفسه كهدير مدافع.. أيكون لابنتها أي دخل في موت بورك؟ شعرت بأمعائها تتقلص لمجرد التفكير في هذا الاحتمال، لم تعرف ماذا تفعل في هذه المصائب التي تنهال فوق رأسها.. مرض ابنتها.. ثم موت بورك.. حاولت أن تتمالك أعصابها، وقد ساعدها إلى حدٍ ما هدوء المنزل الشديد، لا يوجد

سـواها وشـارون مسـاعدتها.. كانـت تتجـه إلى مقعـدها المفضـل في بهـو المنزل لترتاح عليه، حين اقـتحم شيء ما مخيف هدوء المنزل..

شـيء لـه صـوت أجـش.. غير بشـري.. قبـيح.. مـع أصـوات أشـياء كثيرة تتحطم بعنـف.. كل هـذا يخـرج من غرفـة ابنتها ريجـان.. كان الصـوت قويـا.. واضـحًا.. مـع صـراخ ابنتهـا الهيسـتيري.. على الـرغم مـن أنهـا في الطابق الأرضي وابنتها في الطابق العلوي..

أجفلت بشـدة وانـدفعت بسرعة الصاروخ بأرجل مرتعشـة من الخـوف نحـو حجـرة ابنتهـا، ودقـات قلبهـا تتصـاعد بعنـف.. تنـاهى إلى مسـامعها قبل أن تفتح باب الحجرة ذلك الصوت الشيطاني الأجش وهو يقول:

- افعليها مرة أخرى أيتها العاهرة.

وصراخ ابنتها الهيستيرى يتصاعد بعنف وهي تقول:

- لا.. أرجوك.. لا..

فتحت كريس الباب لتنتفض كل خلية في جسده وتتسـع عيناها رعبًا وتلتصق بباب الحجرة، حيث أمام عينيها المذعورتين كانت ابنتها ريجان بملابسـها البيضـاء نائمـة في فراشـها.. سـاقاها مفتوحتـان.. وفي يـدها نفس الصليب الـذي وضـعته هي بنفسـها في حجـرة مكتبهـا.. تمـارس بـه الجـنس بقـوة مـع نفسـها.. ومـن بـين فخـذيها كانـت هنـاك نـافورة مـن الدماء تغرق كل شيء.. الفراش.. ملابسها.. يديها..

بل حتى وجهها الذي تلطخ بدماء عذريتها.. كانت ريجان تغتصب نفسها بنفسها عن طريق صليب معدني بعنف مؤلم.. وما جعل كريس تموت من شدة الرعب هو أنها فوجئت أن الصوت غير البشري يخرج هو الآخر من حنجرة ابنتها، وهو يقول بشراسة وشهوة:

- دعي المسيح يمارس الجنس معك.. دعي المسيح يمارس الجنس معك.

كان صوت الصليب المعدنى وهو يرتطم بقسوة بمهبلها كصوت سكين يقطع اللحم بقوة.. اغتصاب سادي إلى أقصى درجة..

أما ريجان نفسها فقد تلوث وجهها بكل دماء مهبلها.. وعلى وجهها ارتسم ألعن تعبير، مزيج من الألم والشراسة والعنف.. وعلى وجهها ارتسم وجه آخر شيطاني يحمل كل موبقات الحياة..

انتصرت في النهاية غريزة الأمومة داخل كريس على خوفها، وهي تجرى نحو ابنتها تحاول أن تختطف منها الصليب المعدني، إلا أن ابنتها قاومتها بشدة، وأمها تصرخ في وجهها:

- أعطني هذا الصليب، كيف حصلتِ عليه؟!!

صراخ ريجان مع صراخ كريس حوّلا الحجرة إلى شيء أشبه بالجحيم.. وجدت كريس أن ابنتها ريجان تمتلك قوة جسدية غير عادية.. وكأن الشيطان الذي يسكن في جسدها قد أعطاها جزءًا من صفاته..

بسهولة أمسكت ريجان رأس أمها كريس لتضعه بين فخذيها وعلى مهبلها الممزق، وهي تأمرها بشهوانية شيطانية مطلقة أن تلعق كل هذه الدماء.

كانت تحاول أن تجعل وجه أمها يتلوث هو الآخر بتلك الدماء الشيطانية، ومن الدماء المنهمرة بين ساقيها لطخت وجه كريس فعليًا بدماء مهبلها، ثم رفعت وجه أمها وأمسكت عنقها بقسوة لتهوي على وجهها بصفعة هائلة.. جعلت جسد أمها كريس يطير ليرتطم بالأرض بقوة..

صفعة من يد ابنتها حملت إليها كل المهانة.. جعلتها تُطلق صرخة ألم شنيعة وهي لا تصدق أن ابنتها تفعل بها هذا.. شعرت من قوة الارتطام أن جسدها قد تحطم.. لمحت بعينيها مساعدتها شارون وهي تصعد درجات السلم الداخلي بسرعة متجهة لنجدتها من ابنتها.. وقد شعرت ريجان هي الأخرى بقدومها، فبنظرة واحدة من عينيها أُغلق باب الحجرة بقوة، وكأن يدًا خفية هي من تتحكم في كل شيء في المنزل الآن.

تحرك المقعد الضخم في الحجرة ليستقر خلف الباب ليمنع فتحه تمامًا..

كانت شارون تطرق الباب بعنف وهي تنادي كريس لكي تفتح لها.. تحاملت كريس وحاولت أن تنهض بصعوبة. إلا أنها رأت الدولاب الضخم في حجرة ابنتها يتحرك بقوة ناحيتها محاولاً أن يسحق جسدها

الممدد على الأرض.. تفادته بصعوبة وهي تحرك جسدها زاحفة على الأرض إلى الناحية الأخرى..

نظرت إلى ابنتها ريجان ليقفز في هذه المرة رعبها إلى أقصى درجة.. حيث رأت ريجان جالسة على حافة فراشها ورأسها يدور حول محوره ٣٦٠ درجة.. وجه شيطاني مخيف لا يمت بأدنى صلة لوجه ابنتها..

وبنفس الصوت الشيطاني قال وهو يواجه كريس:

- إنكِ لن تتخيلي أبدًا ماذا فعلت بجسد هذه الفتاة العاهرة.

لم تتحمل أعصاب كريس كل هذا..

ظلت تصرخ.. وتصرخ.. وتصرخ.

(((- مواجهـــات -)))

"فذهبت إلى بيتها.. ووجدت الشيطان

قد خرج والابنة مطروحة على الفراش"

إنجيل مرقس

الإصحاح ٧

في اليوم التالي في ذلك المكان الهادئ بجانب الجامعة، وقفت كريس بمعطفها الثقيل وتلك العوينات السوداء الكبيرة التي تُخفي بها الكثير من وجهها المتورم، والذي يحمل كدمات شنيعة.. وقد نجح إلى حد كبير غطاء رأسها في أن يخفي الكثير من شخصيتها الحقيقية.. وقفت بهدوء تنتظر الأب داميان كاراس.

كانت قد قضت أمس يومًا شنيعًا بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ.. بعد التغير المخيف في شخصية ابنتها، سواء النفسية أو حتى الجسدية والشكلية، لم تدر كيف أنقذتها مساعدتها شارون، كل ما تعرفه أنها فوجئت بجسد خادمها الأمين كارل يقتحم باب الغرفة بقوة محطمًا إياه بعنف وفي يده تلك المطرقة الضخمة..

ليقوم كارل بمجازفة كبيرة وهو يقيد بمفرده جسد ابنتها ريجان جيدًا، حتى جاء دكتور كلين ومعه جيش من مساعديه، وكانت ليلة ليلاء قضوها في محاولة إنقاذ جسد ابنتها من كل تلك الدماء المنهمرة من مهبلها الذي تهتك كثيرًا.. في النهاية فعلوا بعد مجهود كبير معجزة طبية في إنقاذ ريجان.. ثم قيدوها جيدًا في فراشها وأبعدوا من الحجرة كل شيء مدبب، وزيادة في الحرص تم تبطين الحجرة بالكامل حتى لا تجد ريجان أي وسيلة شيطانية وتؤذي نفسها.

وبما أن الأمور قد وصلت إلى هذا الحد الشنيع فقد اتصلت كريس بالأب داميان بعد أن أخذت رقم هاتفه من صديقها الأب داير.. شعرت

في قرارة نفسها أنها قد وصلت مع ريجان إلى نقطة اللاعودة، وأن هذه هي اللحظة المناسبة تمامًا لتُدخل الأب داميان.

أفاقت من ذكرياتها السوداء على صوت هادئ بجانبها يقول لها:

- السيدة كريس؟

نظرت كريس إلى محدثها وهي تقول له بلهجة يشوبها الكثير من الحزن:

- مرحبًا أيها الأب داميان.

قال لها الأب داميان بصوت يحمل نبرة أسف حقيقية:

- كان من المفترض أن أحضر إليك بملابس الكهان الرسمية وليس بتلك الملابس العادية.

لم ترد عليه ولكن اكتفت بابتسامة شاحبة، لتقول له:

- هل معك سيجارة أيها القس؟

- طبعًا سيدة كريس.

- شكرًا لك.

ومع أول أنفاس سيجارتها شعرت أنها تُفرغ الكثير من توترها.. وعلى الرغم من ملابسهما الثقيلة إلا أن الأب داميان قد ضم ياقة معطفه الثقيل وهو يقول لها:

- إن الجو اليوم بارد للغاية.

لم تعلق كريس على جملته. وقد احترم هو سكوتها، شعوره أنبأه أن هذه المرأة تحمل الكثير من الهموم، إنها ليست تلك الممثلة التي رآها تملأ موقع التصوير بهجة ونشاطًا وحيوية.. هو نفسه قد صُدم كثيرًا من شكلها منذ اللحظة الأولى، ومن ملاحظته لتلك الكمدات الشنيعة في وجهها عرف أنها تمر بتجربة سوداء فعليًا..

طبعًا لم يعلق على تلك العوينات الكبيرة التي تلتهم نصف وجهها.. في النهاية قتلت كريس هذا الصمت وهي تسأله أول سؤال تبادر إلى ذهنها:

- كيف لطبيب نفسي أن يصبح قسًا؟

- بالعكس يا سيدة كريس.. ماحدث هو العكس.. فالمجمع الكنسي هو من أرسلني إلى كلية الطب لأدرس الطب النفسي.

- أين؟

- جامعة هارفارد.

كانا يسيران بهدوء وبطء محاولان أن يقتلا برودة الجو.. لتخبره كريس بشبح ابتسامة:

- لقد علمت أنك صديق للأب داير.

- فعلاً هو صديقي المقرب جدًا.

- هل تحدث من قبل عني أمامك؟

- بالتأكيد، لقد تحدث كثيرًا.

صمتت لحظات لتسأله في توجس:

- وهل تحدث أمامك عن ابنتي؟

بدهشة حقيقية أجابها:

- ابنتك! في الحقيقة إنها المرة الأولى الآن التي أعرف فيها أن لك ابنة.

- إذن هو لم يخبرك بأي شيء عنها.

- لا لم يخبرني.

- أو حتى لم يخبرك ماذا فعلت، أو بمعنى أدق ماذا حدث لها؟

- لا ياسيدتي، ثقي أنه لم يخبرني بأي شيء.

قالت وقد ارتسم على وجهها شعور بالارتياح:

- إذن فمقولة أن القساوسة قليلاً ما يتحدثون هي جملة صحيحة.

- هذا يعتمد على القس نفسه يا سيدتي.

أنهت سيجارتها لتقتل لهيبها تحت حذائها الأنيق، وهي تعدل من وضع عويناتها وتسأله باهتمام:

- ماذا تفعل إذا جاء إليك أي شخص وعرفت أنه مجرم أو حتى قاتل، وأراد نوعًا من أنواع المساعدة، هل ستبلغ عنه أم ستعالجه؟

- في الحقيقة إذا جاء طلبًا لنصيحة روحانية سأرفضه.

- ترفضه!

- طبعًا.. لكن سأحاول إقناعه بشتى الطرق لتسليم نفسه للشرطة.

- إذن، كيف ستستمر في طرد الأرواح الشريرة؟

بهت من سؤالها وتوقف عن السير وهو ينظر اليها بريبة وشك، فلم يتوقع أبدًا منها هذا السؤال:

- في الحقيقة لا أفهم مغزى سؤالك سيدة كريس.

نظرت إليه كريس في عينيه ثم قالت بصوت حاولت قدر الإمكان أن يخرج طبيعيًا وليس به رائحة توتر.

- إذا كان شخص تعرفه ممسوسًا بقوى شيطانية، فكيف يمكنك مساعدته وطرد الشيطان من جسده؟

- أولاً يجب أن أضعه في آلة الزمن وأعيده إلى القرن السادس عشر.

اندهشت من إجابته، فقالت له بلهجة ملؤها الاستغراب وعدم الفهم:

- ماذا؟! في الحقيقة لا أفهم ردك أيها القس.

- أقصد أن موضوع طرد الأرواح الشريرة لم يعد يحدث في عصرنا الحديث سيدة كريس، لقد انتهى زمن الممسوسين وجلسات الطقوس السرية.

- من قال لك هذا؟

- بصراحة منذ أن تعلمت الطب النفسي وغصت في مستنقع الأمراض النفسية والعقلية وجنون العظمة، وكل تلك الأشياء التي يموج بها العقل البشري، والتي تعلمتها في هارفارد.

صمت لحظة، ثم قال لها بثقة وثبات:

- سيدة كريس، منذ انضمامي إلى الكنيسة واليسوعيين لم أقابل قسًا واحدًا قام بطرد الشياطين أو حتى مارس تلك الطقوس الشيطانية.

صدمت كريس من إجابته وشعرت أن آخر أمل لها يتلاشى أمام عينيها سريعًا، ولكن استجمعت شجاعتها لترد عليه:

- ولكن يؤسفني أن أخبرك أنك مخطىء في حديثك هذا وأن هذا ما حدث فعليًا لشخص قريب مني للغاية، من المحتمل أنه قد مسه الشيطان ويحتاج إلى عملية طرد للشياطين من جسده.

خانتها إرادتها وقوتها التي تتظاهر بها أمامه منذ بدء الحديث، لتبكي وهي تقول بصوت مرتعش من فرط الانفعال:

- إنها ابنتي الصغيرة أيها الأب داميان.. ابنتي الوحيدة قد مسها الشيطان وهو الآن يسكن ويرتع بمنتهى الحرية في جسدها الصغير.

أمسك الأب داميان يديها محاولاً أن يبث إليها بعضًا من الثقة والطمأنينة وهو يقول لها:

- هذا أكبر سبب لتنسي تمامًا عملية طرد الشياطين هذه.

- لماذا؟

- لأنها يمكن أن تؤدي بالأمور إلى الأسوء.

- كيف؟

شعرت أن قدميها لا تحتملان جسدها، فجلست على واحد من تلك المقاعد المتراصة في الحديقة وهي مازالت تبكي، ليقول لها الأب داميان:

- لأن الكنيسة يجب أن توافق وتُصدق وتبارك أولاً على تلك الطقوس قبل أن نقوم بها.. سيكون هناك تحقيقًا موسعًا يقوم به رهبان الكنيسة للتأكد من أن ابنتك فعلاً ممسوسة، وذلك سيستغرق وقتًا، وكما فهمت فإن حالة ابنتك متأخرة.

نظرت إليه وهي تقول مستعطفة إياه:

- ألا يمكنك أن تقوم بهذا بعيدًا عن الكنيسة؟

- لا، غير مسموح طبعًا أن أخطوا خطوة واحدة بدون موافقة الكنيسة، خصوصًا في موضوع شائك ومعقد مثل هذا..

وخذيها كلمة مني سيدتي، نادرًا ما توافق الكنيسة على تلك الأشياء الخرافية، ولكن على الرغم من هذا من الممكن أن أرى ابنتك، ولكن بشرط.

- شرط؟

- أن أراها كطبيب نفسي فقط وليس كقس.

صرخت في وجهه وقد فاض بها الكيل:

- لا أريدك كطبيب نفسي، ابنتي تحتاجك كقس، لقد رآها كل طبيب نفسي غبي في هذا العالم وجميعهم فشلوا في علاجها، وفي النهاية نصحوني بأن آتي إليك، وأنت الآن تجيء لتقول لي أن أذهب إليهم مرة أخرى!

أجهشت في البكاء بطريقة عنيفة، وقد شعرت بالضعف والعجز وقلة الحيلة وهي تهتف:

- يا إلهي، ألن يساعدني أي شخص في هذا العالم؟

حاول القس داميان أن يُهدئها، إلا أنه شعر بالعجز أمام زمام أعصابها الذي فلت منها بلا رجعة.

- أرجوك ساعدها أيها الأب داميان، إن ابنتي تتعذب ألف مرة في اليوم.

وضعت رأسها على كتفه وانهمرت في البكاء..

هنا فقط شعر الأب داميان أنه منذ هذه اللحظة قد أصبح جزءًا من شيء كبير لا يعرف كنهه، وأن الظروف قد اختارته هو فقط من بين كل رهبان الكنيسة لهدف خفي..

في قرارة نفسه شعر بالشفقة والتعاطف الشديدين تجاه هذه المرأة وابنتها.

سيساعدها.. حتى لو تحدى العالم أجمع.

*****

طوال الطريق إلى المنزل شعرت كريس في أعماقها بتمتنان لا حدود له تجاه منقذها الأب داميان كاراس.. أحست أنه وسط كل تلك الظلمة التي تحيا وتتعايش فيها هناك بصيص من النور والأمل قد بدأ يغزو حياتها مجددًا.. مبددًا ولو قدرا ضئيلاً من ذلك السواد في منزلها.

صعد الجميع درجات السلم نحو غرفة ريجان.. في أعماقه شعر الأب داميان ببعض التوجس والتوتر، إنها التجربة الأولى له في حياته كلها التي يشعر فيها أنه مجبر بدون إرادة منه، وعن طريق قوة أخرى أكبر منه تحركه وتحثه على أن يمشي في هذا الطريق ويساعد تلك المرأة وابنتها.

وجدت كريس خادمها كارل يجلس على باب حجرة ابنتها يحرسها.. نظرت إلى الأب داميان نظرة طويلة.. وكأنها تريد أن تخبره: أرجوك اعتني جيدًا بابنتي.. ليتركها ويتجه سريعًا إلى غرفة نوم ابنتها، وبهدوء يفتح الباب..

ويضع قدمه لأول مرة في حياته داخل عرين الشيطان نفسه..

ومن النظرة الأولى شعر بالصدمة، وأن كيانه كله يرتج بقوة وعنف من الداخل.. فهناك في تلك الغرفة الباردة ذات الإضاءة الباهتة الهادئة.. كانت تتمدد ريجان في فراشها في وضع مصلوب.. يداها مربوطتان جيدًا على جانبي الفراش..

لم تكن ريجان التي نعرفها، بل كانت مسخًا شيطانيًا.. متخفٍ ويعيش في جسد طفلة مراهقة، وجهها منتفخ، هناك خدوش شنيعة المنظر في وجهها المنتفخ.. بنظرة سريعة وجد أن كل الغرفة قد تم تبطينها حتى لا تؤذي جسدها بأي شكل كان..

أغلق الباب خلفه بهدوء وهو ينظر إليها بثبات، لا يعرف كيف وجد في نفسه الشجاعة ليقف أمام هذا الغول وهو يقول لها بنبرة واثقة:

- مرحبًا ريجان.

نظرت إليه ريجان نظرة نارية ولم ترد عليه، وإن كانت في عينيها نظرة شيطانية تحمل تساؤلاً.. فقال لها بهدوء وهو يكمل حديثه:

- أنا صديق أمك وأود مساعدتك.

بصوت شيطاني أجش قادم من أعماق الجحيم قالت له:

- إذا أردت مساعدتى فعليك أولاً أن تفك كل تلك القيود حول جسدي.

تقدم ناحيتها بخطوات بطيئة وهو يرد عليها:

- في الحقيقة أنا خائف من أن تؤذي نفسك يا ريجان.

- أنا لست ريجان.

- فعلاً. أنا أيضًا أرى أنك لستِ ريجان التي نعرفها.

ثم صمت لحظة ليقول لها:

- أولاً دعيني أقدم لك نفسي.. أنا داميان كاراس.. الأب داميان كاراس.

بلهجة حادة متنمرة هتفت بقسوة:

- وأنا الشيطان.. هل يمكنك فك هذه القيود؟

- إذا كنت فعلاً الشيطان فلماذا لا تجعل تلك القيود تختفي؟

- إن هذا ليس عرضًا فظًا للقوة والقدرات يا داميان.

ابتسم ابتسامة خفيفة سرعان ما تلاشت من منطقها في الرد، ليقول لها:

- أين ريجان؟

- هنا معنا.

- إذا دعني أرى ريجان وسأفك تلك القيود حالاً.

- وفر مساعدتك يا خادم مذبح الكنيسة.. لأمك العجوز.. أيها القس.

بهت من ردها وشعر في أعماقه بدهشة وصدمة، ازدادت حينما سمع الشيطان على لسان ريجان يقول له:

- امك هنا معنا يا داميان.. هل تود أن تترك لها رسالة؟ ثق أنني سأتأكد من أنها ستحصل عليها.

بنفس تلك النظرة المتوجسة ظلّ يحدق فيها للحظات، ثم ابتسم وهو يجلس على تلك الأريكة المواجهة لفراشها وهو يقول بمكر، وقد انتصرت في أعماقه تلك النزعة كطبيب نفسي يجيد المراوغة مع المرضى:

- إذا كان ما تقوله صحيحًا، يجب أولاً أن تخبرني باسم أمي كاملاً قبل الزواج.. ماهو؟

نهض من مكانه وهو يتجه إليها محدقًا في عينيها اللتين تحملان كل الشر، وهو يعاود سؤالها بلهجة متحدية:

- ما هو اسمها؟

نظرت إليه ريجان بعينين تشعان كراهية ونارًا وشرًا.. ثم في لحظة خاطفة رفعت رأسها باتجاهه وهي تطلق فحيحًا عاليًا وينطلق من فمها شلال من القيء الأخضر اللزج، ليغرق وجهه وملابسه ويتناثر منه الكثير على الفراش وعلى ملابسها هي شخصيًا..

أجفل بشدة من تصرفها. فلم يتوقع أبدًا أن تقيء بهذه الصورة المقززة.. ولا أن يتشبع المكان بكل تلك الرائحة الكريهة.. لهذا سريعًا مسح وجهه محاولاً أن يزيل كل ذلك القيء الشيطاني.. وهو ينظر إلى ريجان التي استكان جسدها.. وإن كان صوت تنفسها الشديد يعلن أنها تجاهد بصعوبة لالتقاط أنفاسها..

ظل يحدق فيها لدقائق وهي تنظر إليه بغل وكراهية.

حتى ترك الغرفة.

وترك وراءه شيطانًا يحمل اسمًا بشريًا..

اسم.. ريجان.

*****

في بهو المنزل كانت كريس تنتظره على أحر من الجمر.. هالها شكله.. وفزعت من شكل القيء الأخضر الذي أغرق ملابسه.. حكى لها ما حدث بكلمات سريعة.. فطلبت منه أن يعطها سترته لتنظفها له سريعًا.

استغل الوقت في أن يذهب إلى المكان المفضل لريجان في المنزل، حيث كل أعمالها الفنية والتماثيل التي صنعتها، لفتت نظرة رسومات بالأسود والأبيض كئيبة المنظر.. كما أنه في قرارة نفسه اندهش من رسم لها عبارة عن أسد له جناحان!

اللعنة، أي خيال هذا الذي يجعل مراهقة ترسم أسدًا بجناحين؟!

تساءل أيضًا كيف لفتاة كانت تحمل كل هذا العشق للفن أن تتحول إلى هذا المسخ الشيطاني!

لم يعرف كم استغرق في أفكاره تجاه ريجان.. رفع بصره فوجد على الناحية المقابلة كريس وقد انتهت من تنظيف السترة وتمّ كيها.. أخذ منها السترة وهو يشكرها، ثم قال لها بهدوء وهو يزن كل حرف ينطق به:

- بصراحة أنا ضد فكرة إيذائها أكثر من هذا.

بصوت محبط ردت عليه كريس:

- لا تخف.. في الحقيقة لا شيء ستفعله مهما كان سيكون أسوء من حالتها وما فعلته معي أنا شخصيًا.

- على الرغم سيدة كريس من أنني لأول مرة أرى حالة غريبة ومخيفة مثل حالة ابنتك، إلا أن الكنيسة تحتاج إلى دليل معين كإشارة على أن جسدها قد استحوذت عليه الشياطين.

- مثل ماذا؟

رد عليها وهو يفكر:

- بأن تتحدث بلغة لم تعرفها أو تدرسها من قبل في حياتها.

- وماذا أيضًا تحتاجه الكنيسة إثباتًا أن ابنتي واقعة تحت استحواذ شيطاني؟

صمت لحظات وهو يقلب الأمر في رأسه ليقول وهو يهز رأسه ببطء:

- في الحقيقة لا أعلم.. يجب أن أفتش جيدًا في كل حالات الاستحواذ في التاريخ.

بدهشة ردت عليه كريس وهي تقول:

- لقد اعتقدت أنك خبير في هذه الأمور.

- ليس هناك خبراء سيدتي.. ربما أنتِ شخصيًا تعلمين عن استحواذ الشياطين أكثر مما يعلمه معظم القساوسة.. المشكلة أن ابنتك لا تقول بأن بداخلها شيطانًا أو استحوذت

عليها روح شريرة.. ابنتك تقول وتفتخر أنها الشيطان نفسه.. وإذا رأيتِ أي مرضى نفسيين كما رأيت أنا ستدركين على الفور الفارق بين الكلمتين.. لقد قابلت مرضى كانوا يُقسمون لي أنهم نابليون بونابرت!

لقد سألتيني سيدتي ما هو الأفضل بالنسبة لابنتك.. في الحقيقة أعتقد أن ٦ شهور تحت الملاحظة في أفضل مستشفى للطب النفسي قد تُؤتي بنتيجة.

بصمت تركته يقول كل ما لديه، ثم انفجرت في وجهه بدون مقدمات، وهي تهتف بصوت يمتزج بصراخها وانفعالها الشديد:

- أنا أعرف ابنتي جيدًا وأقسم لك أن الشيء الذي يجلس في الأعلى في حجرة ريجان ليست ريجان ولا تشبهها على الإطلاق.. ليست نفس النظرة ولا الصوت ولا الشكل.. كل شيء في جسدها يطفو على سطحه شر مطلق.. هل رأيت من قبل مريضًا عقليًا أو نفسيًا يقيء كل تلك السوائل الخضراء اللزجة كريهة الرائحة؟! أي مرض هذا الذي يُغير الجسد إلى مسخ؟! أخبرني أنه لا شيء خاطئ في جسد ابنتي سوى عقلها.. أخبرني أنك متأكد وواثق أن عمليات طرد الأرواح الشريرة لن تُجدي نفعًا مع ابنتي، وأن كل هذا وهم وأكذوبة.

لـم يـرد عليهـا، كـان في قـرارة نفســه يعـرف أن كلامهـا صـحيح تمامًـا ومنطقي.. ولكـن عقلـه كان يـرفض إلى حـد مـا فكـرة أن ابنتهـا أصـبحت الشيطان.

مـرت لحظـات صـمت ثقيلـة للغايـة بينهمـا، التـزم فيهـا الأب داميـان الصمت تمامًا حتى تهدأ ثورة كريس.. على باب المنزل وهو يودعها حاملاً لفافة مغلقة بعناية.. تذكر شيئًا ما فالتفت يسألها باهتمام:

- هـل كانـت ريجـان تعـرف أن هنـاك قسًـا مـن الكنيسـة قادمًـا ليراها؟

- لا طبعًا

- هل تعرفين أن أمي ماتت مؤخرًا؟

- نعم، وأنا آسفة لسماع هذا.

- هل ابنتك ريجان كانت تعرف هذه المعلومة؟

- لا.. لا طبعًا، على الإطلاق.

نظرت له بشك، ثم سألته سؤالاً مباشرًا:

- لماذا تسأل كل هذه الأسئلة؟

همّ أن يقول لها شئًا ما، ثم فضّل أن يبتلع كل هذا حاليًا وهو يقول لها بصوتٍ خالٍ من أي تعبير:

- ليس مهمًا سيدة كريس.. طابت ليلتك.

عبر الشارع سريعًا وابتلعه الظلام.. وتابعته كريس بنظرها وهي تُغلق الباب بهدوء خلفه.

ولكن على الناحية الأخرى من الشارع في تلك البقعة الهادئة.. خافتة الإضاءة، كانت هناك عينان حادتان تراقبهما من خلف زجاج السيارة..

كانت عينا الملازم وليام كيندرمان بنفسه.. تابعه هو الآخر ببصره ثم رفع عينيه إلى نافذة ريجان، وشعر في أعماقه بدهشة بالغة، فهناك على ذلك الضوء الخافت الذي استطاع أن يتسلل من وراء تلك الستائر والنافذة الزجاجية المغلقة بعناية..

رأى ذلك الظلّ الذي ظهر واختفى في لحظة واحدة..

ظل لشيء ما..

في قرارة نفسه شعر أنه ظل..

لشيء غير بشري.

*****

في نفس الليلة وفي هذه الساعة المتأخرة من الليل، والتي تعدت منتصف الليل بكثير، جلس الأب داميان في معمل اللغات بجامعة جورج وهو يفض محتويات تلك اللفافة التي أخذها من كريس.. شريط صوتي.. عليه صوت ريجان، كانت أمها قد سجلته لها في عيد ميلادها لكي ترسله إلى والدها.. ولكن تسارع الأحداث لم يُعط لكريس الفرصة لتقوم بإرسال هذا الشريط.. لهذا ظلّ حبيسًا في مكتبها بالمنزل..

استمع باهتمام شديد إلى صوت ريجان.. كان يريد أن يستمع إلى تون صوتها.. اللعنة، هذا الصوت لا يمت بأدنى صلة للصوت الذي كان يتحدث معه في الحجرة.

*****

في اليوم التالي في الكنيسة الملحقة بالجامعة.. وقف الأب داميان بثياب الكهنوت المميزة البيضاء الناصعة والمطرزة بخيوط ذهبية أمام مذبح الكنيسة، وبين يديه كان يكسر الخبز المقدس إلى نصفين.. ثم حمل الكأس المقدسة بيديه وهو يرفع عينيه بثبات إلى صور مريم العذراء ويقول بصوت قوي:

كسر الخبز وأعطاه لتلاميذه وقال

خذوا هذا لكم جميعًا.. وتناولوا الطعام

لهذا هو جسدي لكم

وعندما أنهى العشاء.. أخذ الكأس المقدسة

اشربوا منه

إنه يحوي دمي

إنه دم الأولين والآخرين

الميثاق

وسر الإيمان.

*****

الآن وبعد أن شحن جسده وأعماقه بتلك الشحنة الإيمانية المقدسة، ها هو يقف الآن أمام ريجان في غرفتها..

نفس ذات الوجه الذي يحمل خطايا وآلام البشرية المعذبة في سقر.. المليء بالندوب والتشوهات الشنيعة..

ترتدي نفس ذات الملابس الملوثة ببقايا القيء الأخضر اللزج..

كانت ريجان تتابعه بعينها وهي تقول له بخبث، وبصوتها الشيطاني الأجش المحشرج:

- إنه اليوم المناسب لطرد الشياطين.

رد عليها الأب داميان بلهجة متحدية:

- هل تحب هذه الطقوس؟

كان يتحدث إليها بصيغة المذكر لا صيغة الأنثى.. هو الآن يعرف أنه ليس أمام ريجان.. بل أمام شيء آخر لا يمت لها بأدنى صلة ولا لجسدها الأنثوي.. لهذا كان يتعامل مع الشيء بداخلها.. لا ريجان.

كان يرتدى ملابسه السوداء المميزة للكنيسة.. يحدثها وهو يوصل ذلك الجهاز الحساس، ليسجل كل همسة تنطق بها ريجان على ذلك الشريط الموضوع بجانبها، ليقول لها:

- لكن ألا يُبعدك هذا عن ريجان؟

- إنه سيجمعنا سويًا.

- أنت وريجان؟

- بل أنت ونحن أيها القس.

قالتها ريجان وهي تبتسم ابتسامة كريهة متشفية.

جلس على الأريكة الصغيرة المواجهة لفراشها، ينظر إليها وإلى الشريط ليتأكد أن كل شيء يسير على مايرام.. وهنا وبدون مقدمات انفتح

الدرج العلوي للكومود الموضوع بجانب فراشها بصوت مزعج، وكأن يدًا ضخمة حاولت أن تنتزعه من مكانه.

نظر الأب داميان إلى الدرج بصمت، ثم رفع بصره إلى ريجان وهو يسألها:

- هل أنت من فعل هذا؟

بابتسامة شيطانية منتصرة وصوت أشبه بالضواري ردت عليه:

- نعم.

أغلق الأب داميان الدرج وهو يقول لها:

- هيا افعلها مرة ثانية.

- سأفعلها فقط في الوقت المناسب.

- بل الآن.

بنظرة أكثر شراسة وبصوت غاضب ردت عليه:

- قلت لك سأفعلها في الوقت المناسب.

صمت الأب داميان ولم يعلق على جملتها، لتشعر ريجان بثقة أكبر وهي تقول له:

- جيد أنك سريع الفهم.

تجاهل الأب داميان جملتها الساخرة وهو يسألها مباشرة:

- هل تتحدث اللاتينية؟

ردت عليه:

-ego te abelov (أنا أغفر لك)

- quod momen mihi est ? (من أنت؟)

تجاهلت سؤاله لتقول له إجابة ليس لها علاقة بسؤاله.. ليعيد السؤال مرة أخرى إليها:

- Quod momen mihi est ? (من أنت؟)

ظلت ترد عليه بأشياء ليس لها علاقة بالسؤال.. ليعرف أنه أمام شيطان يستهزأ به.. فتوقف الأب داميان عن الحديث باللاتينية وسألها بلغته العادية:

- إلى متى تخطط للبقاء في جسد ريجان؟

- حتى يتعفن جسدها في باطن الأرض.

نظر إليها الأب داميان نظرة بها غضب، ولم يرد عليها.. بل أخرج من جيبه شيئًا ما وضعه أمام عينيها.. لتنظر إليه ريجان بنظرة خوف حقيقية وتسأله بتوجس:

- ما هذا؟

بنظرة ثقة وانتصار رد عليها:

- إنها قارورة ماء مقدس.

نهض واقفًا أمامها تمامًا.. وبنفس نظرة الخوف والتوجس قالت ريجان بغضب:

- أبعد هذه القاذورات عني.

لم يعبأ بكلامها، بل أخذ ينثر على جسدها الماء المقدس..

كانت تتلوى من الألم والرعب، وكأنها أفعى تُشوى في النيران.. تصرخ وتسب وتلعن، وبصوت شيطاني يُعذب في الجحيم.

- إنه يحرقني.. يؤلمني.. أنا أحترق.

ظلت تصرخ من الأم الشديد وهي مازالت تتلوى بجسدها، ويداها مكبلتان جيدًا على جانبي الفراش، وتقول بلغة أخرى غريبة:

- emit su evig

قطب الأب داميان حاجبيه بشدة وهو يستمع إلى تلك الكلمات.. ليجلس بجانبها ليتأكد مما سمعه، وهي مازالت تردد بنفس اللغة الغريبة الممزوجة بالألم والرعب والصراخ:

- ydob eht ni mraw si ti

uoy ees i

tseirp a si eh

emit su evig

nirrem

nirrem

لم يفهم منها حرفًا واحدًا، فعاد يسألها باهتمام شديد:

- من أنت؟

ردت عليه ريجان وجسدها مازال ينتفض ويرتجف من تأثير الماء المقدس:

- tseirp a si eh

eno on ma I

ظلت تردد هذه الجملة وهي تصرخ:

تصرخ

تصرخ.. بلا توقف.

*****

بعد أن هدأ جسد ريجان، تركها الأب داميان وهو يحمل جهاز التسجيل وغادر الحجرة، بهدوء هبط إلى الطابق الأرضي.. تناهى إلى مسامعه صوت كريس تتحدث في الهاتف فلم يشأ أن يقتحم خصوصياتها.. ظلّ واقفًا حتى أنهت مكالمتها، وإن كان يبدو من المحادثة أنها تتحدث مع زوجها السابق.

دخل غرفة مكتبها، من نظرة واحدة إليه شعرت كريس أنه ليس على ما يرام، فقالت له:

- هل تريد شرابًا؟

- نعم من فضلك.

جلس على الأريكة الجلدية الفاخرة أمامها.. كان شارد الفكر، ونظرات عينيه تحمل الكثير والكثير من الحيرة.

بعد أن أخذ من يدها مشروب اسكتش بالثلج، شعر أن بعضًا من فوران أعماقه قد بدأ يهدأ قليلاً.. جلست أمامه كريس ولم تشأ أن تُزعجه بأي أسئلة حتى تهدأ أعماقه، فقال بعد برهة من الوقت باهتمام:

- أين والدها؟

- في أوروبا.

- هل أخبرتيه بما يحدث لابنته؟

- لا.

تنهد تنهيدة حارة وهو يقول لها:

- حسنًا، أعتقد أنه حان الوقت لكي تخبريه بكل شيء.

لم ترد عليه، وإن شعر من نظرة عينيها أنها غير مرحبة بهذا الطلب أو بوجود زوجها السابق مرة أخرى في حياتها.. فبذكاء منه لم يلحّ عليها في هذا الطلب.. استمر في تناول شرابه، ثم أخرج من جيب سترته قنينة الماء التي سكب منها على جسد ريجان، وهو يقول لها:

- اسمعيني جيدًا، لقد أخبرت ريجان أن هذا ماءٌ مقدسًا، لقد سكبت منه عليها وهي قاومت بعنف كنمرة شرسة، في

الحقيقة هذا ليس ماءً مقدسًا بل ماءً عاديًا، وقد أخذته من الصنبور.

بعدم فهم قالت له:

- وما الفارق بينهما؟

- الماء المقدس تمّت الصلاة عليه وأخذ البركة من الكنيسة، ويكون له تأثير ساحق على حالات الاستحواذ. أما الماء العادي فلا يكون له أي تأثير إذا تمّ رشه على جسدها.. إذن المنطق والعقل يقولان إن جسد ابنتك نظيف، ولكن ما حدث يجعل عقلي يُجن في الحقيقة، فكيف يتمّ رش ماء صنبور عادي على جسد ابنتك ويعطينا نفس النتيجة وكأنه ماء مقدس!!

كما أنها تتحدث بلغة لم أسمعها في حياتي، في البداية كانت تتحدث باللاتينية ثم بعد هذا بدأت تتحدث بلغة لم أسمعها ولو مرة واحدة في حياتي.. في الحقيقة إن حالة ريجان أخطر بكثير مما نتصور.

في قرارة نفسها كانت كريس تعلم أن فعلاً حالة ريجان خطيرة للغاية، ولكن مجرد سماعها هذا منه جعل قلبها ينتفض بعنف، هي كانت إلى آخر لحظة تُحاول أن تكذب نفسها، كانت تريد أن يأتي أي شخص ليقول لها إن حالة ريجان من الممكن شفاؤها.. أما الآن فقد شعرت أن أمام عينيها سواد ما بعده سواد..

بعد لحظات صمت طويلة بينهما، ومن نظرة عينها المترددة استجمعت شجاعتها لتقول له:

- هناك شيء خطير للغاية أريدك أن تعرفه بخصوص ريجان.

بصوت مرتعش قالت له:

- ريجان ابنتي.. هي من قتلت بورك ديننجز.

- ماذا؟

- لقد سمعتني جيدًا.. ابنتي ريجان هي من قتلت بورك.. وهي من ألقته من نافذتها ليتحطم جسده بعد أن نزعت عنقه في حجرتها.

*****

مصدومًا غادر الأب داميان المنزل بعد اعتراف كريس المرعب أمامه.. شعر أن هذه المرأة تحمل بمفردها عبأً يفوق الجبال، لهذا لم يشأ أن يضغط على أعصابها أكثر من هذا ويسألها كيف عرفت أن ريجان هي من قتلت بورك.. كل ما فعله هو أن نظر إليها نظرة طويلة وربّت على يديها، في إشارة منه إلى أن سرها في أمان، ثم تركها وغادر مباشرة إلى معمل اللغات بالجامعة، ليتحدث مع مدير المعمل شخصيًا، ذلك الرجل الخبير في اللغات، لعله يزيل أي لغز بسبب اللغة التي كانت تتحدث بها ريجان.. تمّ توصيل الشريط

وتفريغه. ومعًا استمعا جيدًا إليه. ليقول مدير المعمل في النهاية بخبرة واحترافية:

- إنها ليست لغة غريبة كما تتصور.. إنها الإنجليزية ولكن معكوسة.

- ماذا تعني بأنها معكوسة؟!

- أقصد هكذا.

أعاد تركيب الشريط ليدور بالعكس، لتظهر كل تلك الجمل واضحة ومفهومة:

- ydob eht ni mraw si ti

(it is warm in the body)

(إنه يحرق جسدي)

- uoy ees I

(I see you)

(أنا أراك)

- emit su evig.. emit su evig.. eid reh tel

(give us time.. give us time.. let her die)

(أعطنا الوقت.. أعطنا الوقت.. دعها تموت)

- eno on ma I.. eno on ma I.. tseirp a si eh

(I am no one.. I am no one.. he is priest)

(أنا لا أحد.. أنا لا أحد.. إنه كاهن)

- nirrem.. nirrem

(merrin.. merrin)

(مارين.. مارين).

في عقله عرف أن الأمر كله كان مجرد شفرة شيطانية نطقتها أعماقها.. أو بمعنى أدق نطقه الشيطان في أعماقها.. لهذا شكر مدير المعمل على وقته وعلى اكتشافه الذهبي.. ثم ذهب إلى حجرته ليرتاح فيها قليلاً بعد هذا اليوم الشائك.

وعقله يهدر بقوة بخصوص اسم مارين الذي نطقته ريجان.. من هو مارين؟ من هو مارين؟

.. غيّر ملابسه سريعًا، وفي فراشه تمدد، شعر أن كل خلية في جسده تئن وتصرخ من الإرهاق.. بدأت جفونه تتلاعب وتهاوى وفجأة..

انتفض جسده على رنين هاتفه الأرضي الذي بدد هدوء المكان كله.. بكلمات مقتضبة رد على محدثه وهو يستمع:

- نعم.. حسنًا، سأكون هناك.. بأسرع ما يمكن.

*****

كان الوقت متأخرًا للغاية، الشوارع خالية، لهذا أخذ المسافة من الجامعة إلى منزل ريجان جريًا بملابس النوم، فلم يجد الوقت الكافي ليغير ملابسه، لهذا وضع معطفا ثقيلاً فوق ملابسه وانطلق يعدو بأقصى سرعة، طوال الطريق كان يستعيد في عقله المكالمة التليفونية..

كانت شارون مساعدة كريس هي من اتصلت به، تلك الرعشة والتوتر في صوتها جعله يعرف أن هناك مصيبة قد حدثت لريجان.. لهذا لم يشعر بنفسه إلا وهو أمام المنزل.. ليجد شارون واقفة أمام الباب بانتظاره.. وقد وضعت إصبعها على شفتيها في إشارة أن يلتزم الهدوء التام ولا يبدي أدنى صوت.

بهدوء شديد صعد الاثنان باتجاه غرفة ريجان، وشارون تقول له هامسة وهي تمسك بيدها كشافًا صغيرًا:

- لا أريد أن ترى كريس هذا.. إنها لن تتحمل صدمة مرعبة أخرى.

بصوت متوتر للغاية سألها داميان:

- ما الأمر شارون؟ ماذا حدث لريجان؟

اندهش حينما وجدها قبل الدخول إلى غرفة ريجان ترتدي بالطو ثقيلاً للغاية، مع أن جو المنزل في الداخل إلى حد ما دافئ مقارنة بالجو في الشارع، ومع كل تلك النوافذ المغلقة بإحكام.. ولكنه سرعان ما عرف السبب، فبمجرد أن فتح باب الغرفة.. ضرب وجهه هواء بارد للغاية، بل أكثر برودة من القطب الشمالي نفسه..

رأى أنفاسهما تتشكل على هيئة بخار كثيف أمام أعينهما بشكل واضح.

بهدوء وحذر وقفا أمام ريجان، والتي كانت تبدو أنها تعيش أتعس حالاتها فعلاً.. نائمة أو في غيبوبة من الكوابيس.. رأسها يتحرك يمينًا ويسارًا.. صوت أنفاسها ثقيل للغاية، وكأن هناك من يجثم على صدرها فعليًا.. وضعت شارون الكشاف على الكومود وركزت ضوءه على جسد ريجان.. ثم بدأت في إزاحة الغطاء عن جسدها.. ورفعت ملابس ريجان ليظهر جسدها وقد برز قفصها الصدرى وضلوعها بشكل مخيف، وكأنها مصابة بالجفاف.

دقق الأب داميان النظر لترتجف كل ذرة في أعمق أعماقه، وتتسع عيناه رعبًا وهو يرى بطن ريجان تعلو وتهبط بسرعة مع كل نفس ثقيل منها.. وأعلى سرتها بالتحديد.. كان جلد بطنها يتجمع ويتشكل ببروز خارجي شنيع مرعب ليجسد كلمتين فقط:

Help me

ساعدوني

*****

كانت واحدة من تلك الليالي الشنيعة في حياة الأب داميان، بل أكثرها شناعة، لم يذق طعم النوم للحظة واحدة.. كان منظر بطن ريجان وهي تتشكل بتلك الكلمات ماثلاً أمام عينيه طوال الوقت.. لهذا مرّ عليه الليل بطيء.. كان قد اتخذ قرارًا هامًا، فقد استغل ساعات الليل الطويلة بأن جهز تقريرًا مفصلاً عن حالة ريجان، وأرفق به الشريط الصوتي لها.. وقرر أن يعرض كل هذا صباحًا على رئيس الأساقفة.. أعلى سلطة في الكنيسة.

وفي حجرة مكتب هذا الأخير جلس الأب داميان بهدوء، حتى ينتهي رئيس الأساقفة من مطالعة التقرير المفصل عن حالة ريجان.. في النهاية أغلق الملف ورفع عينيه إلى الأب داميان وهو يقول له:

- هل أنت مقتنع أن كل هذا حقيقي؟

- في الواقع سيدي، بعد ما حدث ليلة أمس فإنني أرجو أن تأذنوا لي بأن أقوم بمهمة طرد الأرواح الشريرة من جسد ريجان.

لحظات من الصمت قضاها رئيس الأساقفة في تفكير عميق وهو يقلب الأمر في عقله. ليقول له وهو يُشبك أصابعه أمام وجهه:

- قد يكون من الأفضل أن يعمل معك إنسان خبير وله تجارب في هذا الموضوع.. ربما شخص قضى وقتًا طويلاً يتجول في دهاليز هذا العالم الغريب المرعب.. ورأيي هذا لا يقلل من أنك بارع كطبيب نفسي.

- أنا أفهم وجهة نظركم معاليك.

- إذن دعنا نرى من الشخص المناسب لهذه المهمة الخطيرة.

أنهى جملته بأن نهض وهو يمد يده إليه في إشارة إلى نهاية اللقاء، وهو يقول له:

- سأتصل بك حالما أعرف من هو الرجل المناسب، وسيكون هذا في أسرع وقت.

وضع الأب داميان قبلة على يد رئيس الأساقفة وهو يقول له باحترام وتبجيل:

- شكرًا لكم.

بعد هذا اللقاء بوقت قصير ذهب رئيس الأساقفة إلى رئيس الجامعة بنفسه ليطلعه على هذا الملف ويستشيره في كيفية معالجة هذا الموضوع وبعد أطلاع رئيس الجامعة على التقرير هو الأخر قال له

- حسنا من الواضح أن الأب داميان يعرف جيدًا خبايا الحالة الموجودة أمامه.. وأنا أشك في أنه من الممكن أن يتعرض لخطر كبير وهو يفتقر الخبرة العملية كطارد للأرواح الشريرة، وبما أنه بارع كطبيب نفسي فعلينا أن نوفر له خبيرًا في هذه الأمور.

- فعلاً سيادة الرئيس.. ولكن أن لنجد شخصًا مناسبًا سيستغرق هذا وقتا، وكما واضح من التقرير أن حالة ريجان تتطور بشكل مخيف، وتأخذ منحنى بالغ الخطورة قد يؤثر على حياتها هي شخصيًا.

رد الرئيس بهدوء الحكيم العالم ببواطن الأمور:

- معك حق، لهذا أنا أرشح لهذه المهمة الدقيقة الأب مارين لانكستر.

- ولكنه سيادة الرئيس، على ما أعتقد، في العراق يعمل على اكتشاف الحفريات ونبش القبور القديمة.

- هذا صحيح ولكنه أنهى كل هذا منذ فترة قصيرة، وهو هنا الآن عاكف على تأليف كتاب آخر جديد.

بتوجس سأله رئيس الأساقفة:

- ولكن هل تعتقد سيدي أن هذه المهمة تناسب عمره بما أنه كبير السن؟ وهل ستتحمل صحته وقلبه هذه الطقوس المخيفة؟

بابتسامة شاحبة رد عليه الرئيس:

- أعتقد أنه مازال بخير.. طالما يعمل في اكتشاف الحفريات.. ودعك من سنه الكبيرة، فالرجل خبرة كبيرة لا يستهان بها في طرد الأرواح، وهو ما نحتاجه فعليًا في هذه المهمة.

- في الحقيقة لم أكن أعرف أن الأب مارين خبير في تلك الطقوس، كنت أعتقد أن خبرته قاصرة على الاكتشافات الأثرية.

- لقد كان هذا من فترة طويلة، كنا في أفريقيا حيث بدأ كل شيء هناك، وكانت معركة عنيفة مع قوى الشر العاتية، انتصر فيها الأب مارين بجدارة.. على الرغم من أنه كان معرضًا للموت في كل لحظة.

بابتسامة دبلوماسية قال رئيس الأساقفة:

- إذن سيدي الرئيس، اسمح لى أن أرسل حالاً في طلبه.. لنبدأ على الفور.

أومأ الرئيس بإيجاب في هدوء.. لينصرف رئيس الأساقفة ويرسل تلغرافًا إلى عنوان الأب مارين..

وفي منزل هذا الأخير استلم الأب مارين الرسالة. وقرأ ما فيها بحروف سريعة.. وعقله يسرح في ذكرياته القديمة.

وفي قرارة نفسه كان يعلم أنه يتجه إلى جولة أخرى في حروبه مع الأرواح الشريرة.

وحدسه ينبئه بأنها ستكون جولة شرسة..

فقط يتمنى ألا تكون جولته الأخيرة.

(((- نهايـــــات -)))

"فانتهره يسوع.. فخرج منه الشيطان.. فشُفي الغلام.. من تلك الساعة"

إنجيل متى

الإصحاح ١٧

في نفس يوم استلام الأب مارين الرسالة ليلاً..

كان الجميع متواجدين في منزل ريجان، متأهبين على قدم وساق لقدوم المخلص.. الأمل على يد الأب مارين..

الجميع متواجدون بلا استثناء..

كريس ومساعدتها شارون والأب داميان وكل الخدم بالمنزل..

وطوال الوقت كانت أصوات ريجان تدوي كالزئير في كل جنبات المنزل..

في هذه المرة كان زئيرها مختلفًا..

غاضبًا بشدة..

عاصفًا..

عاتيًا..

كان شيطان الشر في أعماقها يشعر بقدوم الأب مارين..

لهذا كان ثائرًا كالبراكين..

ينفث لهيبه في كل آذان الموجودين بالمنزل..

أما الأب داميان فقد أبلغه الكاردينال بكل شيء عن الأب مارين.. وفي أعماقه شعر بدهشة حينما عرف أن المخلص سيكون الأب مارين..

وهو نفس الاسم الذي كانت تنطقه ريجان معكوسًا.. الآن فقط عرف السر الخفي وراء تردد هذا الاسم على لسان شيطان الشر داخل ريجان..

في الخارج وصل أخيرًا الأب مارين مستقلاً سيارة تاكسي..

الطقس أيضًا كان له مذاق خاص..

غاب القمر في الأفق..

وازدادت البرودة..

واختفت معالم الأشياء خلف ضباب كثيف.. كئيب المنظر.

في أعماقه شعر الأب مارين أنها فعلاً ليلة جديدة بطقوس مرعبة..

على الباب الداخلي للمنزل وجد سيدة تستقبله، فقال لها بأدب واحترام:

- هل أنتِ السيدة كريس؟

- نعم.

- أقدم لك نفسي، أنا الأب لانكستر.. مارين لانكستر.

صافحته بحرارة وهي تُخفي في نفسها تلك الرهبة تجاهه.. كان كبيرًا في السن.. طويلاً.. ومن مصافحته القوية عرفت أنه كان رجلاً يافعًا شجاعًا.. خلع قبعته في احترام كلاسيكى وهو يخطو أولى خطواته.. نحو الجحيم..

بنظرة سريعة في أرجاء المنزل قال لها باهتمام:

- هل الأب داميان كاراس هنا؟

- نعم إنه هنا.

ظهر في هذه اللحظه الأب داميان وهو يتقدم نحوه في لهفة ويمد يده ليصافحه، ويقول له:

- أنه لشرف كبير لي أيها الأب مارين أن ألقاك.

- وأنا أيضًا.

كانت شارون واقفة بجانب سيدتها.. أجفلت بشدة حينما اهتز المنزل بزئير وصراخ ريجان.. ولكن هذه المرة كانت الصرخة شنيعة للغاية.. مستحيل أن تخرج من حنجرة بشرية، بل حتى من حناجر كل البشر مجتمعين.

نظر الأب مارين إلى أعلى ناحية مصدر الصوت.. كانت هذه هي المرة الأولى التي يستمع فيها لصوت ريجان. لهذا لم يضيع وقتًا، فأخذ الأب

داميان من يده وذهبا ليجلسا على أريكة مريحة في بهو المنزل، وهو يملي عليه تعليماته:

- عليك أن تذهب الآن إلى الكنيسة وتحضر لي رداء الكاهن.. بل رداءان كهنوتيان.. والشال الأرجواني.. وبعضًا من الماء المقدس، ولا تنسَ أن تحضر نسختك من كتاب طرد الأرواح، النسخة الرومانية القديمة.

أعاد رفع عينيه نحو مصدر صوت ريجان، وهو يقول بلهجة القائد:

- أعتقد أننا يجب أن نبدأ سريعًا.. لا يوجد وقت آخر نضيعه.

نظر إليه داميان وهو يقول باهتمام:

- أليس من الأفضل أن أُعرّفك خلفيات الحالة وكل شيء عن ريجان؟

- فيما بعد يابني.. فقط أسرع وأحضر ما طلبته، وليكن الله معنا منذ هذه اللحظة.

*****

غادر الأب داميان المنزل سريعًا لينفذ طلبات الأب مارين.. مرت الدقائق بطيئة كالموت.. جلست شارون منكمشة في حجرة المكتب بعد أن وصلت أعصابها إلى مرحلة الانهيار من صوت زئير ريجان..

أما الأب مارين فكان جالسًا على تلك الأريكة المريحة.. مغمضًا عينيه وإن كان يشعر بكل همسة حوله.. ومن يده تدلت مسبحته الخاصة، والتي تحمل في نهايتها الصليب المقدس.. وفي سره كان يتمتم ببعض من آيات الإنجيل ليغسل بها روحه وأعماقه قبل أن تبدأ الطقوس..

كريس جلست بهدوء وسكينة تُراقب الجميع بعيون متعلقة بالأمل، وإن كانت بها لمحة من الخوف والتوتر.. لم تفارق الأب مارين بنظراتها.

أعجبها هدوءه.. اتزانه.. خبرته.. بدون أن يتحدث كثيرًا كهولاء الأطباء الحمقى، شعرت أنه أستاذ وخبير في مجاله، لهذا أجبر الجميع على احترامه.

سريعًا وصل الأب داميان وهو يحمل حقيبة بها كل ما طلبه الأب مارين..

وفي تلك الحجرة الجانبية ببهو المنزل بدأ الأب مارين وداميان يستعدان لتلك الحرب.. كانا يرتديان ملابس الكهنوت المقدسة.. والأب مارين يُلقي إلى الأب داميان تعليماته الأخيرة قبل معركة الحسم:

- مهم جدًا أن تحذر الحديث والانسياق وراء أي محادثة للشيطان.. فليس كل ما يقوله قابلاً للسؤال عنه

والاستفسار.. إن هذا شيء خطير للغاية إذا لم تتوخَ الحذر.. إنه كذاب.. الشيطان بطبعه كذاب، وهو شيء متأصل فيه ومن صفاته الأساسية، بل يفتخر بهذا، وهو سيلعب على هذا الوتر، سيخبرنا بأكاذيب لتشويشنا، ومع تلك الأكاذيب سيخلط بعضًا من الحقيقة ليلعب بنا.. ليهاجمنا.. أنا لا أتحدث عن هجوم جسدي، وهو أمر وارد، ولكن أتحدث عن الهجوم النفسي.. لهذا هو يريد أن ينتزع بأي وسيلة إيماننا.. ثقتنا.. قوتنا الروحانية.. يريدنا دائمًا ضعفاء أمامه ليسيطر علينا ثم يقضي علينا بسهولة.

كانت كريس تستمع وهي جالسة في مكانها إلى كل حرف نطق به الأب مارين.. ومع حديثه وجدت نفسها تهيم في ذكريات حياتها السابقة، وكلمات الأب مارين تدوي في عقلها كأصوات الضمير في أعماقها السحيقة.. كلامه لمس بداخلها أوتارًا كثيرة حساسة لا يعلمها سواها.

وفي داخل الغرفة كان الأب مارين يكمل حديثه:

- لذا لا تستمع لأي شيء يخرج من ريجان.. تذكر تلك النصيحة الغالية.. لا تستمع إليها أبدًا.

- حاضر أيها الأب مارين، سأنفذ وألتزم بكل حرف من نصائحك.. والآن أعتقد أنه ينبغي أن أعطيك بعض الخلفيات عن موضوع ريجان.. وأيضًا عن الشخصيات المختلفة التي ستُظهرها لك ريجان في حجرتها.. حتى الآن أُحب أن أقول إنها أظهرت ثلاث شخصيات تتحدث بلسانها.

بثقة وهدوء رد عليه الأب مارين:

- لا توجد شخصيات.. بل هو شيطان واحد فقط.. ولكنه بارع ويتلون كالحرباء في أعماقها.. أما بخصوص ريجان فمن صوت الزئير وقوته عرفت الكثير، دعنا لا نضيع وقتنا في أشياء واضحة مثل الشمس.

انتهيا من ارتداء الملابس والاستعداد التام بكل شيء..

بهدوء صعد الأب مارين درجات السلالم نحو حجرة ريجان، ومن خلفه الأب داميان، وعند باب الحجرة وقفت شارون وكارل الخادم وكريس، والتي كانت تحمل نظرات عينيها نحو الأب مارين ألف معنى..

لم يتحرك لسانها بحرف واحد وإن عرف من نظرة عينيها أنها تقول أرجوك أعدها لي سالمة..

ربت على يدها بحنان ليطمئنها، ومن عينيه قرأت رسالته البليغة للغاية..

فقط ثقي بنا.

*****

في حجرة ريجان وقف الأب مارين وبجانبه الأب داميان.. ينظران إلى بقايا إنسانة اسمها ريجان..

لم ينطقا بحرف واحد، وإن كان يبدو من نظرات الأب داميان أنه خائف.. متوتر.. متوجس..

كانت ريجان تنظر لهما بنظرات شرسة.. شريرة.. متنمرة.. بنظرة ثقة لم يعبأ بها الأب مارين، بل اتجه بمنتهى الهدوء ووضع حقيبته الصغيرة على الكومود بجانبها..

أخرج صليبه الصغير وقبله باحترام وإجلال وحب.. ثم أخرج قارورة الماء المقدس..

رأتها ريجان في يده فقالت بتهكم وتحفز:

- هذه المياه لا قيمة لها أيها السفلة.. يا أبناء العاهرات.

لم يرد عليها الأب مارين، بل رسم أمام وجهه إشارات من يده علامة الصليب.. وعلى الأب داميان ليعطيه البركة والحماية، ثم نظر إليها وهو يقول بصرامة ويهتف في وجهها وينثر على جسدها الماء المقدس:

- اصمتي.

صرخت ريجان من الألم وأخذت تتلوى كأفعى البحر.. فقط جسدها كان يتحرك بمنتهى العنف في كل اتجاه، أما يداها فكانتا مقيدتان على جانبي الفراش.. نثر أيضًا بعضًا من الماء المقدس على ملابس الأب داميان مزيدًا من الحماية له.

عند حافة الفراش جثا الأب داميان على ركبتيه، وهو ينظر إلى الأب مارين ليأخذ منه الدعم النفسي وبعضًا من الثقة التي يفتقدها.

أخرج الاثنان كتابهما المقدس الروماني لطرد الأرواح الشريرة.

فتح الأب مارين كتابه على الفصل الثاني.. وبجانب رأس ريجان جلس وهو يواجهها ويقول بصوت قوي:

أبانا الذي تفنن في الجنة.. باسمك المقدس

أعطنا في هذا اليوم.. خبزنا

اغفر لنا تجاوزاتنا

كانت كلماته أشبه بالسياط النارية على جسد وروح ريجان.. أخذ جسدها ينتفض من الألم.. ورأسها يتحرك بعنف.. لسانها يخرج من فمها ويتحرك في كل اتجاه كألسنة الأفاعي.. وقد اختفى بؤبؤ عينيها الأسود وأصبحتا شديدتي البياض

كما نغفر لأولئك الذين يتجاوزون ضدنا.. وقدنا بعيدًا عن الإغراءات

كان الأب داميان يتابع بعينيه وهو يكمل هو الآخر:

لكن احمنا من الشيطان

تابع الأب مارين بصوته:

أنقذني يا إلهي.. باسمك.. بقوتك

دافع عن قضيتي

هناك رجال متكبرون يتزايدون ضدي

ورجال قساة يريدون إنهاء حياتي

لكن الرب مساعدي

الرب يساندني

شهقت ريجان بعنف وهي تصرخ بحشرجة مكتومة من فرط الألم بسبب كلمات الأب مارين، والذي لم يلتفت إلى ما يحدث لها، بل أكمل بقوة:

أي طلب يلبيه لي

العظمة للأب والابن والروح القدس

(الأب داميان): *بينما هذه هي البداية.. الآن وأبدًا سيكون*

عالمًا بلا نهاية

(الأب مارين): *أنقذ خادمتك ريجان.. التي تضع ثقتها فيك.. ربي*

يا إلهي حصّن جسدها

(الأب داميان): في مواجهة العدو

(الأب مارين): اجعل أعداءها ليس لهم قوة عليها

(الأب داميان): وابن الخطيئة يكون ضعيفًا وغير قادر على إيذائها..

مازالت ريجان تصرخ وتزأر وتتحرك بعنف، تحاول أن تمزق كل قيودها.. ثم نظرت إلى الأب داميان وهي تقول له بشراسة:

- لتذهب أمك إلى الجحيم.. داميان كاراس.. أنت قذر.. وخائن.

بخبرته شعر الأب مارين أن كلمات ريجان ستؤثر وسيكون لها صدى في أعماق الأب داميان.. لهذا نظر إليه وهو يقول له:

- الرب معك الآن داميان.

- ومعك أيضًا أيها الأب مارين.

أكمل الأب مارين قراءته بصوت قوي:

الرب المقدس.. الأب القوي.. الرب الأبدي

وأب سيدنا.. السيد المسيح

الذي أخلد ذلك المستبد.. الساقط بنيران الجحيم

الذي أرسل ابنه الوحيد.. إلى العالم لسحق ذلك الأسد الصاخب

عجل إليّ بنداءاتنا للمساعدة

كانت ريجان قد وصلت إلى مرحلة السعار في هيجانها وشراستها، تحاول أن تمد وجهها لتقتص أيًا منهما لتقطعه بأسنانها الحادة.. فراشها كان يهتز ويتحرك هو الآخر وكأنه أصابه الجنون.. الأب داميان ينظر إلى فراشها وقد تملك منه الرعب.. لقد دبت الحياة بالمعنى الحرفي للكلمة في ذلك الفراش.. يتراقص كالمذبوح.. ولأنه خبير في هذه الطقوس لم يخف الأب مارين، بل أكمل بنفس صوته القوي العامر بالإيمان:

ومن قبضة شيطان الظهيرة.. هذا الإنسان

خُلق في صورتك وشبيهًا لك

أدخل الرعب يا إلهي في الوحش

إنه يُخرّب الآن في كرمك

خادمتك ريجان ماكنيل

لذا هولن يحتجز هذا الشخص أطول من ذلك

الذي أسرته.. لتشويه خادمتك

ينثر عليها المزيد من الماء المقدس، مما جعل صراخها في هذه المرة شديدًا.. كان تأثير كلماته المقدسة عاتيًا عليها، جعل كل خلية في كيانها

تُحرق وتُكوى.. أما الأب داميان فكان يُتابع كل هذا بخوف وتوجس وعينه على أستاذه الأب مارين:

للتعويض خلال ابنك

الذي يعيش ويحكم معك

في وحدة الروح القدس.. الرب إلى الأبد وأبدًا

الفراش يهتز بقوة شديدة ثم يبدأ في الارتفاع تدريجيًا بكامله، وهو يحمل جسد ريجان المصلوبة عليه في وضع أفقي.. كان هذا فوق احتمال أعصاب الأب داميان، مما جعل الأب مارين ينظر إليه بغضب وهو يناديه:

- الأب داميان.. الأب داميان.. أرجوك رد عليّ.. داميان..

ليكمل الأب داميان جملته في الطقوس:

آمين.. اسمع صلاتي وتقبلها

واترك بكائي يأتي إليك

(الأب مارين): *الرب القوي.. كلمة الرب.. الأب.. السيد المسيح*

الرب وسيد كل الخلق

الذي أعطى لجواريك المقدسات

مازال الفراش يسبح بجسد ريجان في جو الغرفة.. ليهبط مرة أخرى على الأرض وهو مازال يهتز.. أضواء الكهرباء ترتعش بشدة.. كل شيء أصابه الجنون في هذه الحجرة الملعونة.

أعطهم القوة ليدهسوا بأقدامهم الثعابين والعقارب

أصوات فحيح الأفاعي السامة تخرج من فم ريجان كألف ثعبان غاضب..

ومع ازدياد رعشات الكهرباء المجنونة رأى الأب داميان وجه الشيطان الحقيقي للحظة واحدة مرسومًا على جسد ريجان بدلاً من وجهها الحالي.

امنحني القوة.. أنا خادمك الضعيف

العفو لكل ذنوبي

صرخت ريجان من الألم الشديد وهي تقول للأب مارين:

- أيها الوغد الحقير

أكمل الأب مارين طقوسه وهو يواجهها بعنف:

امنحني القوة لمواجهة هذا الشيطان القاسي

أخرجت ريجان من فمها لسانًا أسود مدببًا طويلاً.. أخذ يتحرك مع صوت فحيحها وحركة لسانها الشيطانية، جعلت الأب داميان يتراجع خطوة للخلف من الرعب.. ريجان تزأر وصوتها يصم آذانهما.. فيرسم الأب مارين بيده علامة الصليب على نفسه وعلى داميان وريجان.. ثم أمسك وشاحه الأرجواني المقدس ووضعه على رأسها..

ليبدأ جسدها في إخراج سوائل خضراء قانية كثيفة لزجة من فمها.. كانت تسيل على عنقها وعلى الفراش بغزارة.. والأب مارين يقول:

شاهد صليب الرب.. انتهت قوتك المعادية

يا إلهي اسمع صلاتي

واترك بكائي يأتي إليك

كان جسد ريجان إلى حد ما هادئًا الآن، وإن شابته تلك الحشرجة المكتومة التي تخرج مع صوتها، بعد أن أفرغت الكثير والكثير من ذلك السائل اللعين على فراشها.

بوشاحه الأرجواني مسح الأب مارين كل تلك السوائل الشيطانية من على جسدها.. وناوله إلى الأب داميان ليأخذه من يده سريعًا إلى الحمام الملحق بغرفة نوم ريجان، ليغسل كل هذا الشر بالمياه..

كل شيء بالغرفة كان قد أصابه مس شيطاني.. الستائر تتطاير بعنف.. كل شيء يهتز ويتحرك من مكانه.. أما ريجان فكانت تضحك بصوت

مخيف.. أنهى داميان غسل الوشاح ليعيده مرة أخرى إلى الأب داميان.. ليقبله ويرتديه مرة أخرى.. كان يشعر أن قلبه المسكين يئن ويتوجع من هذا المجهود ومن رائحة الغرفة الكريهة.. ظل يسعل بشدة وداميان يتابعه بقلق.

أما ريجان فكانت ماتزال تضحك وكأنها تتشفى فيهما..

ليصرخ الأب مارين ويستدير مواجهًا ريجان وهو يقول لها:

إني أطردك أيتها الروح الشريرة القذرة

باسم سيدنا.. السيد المسيح

قاطعته ريجان وهي تقول ورأسها يتحرك يمينًا ويسارًا كالمجنونة:

- ادفعه من فوق مؤخرتك.

رسم أمام وجهها إشارة الصليب.. سريعًا بدأ سقف الحجرة يتشقق بصوت عالٍ مسموع:

هو الذي يأمرك

هو الذي رماك من قمة الجنة

إلى أعماق الجحيم

كل شيء يتهاوى في الغرفة.. صور الحائط.. أدوية ريجان تتحطم بعنف.. باب الحمام يُغلق بقوة ويتشقق هو الآخر.

ريجان تصرخ بهيستيريا وهي تواجههما:

- عليك اللعنة.. عليك اللعنة مارين، أنت وداميان.

من مخلوق الرب.. انتهى

جلس الأب مارين بجانبها، ثم مد يده وهو يرسم على جانب وجهها الأيسر إشارة الصليب بإبهامه:

باسم الأب.. والابن.. والروح القدس

تغمض ريجان عينها من الألم الشديد.

بهذه الإشارة للصليب المقدس

لسيدنا المسيح

الذي يعيش ويحكم مع الأب والروح القدس

(الأب داميان): *آمين*

الرب حامي الجنس البشري

الغرفة تهتز بقوة أكبر، وكأن زلزالاً قد دب فيها.. كل شيء يتهاوى.. حتى إنهما فقدا اتزانهما.. ووقعا على الأرض بعنف.. أكيد هذا هو الجحيم بعينه، لا يوجد هول يفوق هذا، هكذا شعر الأب داميان.

قالت له ريجان بلهجتها الشيطانية:

- داميان أيها الحقير.. أنت قتلت أمك.. أنت تركتها بمفردها حتى ماتت يا كلب.

زلزلت كلماتها أعماقه وشعر بغليان داخله، فصرخ في وجهها:

- اخرسي!

لم تعبأ بكلمته، وتابعت حديثها بمنتهى الشراسة:

- أمك لن تغفر لك أبدًا.

مازالت الغرفة تهتز بشدة.. ليصرخ الأب داميان في وجهها مرة أخرى:

- قلت لك اخرسي!

انسحب الغطاء عن جسدها وكأن هناك يدًا خفية نزعته نزعًا وطوحته إلى آخر الغرفة.. قيودها المنيعة تتشقق وتتمزق.. فيهتف الأب مارين في وجهها:

اترك خادمة الرب

إنها قوة الماء المقدس

نهضت بكامل جسدها لتجلس على الفراش وتنظر لهما وعيناها تحملان شرّ الدنيا كله.. ليبدأ جسدها في التمرد على قوانين الطبيعة ويدور رأسها حول محوره دورة كاملة ٣٦٠ درجة.. في مشهد جعل قلب الأب داميان يكاد يتوقف من شدة الفزع.. رسم الأب مارين الصليب على نفسه وعلى داميان وأمام وجه ريجان.

تلوت في فراشها لفترة ثم بدأ جسدها في الارتفاع ببطء، وكأن هناك شيطانًا خفيًا يجذبها إلى أعلى مصلوبة في وضع أفقي، ليهتف الاثنان بصوت واحد وهما يمسكان كتابهما المقدس:

إنها قوة السيد المسيح التي ترغمك

إنها قوة السيد المسيح التي ترغمك

إنها قوة السيد المسيح التي ترغمك

يقذف عليها الأب مارين بعضًا من الماء المقدس وجسدها معلق في الهواء:

قوة السيد المسيح التي ترغمك

قوة السيد المسيح التي ترغمك

بدأ جسدها تدريجيًا في الهبوط مرة أخرى ببطء:

قوة السيد المسيح التي ترغمك

قوة السيد المسيح التي ترغمك

ما إن أستكان جسدها على فراشها، حتى أسرع داميان ليعيد ربط قيودها مرة أخرى.

لا تستخف بأوامري

لأنك تعرف أني آثم

الرب بنفسه هو الذي يأمرك

السيد المسيح الجليل هو الذي يأمرك

الرب.. الأب.. يأمرك

الرب.. الابن.. يأمرك

استمر في رشها بالماء المقدس:

الرب.. الروح القدس هو الذي يأمرك

الصليب يأمرك

دم الشهداء القديسين يأمرك

مرة أخرى ضرب زلزال عنيف الحجرة..

في هذه المرة شعر الجميع أن كل حجر يرتعش في مكانه كالمحموم.. كل همسة في الحجرة كانت تتطاير وتتحطم.. مما جعل جسديهما يطيران ويرتطمان بالحائط بقوة.. جعلت كل عظمة في جسديهما تئن وتتوجع، وأمام عين الأب مارين الممدد على الأرض.. شاهد ريجان وقد مزقت قيودها مرة أخرى.. ونهضت ورأسها ينحني إلى الخلف بطريقة مستحيلة تشريحيًا.. وأمام عينيه سطع ضوء قوي للغاية.. وظهر شيطان الشرّ.. بازوزو، وتجسد في فراغ الحجرة للحظات ثم اختفى.

أفسح الطريق للسيد المسيح

أنت أمير القتلة

أنت مذنب أمام الرب العظيم

مذنب أمام الابن

مذنب أمام الجنس البشري بأكمله

الرب هو الذي يطردك

نهض الأب داميان بصعوبة.. ليجد ريجان متكورة على نفسها في فراشها، وهي تئن من الألم والعذاب والضعف.

هو الذي سيأتي لحكم الحياة والموت

والعالم بالنار

أخيرًا أستكان جسد ريجان تمامًا.. وذهبت في غيبوبة بعد كل هذا المجهود العنيف.. رسم على جسدها الأب مارين علامة الصليب.. وأحضر داميان الغطاء الملقى على الأرض مرة أخرى ووضعه على جسدها.. كانت ريجان غارقة في بحر من العرق.. مسح الأب مارين بحنان وجهها بمنشفة صغيرة، وهو يقول للأب داميان:

- هذه الفتاة مسكينة، لقد تعذبت كثيرًا.

أما داميان فكان يشعر في أعماقه بانهيار وصدمة شديدة بعد تلك التجربة الشنيعة.. كل ما فعله هو أنه نظر إليه ولم يتفوه بحرف واحد.. وقد شعر الأب مارين بما يعذبه، فربت على رأسه وهو يقول له بهدوء:

- دعنا نرتاح قليلاً الآن.. قبل أن نبدأ جولتنا الثانية.

بضعف شديد فتح الباب وغادر الحجرة، وترك خلفه ريجان وبجانبها الأب داميان..

حيث كان هذا الأخير.. تائهًا..

مصدومًا من كل ما حدث..

أمام عينيه في تلك اللحظة لم يعد يرى أو يسمع سوى شيئًا واحدًا فقط.

كلمات ريجان بخصوصه هو شخصيًا..

وأمه الميتة.

*****

على السلالم الداخلية للمنزل..

جلس الأب مارين والأب داميان منهكي القوى، يحاولان أن يلما شتات نفسيهما بعد تلك الجولة المخيفة في غرفة ريجان..

كان الصمت هو سيد المكان بلا منازع في تلك اللحظة.. كل فرد كان يسبح في محيطه الخاص من المخاوف والذكريات المؤلمة.

بدد الأب داميان صوت الصمت، وهو يسأل الأب مارين بصوت حزين وبعينين يملأهما الخوف وعدم الفهم:

- أكاد أشعر أن عقلي سينفجر.. لماذا هذه الفتاة على وجه التحديد؟ ما الذي ارتكبته هي بالذات من جرم في حياتها لتستحق أن يحدث لها كل هذا؟

رد عليه الأب مارين بصوت يحمل حكمة وخبرة أعوام طويلة، مع تلك التهيدة الحارة التي تحمل عبئًا يجثم على صدره:

- إن الأمر لا يتعلق بكم ارتكبت هذه الفتاة من جرائم في حياتها.. أو بمقدار شرها أو نقائها.. إن الأمر أكبر وأعمق من هذا بكثير، إن ريجان أيها الأب داميان ما هي إلا وسيلة يريد من خلالها الشيطان أن نرى أنفسنا مجرد حيوانات قبيحة.. أن يوصلنا إلى مرحلة اليأس الكامل.. أن نشعر في لحظة أن إيماننا بالله ينهار وأنه غير راضٍ عنا.

- وما هو هذا الشكل الشنيع الذي ظهر للحظات بأعلى في غرفة ريجان؟ لقد رأيتك أيها الأب مارين وعيناك تحمل نظرة وكأنك تعرف هذا الشكل الشنيع من قبل.

هز رأسه بإيجاب وهو يقول:

- معك حق أيها الأب داميان.. إنه عدوي اللدود الذي حاربته في أكثر من معركة.

- عدوك اللدود؟!!

- اسمه بازوزو ملك أرواح الهواء.. أو بمعنى أدق ملك الأرواح الشريرة للهواء.. لقد جاء مبعوثًا من الشيطان نفسه لينتقم من الكنيسة ومني أنا شخصيًا، عن طريق جسد هذه الفتاة.. إن ريجان المسكينة ما هي إلا مجرد جسر لتعبر منه الأرواح الشريرة إلى عالمنا لتدمر كل الأخلاق الطيبة الموجودة حولنا.

قال الأب داميان محاولاً أن يفهم ويربط الأحداث ببعضها البعض:

- إذا كان الهدف من كل هذا أن ينتقم منك أنت.. ألم يكن من الأفضل والأسرع أن يسيطر على جسدك أنت ويدمرك.

- إنك لا تفهم ألاعيب الشيطان أبدًا.. إنه يتسلى بنا منذ البداية.. هناك متعة لا تكمن في أن يقتص من أجسادنا بموتة طبيعية.. بل أن يلعب بنا، يعذبنا، يجعلنا نكره أنفسنا، نفقد الأمل، نرى أقرب الناس إلينا يُدمرون وينتهون قبلنا ونحن عاجزون.. أن يدمر كل شيء طاهر في هذه الحياة.. أن يحولنا إلى عبيد نتراقص على نيران جهنم تحت أقدامه.. لهذا عمل على تدمير روح النقاء في هذه الطفلة المسكينة.. جعلها تفعل الموبقات.. ما يثقل ضمير أمة بأكملها.. قبل أن يقضي عليها.. وعليّ أنا شخصيًا.. كان من الممكن أن تكون ريجان أو أي فتاة أخرى في أي بقعة من بقاع الأرض.. ولكن هذا هو قدر هذه الفتاة المسكينة، أن تكون ضحية للعبة الانتقام الأزلية

صمت الأب مارين للحظات يستجمع فيها أعصابه المنهارة..

- اسمعها جملة مني أيها الأب داميان ولا تنسها أبدًا، لقد كُتب علينا جميعًا منذ بدء الخليقة أن نحيا ونتعايش دائمًا في كل لحظة ونحن نحارب قوى الشر، التي تحاول أن تُفسد كل شيء حولنا بكل السبل، وأن تشق طريقها السوداوي في نسيج الحياة.. وكل منا بداخله طوال الوقت حرب شنيعة بين قوى الشر والخير.. وواجبك تجاه نفسك أن تحارب كل هذا وتجعل قوى الخير تنتصر في النهاية داخل أعماقك.

ثم أمسك يد الأب داميان وهو ينظر في عينيه نظرة مبهمة، ويقول بلهجة آمرة:

- لا تنسَ كلماتي أيها الأب داميان.. واجبك تجاه نفسك أن تجعل قوى الخير تنتصر في النهاية في أعماقك.

تركه الأب مارين ونهض بضعف وهو يتجه مرة أخرى إلى غرفة نوم ريجان ويغلق الباب خلفه بهدوء، أما الأب داميان فظل لدقيقة كاملة يتابع الأب مارين حتى اختفى داخل حجرة الشر، وصدى جملته الأخيرة يتردد داخل أعماقه.. وكأن الأب مارين يعطي له نصيحة معينة عليه أن يستخدمها بطريقة مبهمة..

في الحقيقة شعر أن قلبه ينقبض بتوجس وهو ينتظر حدوث شيء ما كريه..

شيء ما له رائحة القبور..

بل رائحة الموت ذاته.

*****

بصعوبة بالغة استند الأب مارين على باب حجرة ريجان.. بعد أن أغلقه خلفه بخطوات متخاذلة، اتجه إلى الحمام الملحق بالغرفة.. وعلى ذلك المقعد الصغير تهاوى جسده من الضعف والانفعال.. كان يشعر أن ضربات قلبه غير مستقرة بالمرة.. لهذا تناول تلك الحبة الصغيرة، والتي يضعها تحت لسانه ويتركها لتأتي مفعولها مع مرضه.

بعد دقائق قليلة دخل الحجرة الأب داميان.. شعر بالقلق على الأب مارين.. وجده متكئًا على حوض الحمام جالسًا واضعًا يده أسفل ذقنه.. لم يشأ أن يقطع ويبدد لحظة هدوء جسده.. ألقى نظرة سريعة عليه ثم اتجه إلى ريجان نفسها.

كان واقفًا مشدودًا كتمثال من البرونز.. مأخوذًا، أو بمعنى أدق مسحورًا بما يشاهده.. وما جعل أعصابه تنهار دفعة واحدة هو أنه لم يكن ينظر إلى ريجان، بل كان يرى أمه المتوفاة جالسة أمامه..

بشعرها الأبيض المتناثر بلا هدف حول رأسها.. شاحبة إلى أقصى درجة.. صامتة صمت القبور.. لا تتحدث إليه، فقط تنظر إليه بعينين خاويتين لا حياة فيهما.

ارتجف جسده.. تقدم نحوها بشك..

في لحظة اختفى كل هذا وكأنه وهم.. ليجد أمامه ريجان ممددة على فراشها في ألعن حالة لها.. ترتعش وتنتفض وكأنها محمومة.. غارقة في عرقها.. وجهها مزرق.. مليء بالندوب الشنيعة.. صدرها يعلو ويهبط بصعوبة، وكأنها تُجاهد لالتقاط أنفاسها.. وكأن شيطان الشر ليس كامنًا في جسدها فقط، بل كامنًا وجاثمًا فوق كل خلية بداخلها.

لم يخف منها.. بل جلس بجانبها.. يتطلع اليها بحزن.. شعر نحوها بالشفقة والتعاطف الشديد.. في سره لعن كل هذا.. لعن وكره أن تذهب تلك الفتاة ضحية لحرب أزلية بين الخير والشر.

أخذ تلك المنشفة البيضاء الصغيرة وأخذ ينشف عرقها الغزير.. كان يعرف أن جسدها ملتهب للغاية من تلك الندوب، لهذا كان يمسح عرقها برقة شديدة.. في البداية كان يخاف منها.. الآن هو يعتبرها ابنته.. مسؤولاً عنها.. يعلم علم اليقين أن كل هذا يحدث بدون إرادة منها.. أنها ضحية.. سلب منها الشيطان كل شيء، عقلها وروحها وجسدها، بل حتى شرفها وكرامتها.

قالت له ريجان بصوت ضعيف:

- داميان، لماذا تفعل هذا بي؟

انسعت عيناه ذهولاً وهو ينظر إليها.. لم يكن يستمع إلى صوت ريجان أو إلى صوت الشيطان الرابض بداخلها، بل كان يستمع إلى صوت أمه المتوفاة.. وهذا جعل كل المشاعر السلبية بداخله تنفجر في لحظة.

لم يرد عليها، شعر أن لسانه غير قادر على نطق حرف واحد.

استمرت ريجان تتحدث إليه بنفس صوت أمه:

- أرجوك داميان لا تعذبني.. أنا خائفة.

أخيرًا استطاع أن يتغلب على تلك المفاجئة القاسية، ليرد عليها ببطء وبصوت يحمل الكثير من الشك وعدم التصديق:

- أنتِ لستِ أمي!

- أرجوك داميان.. أتوسل إليك.

أخذ نفس ريجان يضيق ووجهها يزداد زرقة.. فاختطف الأب داميان سماعة الطبيب الموجودة في حقيبته ووضعها على قلبها.

في هذه اللحظة دخل الأب مارين فوجد الأب داميان ممسكًا بالسماعة يستمع إلى صوت قلب ريجان، فقال بقلق:

- ما هذا؟ ماذا يحدث أيها الأب داميان؟

- إنه قلبها.

- هل الحالة خطيرة إلى هذا الحد؟

رد عليه الأب داميان بوجه ممقتع:

- لو استمر قلبها على هذا النحو.. ستدخل في غيبوبة شنيعة.

بصوت ضعيف للغاية أخذت ريجان تتحدث إلى الأب داميان بنفس صوت أمه، وكان هذا فوق احتمال أعصاب هذا الأخير، لتفلت أعصابه ويصرخ بشدة وهو يلوح بيده:

- أنتِ لستِ أمي.. اخرسي!

قال له الأب مارين بلهجة آمرة:

- تذكر كلماتي داميان.. لا تستمع إليها أبدًا.

استمر نفس الصوت يقول بلهجة حزينة:

- لماذا داميان؟ فعلت هذا وتركتني أموت بمفردي.

انهارت أعصاب الأب داميان تمامًا، فوضع رأسه بين يديه وأخذ يبكي بحرقة.

شعر الأب مارين بالقلق عليه، فناداه باسمه.. ولكنه لم يرد وظل يبكي.. في النهاية أمره بالخروج وألا يعود للحجرة إلا بعد أن تهدأ أعصابه..

بهدوء غادر الحجرة.. وهو ينظر إلى ريجان، والتي كان يبدو من صوت تنفسها الثقيل أنها تحتضر وأن جسدها وصل إلى مرحلة الانهيار الفعلي.. بفعل شيطان الشر في أعماقها..

اتجه الأب مارين إليها وجلس على ركبتيه بجانب فراشها.. وهو يمسك يدها بحنان أبوي بالغ.. كان عليه أن ينقذ هذه الفتاة بأسرع ما يمكن وإلا سيفقدها إلى الأبد.

رسم أمام وجهه علامة الصليب.. وببطء نثر على جسدها المزيد من الماء المقدس لتطهيرها، وهو يقول بصوت مفعم بالإيمان:

أبانا الذي تفنن في الجنة.. باسمك المقدس

إلى شيطان الشر الكامن في جسد طفلتك

آمرك أن تترك هذا الجسد الآن

نظرت إليه ريجان نظرة طويلة صامتة..

ومن عينيها أطلت نيران مخيفة..

نيران الجحيم ذاته.

*****

في بهو المنزل جلس الأب داميان مشبكًا أصابعه أمام وجهه وعيناه تحملان حزنًا صامتًا.. في أعماقه كان يعرف أنه لم يعطِ أمه الاهتمام الكافي.. لهذا فدائمًا ما تحرق كيانه عقدة الذنب، وهذا الشيطان اللعين يعرف نقطة ضعفه ويلعب على هذا الوتر جيدًا.

جلست بجانبه كريس.. وقد بدا من عينيها أن قلبها قد أنبأها بما يحدث له وما يحدث لابنتها، فقالت له:

- هل انتهى كل شيء؟

هزّ رأسه نفيًا، ثم أدار وجهه وظل يحدق في لا شيء..

استجمعت شجاعتها وسألت السؤال التي كانت تتحشاه وتخشاه منذ البداية:

- هل ستموت ريجان؟

على الرغم من أنه يعرف أن حالة ريجان بأعلى أقرب إلى الموت.. إلا أن مجرد تخيله أن تموت تلك الطفلة أمام عينيه وأمام أمها المسكينة، جعله يقول لها بثقة:

- لا لن نتركها تموت.. سنفعل أي شيء حتى ننقذ حياتها.

صمتت لحظات ثم قالت بتردد:

- بالمناسبة أيها الأب داميان.. لم أخبرك كيف عرفت أن ريجان هي من قتلت المخرج بورك.

التفت إليها وعيناه تحثانها على الكلام:

- لقد عرفته بمحض الصدفة.. في ذات ليلة كانت ريجان وكأنها في غيبوبة.. وكان الشيطان بداخلها يتحدث، وكنت أنا أقف خارج الحجرة، سمعته يتباهى بقتل بورك بهذه الوحشية.. إنها ليست ريجان من يفعل كل هذا بل ما بداخلها.

نظر إليها ولم يعلق على حديثها، ثم ربّت على يدها وتركها، وأمام عينيه كان هناك هدف واحد فقط..

إنقاذ حياة ريجان..

لم يلتفت إلى أي شيء خلفه.. لم يلتفت حتى إلى صوت جرس الباب ليعرف من القادم في هذه الساعة المتأخرة.. ذهبت كريس وفتحت الباب لتجد أمامها الملازم كيندرمان شخصيًا..

أما الأب داميان فبعينين تحملان الكثير من الثقة.. دخل إلى العرين.

عرين الشيطان.

*****

في عرين الشيطان وقف الأب داميان.. مصدومًا.. غير مصدق عينيه في البداية مما يراه.. فعلى فراش ريجان كان الأب مارين ملقى بنصف جسده العلوي على وجهه وجسده لا يتحرك.. ريجان نفسها كانت جالسة تنظر إليه بهدوء سمج، تراقبه وعلى وجهها ارتسمت ألعن ابتسامة انتصار وشماتة..

بقلب مرتجف جرى الأب داميان نحو الأب مارين فأراح جسده على الأرض، ووضع يده على موضع القلب فوجد أن النبض متوقف.. أخذ يضرب صدره بقوة بكلتا يديه محاولاً إنعاش قلب الأب مارين المتوقف..

كان يضرب بهيستيريا..

ويضرب..

ويضرب..

في النهاية توقف.. وبنظرة واحدة إلى عين الجسد الممدد أمامه.. أدرك أن كل شيء انتهى.

جاب ببصره المكان فوجد الفوضى ضاربة كل شيء.. كل ما يخص الأب مارين ملقى بإهمال على الأرض.. صليبه.. كتابه.. حتى قارورة الماء المقدس ملقاة وقد فرغ كل ما فيها على الأرض، وإن تبقى منها بضع قطرات تتساقط بلا هدف

نظر إلى عين ريجان.. فوجدها صامتة.. هادئة.. ومازالت تلك الابتسامة متراقصة على شفتيها كأفعى متمرسة.

تساءل في قرارة نفسه.. ما الذي حدث؟

فقط ريجان هي من تعرف ما حدث..

فقط تلك العينين الناريتين بها يوجد كامل الحقيقة..

لم تتحدث ريجان ولم تفصح بكلمة واحدة وهي تستعيد في عقلها بلمح البصر كل شيء من دقائق..

كانت كما هي مقيدة في فراشها ترتجف بشدة.. وبجانبها الأب مارين يمسك يدها ويتلو صلواته.

فجأة لم تعد تتحكم في جسدها.. وجدت قوة هائلة جعلتها قادرة على قطع تلك القيود.. نهضت كالعنقاء.. وهي تواجه الأب مارين.

رسم بيده إشارة الصليب.. ضحكت ريجان ضحكة شيطانية.. فهتف في وجهها:

- بحق المسيح اترك هذا الجسد.

- إنها دائمًا ملكي وستظل ملكي إلى الأبد.

هكذا رد عليه الشيطان.. وعلى الرغم من المسافة بينهما.. إلا أن ريجان مدت يدها إلى الفراغ المواجه ناحية صدر الأب مارين وهي تقول له:

بل أنت الآن من سيترك هذا الجسد الفاني.. ستموت يا مارين.. وستموت معك كل آمالك.

تراجع الأب مارين حتى التصق بالحائط.. شعر أن يد ريجان المعلقة في الهواء.. داخل صدره فعليًا.. تُمسك قلبه.. تعتصر بدماء باردة وهي تتلذذ.

كان يشهق من عنف الألم.. اللعنة.. إنه حتى غير قادر على الصراخ.. على طلب المساعدة.. جسده يترنح.. يتطوح في كل مكان.. ويد ريجان الممدودة في الهواء تحكم قبضتها وكأنها داخل جسده فعليًا..

الألم شنيع.. لا يطاق.. إنه يموت.. وهذه الشيطانة مازالت تعتصر قلبه بيديها..

وكان آخر شيء دخل إلى عقله..

هي عينيها وتلك النيران المستعرة بداخلها.

ثم تهاوى جسده دفعة واحدة على فراشها وقد انسحق قلبه المسكين فعليًا داخل جسده..

مرت تلك الأحداث في عقل ريجان كومضة البرق.. وهي مازالت تواجه الأب داميان بهدوء قاسٍ مستفز.

وفي عقل الأب داميان.. ترددت جملة واحدة بصوت الأب مارين:

لا تنسَ كلماتي أيها الأب داميان.. واجبك تجاه نفسك أن تجعل قوى الخير تنتصر في النهاية داخل أعماقك.

ظلت هذه الجملة تتردد سريعًا في أعماقه.. وهو ينظر في عين ريجان.. ليخرج كل انفعاله في صرخة عاتية، وهو ينتزعها بقوة ويسبها بسباب حقير.. وقد تملك منه الغضب الشديد لمقتل الأب مارين..

قذف جسدها بقوة على الأرض.. وهو يهجم عليها بشراسة.. كان مرأى جثة الأب مارين قد أطار كل عقله.. أخذ يكيل لها اللكمات القوية في كل أنحاء وجهها وجسدها وهو يصرخ بغضب.. كان غضبه وانفعاله يفوق قوة ريجان وشيطانها بمراحل.. وقد جثم على صدرها حتى لا يمنعها من الحركة.

صراخه مع زئير ريجان العاتي وهي تحاول أن تقاومه حوّلا الحجرة إلى مسرح مصارعة جدير بالجحيم.

أمسك عنقها وهو يحاول أن يسحقه بقبضته.

وفي أعماقه ظلت جمل تتردد بدون إرادة منه:

لا لن نتركها تموت.. سنفعل أي شيء حتى ننقذ حياتها

لا تنسَ كلماتي أيها الأب داميان.. واجبك تجاه نفسك أن تجعل قوى الخير تنتصر في النهاية داخل اعماقك.

اقترب من وجهها وهو يصرخ بقوة:

- أيها الشيطان الحقير.. خذ جسدي أنا.. خذني.. اللعنة عليك.

أخذ يكرر الجملة وهو يضرب جسدها.. وفي لحظة خاطفة شعر أن هناك نيرانًا تنتقل بسرعة رهيبة من جسد ريجان إلى جسده هو.

لينتفض بقوة.. وتتقلص ملامحه ويتكور على الأرض بعنف وهو يشعر بألم في كل خلية بجسده.. اختفت عيناه وحلت محلهما عينان سوداوان بلون الظلام..

لقد انتقل شيطان الشر من جسد ريجان إلى جسده هو كاملاً..

أخذت ريجان تصرخ بعنف وقد رجع إلى جسدها صوتها الطبيعي..

رفع الأب داميان وجهه وقد تحول إلى وجه شيطاني مخيف، وفي لحظة فارقة.. جعل إرادته تنتصر على شيطان الشر بداخله.

الآن عليه أن ينفذ نصيحة الأب مارين كما قالها تمامًا.

لا تنسَ كلماتي أيها الأب داميان.. واجبك تجاه نفسك أن تجعل قوى الخير تنتصر في النهاية داخل أعماقك.

نظر إلى النافذة الكبيرة، وبدون تردد قفز نحوها وهو يطلق صرخة عاتية.. محطمًا إياها بدوي عنيف.. لهبط جسده بقوة من ارتفاع كبير على تلك الدرجات الحادة، والتي تعدت المائة سلمة.. ظل جسده يهبط بعنف شنيع، وكل عظمة في جسده تتحطم بدوي مرعب..

ليتهشم جسده تمامًا، وقد استكان على الأرض ومن حوله تناثرت دماؤه في كل مكان.

كان تحطم صوت النافذة وصراخ الأب داميان مع ريجان في حجرتها قد جعلا كريس والملازم كيندرمان يسرعان باتجاه الغرفة، ليجدا ريجان متكومة حول نفسها في ركن الحجرة وهي تبكي بحرقة بصوتها البشري، وبجانبها فوضى عارمة..

جثة الأب مارين.. والكثير من قطع الزجاج المتناثرة في كل مكان..

وقفت مصدومة لا تفهم ماذا حدث..

اتجه الملازم كيندرمان سريعًا إلى النافذة.. محاولاً أن يفهم ما حدث هو الآخر.. ليجد على الضوء الخافت جسد الأب داميان راقدًا بلا حراك وحوله بركة من الدماء..

أما ريجان فكانت طوال الوقت تصرخ منادية أمها..

في الشارع كانت الفوضى تضرب كل شيء.. تجمّع العشرات حول الجثة.. وسريعًا ما جاءت سيارة الشرطة ومن خلفها الإسعاف تعوي نحو الجميع.

التفّ الجميع حول الجثة وهو يستعيدون في عقولهم مشاهد جثة المخرج بورك.

وفي حجرة ريجان شعرت كريس بغريزتها الطبيعية كأم أن ابنتها ريجان قد عادت إليها مرة أخرى.

اتجهت إليها سريعًا وهي تحتضنها بشدة وتربت على رأسها، وابنتها تصرخ في حضنها.

ومن بعيد كان الأب داير يخترق الحشود وهو يبكي، حتى وصل إلى جسد الأب داميان.

أمسك يده الغارقة في الدماء وهو يقول له:

- هل تريد الاعتراف؟

كان الأب داميان في النزع الأخير، لم يستطع تحريك لسانه بل قبض بأصابع ضعيفة واهنة على يد الأب داير، وكأنه يوافق على الاعتراف.

- هل أنت نادم؟

قبض بأصابعه مرة أخرى.

- هل أنت نادم على إغضاب الرب وعلى كل ذنوب حياتك الماضية.

أنا أغفر لك.

باسم الأب.. والابن.. والروح القدس.

وقبل أن يلفظ الأب داميان أنفاسه الأخيرة.. في عقله كومضة ضوء، عرف قيمة نصيحة الأب مارين له:

واجبك تجاه نفسك أن تجعل قوى الخير تنتصر في النهاية داخل أعماقك.

*****

مرّ أسبوع على تلك الليلة الدموية. تعافت فيها ريجان إلى حد ما واستردت بعضًا من صحتها المغتصبة.. بعد أن وضع لها الأطباء نظامًا مكثفًا لتسترد عافيتها سريعًا..

أما كريس فقد قررت مغادرة المنزل والولاية والذهاب إلى أوروبا لتُبعد نفسها وريجان عن هذا المكان المليء بالذكريات الشنيعة.

خارج المنزل كان صديقها الأب داير واقفًا ليودعهما..

بعد لحظات الوداع استقلت كريس وابنتها ريجان السيارة وانطلقتا.. بعيدًا.

أما الأب داير فقد ذهب خلف المنزل، بالتحديد عند تلك النقطة التي سكن فيها جسد الأب داميان كاراس.. ليلقي على مكان وفاته النظرة الأخيرة.

ثم رفع عينيه إلى نافذة ريجان، والتي أمرت كريس أن يسدوها تمامًا بالخشب السميك.

وفي عقله..

وهو يستعيد كل ما حدث..

عرف أن هذه المعركة على وجه الخصوص خرج منها الجميع خاسرين.

الأب مارين والأب داميان خسرا حياتهما..

ريجان خسرت جسدها ونقاءها وطهارتها، ويبدو أن هذه التجربة الشنيعة ستُغير حياتها رأسًا على عقب، وستحتاج إلى أعوام طويلة من النقاهة والعلاج النفسي حتى تسترد جسدها وعقلها، بل وكيانها كله..

الشيطان خسر هو الآخر جسد الأب داميان، بعد أن تغلب عليه بإرادة فولاذية وأنهاه داخله قبل أن يموت..

كان يمشي ومن خلفه يتضاءل المنزل بذكرياته..

وفي عقله بعد أن أسدل الستار على هذه المعركة المخيفة..

أيقن أنه على الرغم من التقدم العلمي الذي وصلت إليه البشرية..

وبعد كل هذا الرقي والحضارة والاكتشافات الهائلة..

إلا أنه دائمًا..

في مكان ما بين العلم والخرافة والأساطير..

هناك عالم آخر..

له قوانين خاصة للغاية..

لم يكتشفها أحد..

إنه عالم الظلام.

النهايـــــة.

أهلاً بكم مرة أخرى..

أعتقد أنها كانت رحلة طويلة للغاية في هذه المرة..

ليست طويلة فقط.. بل طويلة وشنيعة..

هكذا عوالم الشياطين.. عوالم مظلمة وكئيبة وخطيرة..

لهذا سأدعكم تلتقطون أنفاسكم.. مع أكواب عصير الليمون المنعشة..

لا أعرف هل كانت رحلة ممتعة أم لا..

لكني واثق أنها كانت رحلة دسمة.. كما أن عصائر الليمون المنعشة يبدو أنها أيضًا نالت إعجابكم.

الآن عليكم أن تتخلوا عن لعب دور أليس.. وأنا أيضًا سأعود إلى طبيعتي البشرية وأنسلخ عن فراء الأرنب باني باني مرشدكم الصغير في هذه الرحلة..

بنظرة سريعة إلى ساعتي ذات العقارب الكسيحة.. وجدت أن جسدي قد تيبس من جلوسي.. الوقت الآن منتصف الليل.. أعتقد انه قد آن الأوان للعودة إلى منزلي المتواضع.. سيكون طريقًا إلى حدٍ ما طويلاً، ولكن سأقتل هذا الطريق.. بأسلوبي الخاص.

بأن أُهلك لعابي بأي أغنية تطفح إلى ذاكرتي المتهالكة..

صحيح لم أكن أجيد الغناء.. بصوتي المتعثر كامرأة من قبائل الزولو في مجاهل الغابات فاجأتها آلام الوضع..

ولكنه صوتي وأنا معجب به..

لست مطالبًا أن أذهب إلى الأوبرا..

لهذا سأغني بكامل حريتي بصوت منخفض، وبعد هذا فليذهب الكوكب كله إلى الجحيم..

عليّ.. عليّ.. بطل فليد

هيا طر يا غرندايزر

عدوك فاحذر.. سلّح نفسك

ناضل في الدفاع

لأجل سلام فوق الأرض

في كل الأصقاع

كافح شرًا.. أبطل مكرًا

فالخطر كبير

هذه الأرض يا غرندايزر

كوكب صغير

فيها عطاء.. فيها حياة

والخير كثير

دافعوا.. دافعوا.. حتى تنالوا

عدلاً للجميع.. والحق المنيع

عليّ.. عليّ.. بطل فليد

هيا طر يا غرندايزر

بعزم.. عليّ.. حمم.. أرسل

افتك بالأعداء

كافح شرًا.. أبطل مكرًا

في حزم وإباء

امنع طمعًا.. اردع جشعًا

فالخطر كبير

هذه الأرض يا غرندايزر

كوكب صغير

خيرها يزهو.. حبها يسمو

للعدل كبير

دافعوا.. دافعوا.. حتى تفوزوا

بالحب العظيم.. والخير عميم

لهذا أنا آخر نوعي..

بداخلى جينات هي الوحيدة من نوعها في المجرة..

هل هناك كائن حي عاقل، حتى لو كان وحيد الخلية مثل الأميبا..

يمشي ليغني تتر مسلسل كارتون من حقبة الثمانينات؟ في منتصف الليل وحيدًا وسط كل هذا الخواء..

كعادتي كان عقلى ينسلخ عن الحاضر ويسبح في محيط الماضي..

وأنا أتذكر صوت الفنان اللبنانى (سامي كلارك) وهو يتغنى بصوته الأوبرالي.. القوي.. الفخم.. المتمكن من اللغة العربية.

وهو يُلهب حماستنا نحن جيل الأطفال في أوائل الثمانينات بمقدمة كارتون غرندايزر..

وأنا أغني لم أكن أرى أي شيء حولي..

بل كانت أمام عينيّ تتوالد شخصيات المسلسل..

دايسكي.. كوجي.. هيكارو.. ماريا.. فيجا.. جندال.. زوريل.. بلاكي..

والصراع على إنقاذ كوكب الأرض.. واستخدام كل الأسلحة لصد هجوم كوكب فيجا..

انظر أيضًا إلى كلمات التتر المميزة.. هم كانوا يصنعون جيلاً ذهبيًا بهذه الكلمات..

يرسخون المبادئ لشيء عظيم..

أما الآن فلا يوجد أي شيء.. في أي مكان يرسخون له سوى شعار.. بالعنف نحيا ونعيش ونتعايش فقط..

لهذا نرى حولنا في كل مكان مسوخًا.. وليس أطفالاً..

لن يهمني أي شيء، وكما قلت سابقًا: فلتنسحق الأرض بأشعة فوتونية من كوكب فيجا الشرير..

المهم أنني أشعر بالمتعة بصوتي الشنيع هذا، وأنا أتغنى بتلك الكلمات البسيطة الرائعة..

في منزلي.. تقوقعت مثل أنثى الحلزون الكسولة.. أمام شاشة التليفزيون.. لأتابع أحداث مسرحية السهرة، بما أن اليوم هو الجمعة، وكان من القوانين الصارمة لهذا الجهاز أنه يعرض في سهرة كل جمعة مسرحية..

فلنرَ ماذا تفتق عنه ذهن واضعي خريطة القناة لهذه الليلة الحافلة..

عظيم.. إنها مسرحية الهمجي.. للمبدع الفنان (محمد صبحي).. والكاتب العبقرى (لينين الرملي).

إذن فختامها مسك كما يقولون..

نوع آخر من استحواذ الشيطان على الإنسان..

وكلنا واقعون تحت سيطرة هذا النوع.. إنه صراعنا الداخلي الأزلي بين الخير والشر..

لو عدت إلى البداية ستجد أننا وُجدنا وعشنا بغريزة واحدة فقط.. هي غريزة البقاء..

كان الإنسان يأكل ويشرب ويقتل ليحافظ على نفسه ويعيش..

وكان عذره الوحيد الذي أقنع نفسه به..

أنه همجي وبدائي..

لكن..

بعد أن تقدم وبنى الحضارات وارتقى في درجات العلم والمعرفة والثقافة..

واستخدم عقله وذكاءه..

هل سيظل يعيش من منطلق الغريزة فقط؟ هل سيظل يكذب؟ ويحسد.. ويفتن.. ويخون.. ويشك.. ويقتل؟!

هل سنعيش ونموت ونحن نرفع شعار.. أننا همج فقط؟

لذلك فالمسرحية أبدعت في تلك الأغنية التي كانت تتخلل الأحداث..

تلك الأغنية القصيرة التي وصفت معاناة البشرية والإنسان في كلمات بسيطة عبقرية:

يا إنسان العصر.. يا سيد هذا الكون

عمرك بلغ مليون.. وأمجادك.. تفوق الحصر

وبعد برد.. وضنا وحرمان

سكنت.. ولبست.. وشبعت.. وحطيت كمان برفان

والآن..

معدش لك حجة.. إن الشيطان أقوى.. معدش لك عذر

الآن..

اتقدم.. وهات برهان

يثبت.. إنك بحق لم تعد حيوان

وإنك تستحق.. لقب إنسان.

انتهت المسرحية..

عليّ أن أذهب إلى حجرتى العزيزة الآن.. وفي فراشى الرائع سأتمدد كمومياء قائد الهكسوس.. وبجانبي جهاز الراديو يُطلق أثيره الساحر إلى عقلي..

مع الهدوء.. والظلام.. والاسترخاء.. يجب أن يكون أثير الراديو هو صديقي الصدوق بلا منازع.

كعادتي.. على موجات البرنامج العام.

أضبط إيقاع أعماقي جيدًا على تلك الموجات..

إنها الثانية إلا ربع.. حيث تحتفل الخفافيش في الخارج بالليل.. وتمرح بسعادة بالغة.

أنا أيضًا أمرح بسعادة في هذه اللحظة مع برنامج (قال الفيلسوف).. بتلك المقدمة الموسيقية الفذة.. الرائعة.. الأبدية، والتي اقتبسها مخرج البرنامج من أغنية (الحب كله) لكوكب الشرق (أم كلثوم).. ومع الدقات الماهرة ليد عازف الجيتار الأشهر (عمر خورشيد)، وإبداعات للموسيقار الخارق (بليغ حمدي).. أنطلق بكل خلية في جسدي كله..

مع صوت (سعد الغزاوي) و(سميرة عبد العزيز)..

كان لي صديق فيلسوف.. بأقوال الحكماء شغوف.. قلت له يومًا

فيلسوف؟

نعم يا بنيتي

ماذا تقول إذا سألتك عن..؟

وهكذا تبدأ الحلقة اليومية المعتادة.. جلسات في فنون الحياة والفلسفة والحب.. جلسات تجعل من أعماقنا بشرًا إذا طبقنا كل حرف مما نسمعه..

وينتهي البرنامج بالجملة الشهيرة..

ولكن بنيتي هذا أمر شرحه يطول.. وأنا الليلة مشغول

إلى الغد.. إذن يا بنيتي

إلى الغد.. إذن يا فيلسوف.

لأنني من جيل محظوظ.. لم يولد وحوله كل هذه التكنولوجيا المملة..

فعلى كل شباب مصر حاليًا أن يستعدوا ويشحذوا عقولهم.. عبر موجات البرنامج العام.. ليسمعوا.. الاعترافات..

بصوت.. راقٍ.. متمكن.. هادئ.. به ثقة.. ويحمل لمحة من الخلاص والأمل لكل المعذبين في مصر.

تنطق المذيعة الرائعة.. (بثينة كامل).

أعترافات ليلية..

بتلك المقدمة الموسيقية.. الفاخرة.. المتوجسة.. والتي أبدعها الموسيقار اللبناني (زياد رحباني).. بعنوان (هدوء نسبي).

يبدو أن اليوم يحمل كل الإبداع اللبناني في الفن..

إنه زياد رحباني.. الملحن والموزع والمغني ومؤلف الأغاني والمسرحي والكاتب الإذاعي والصحفي.. إنه الابن الشهر لقطبي الفن: (فيروز) الفنانة ذات الشهرة العالمية، وصوت لبنان الخالد إلى الأبد.. و(عاصي الرحباني).

موسيقى عبقرية.. تهيء كل المستمعين الآن.. لكل الحناجر المتشوقة لكي تقذف في آذاننا أسرارها الخاصة للغاية..

الآن (بثينة كامل).. تعطينا دروسًا في الحياة.. بعضًا من الحكم والمواعظ والحل.. ستقرأ بعضًا من الرسائل عجز أصحابها عن البوح باعترافاتهم صوتًا..

والآن تحين لحظة الاعترافات الصوتية.. على مدار ساعة كاملة..

سأستمع إلى بشر وقعوا تحت استحواذ أخطائهم.. عذابهم.. حيرتهم.. وحدتهم..

مع صوت الفنانة (أنوشكا).. وهي تصرخ بكلمات (سامي شاكر).. وألحان (خليل مصطفى).. وتوزيع عبقري الموسيقى الشرقية (فتحي سلامة)

قلبي..

أعلن مش هخاف..

جاية..

أقدم اعتراف..

أن تبدأ كل هذه الأحداث.. بصوت لبنان..

فالقدر اختار أيضًا هذا الصوت لينهي به يومي، وكل شيء في رحلتنا الأثيرية هذه..

إنها (فيروز)..

صوت الصباح الدافئ.. صوت الحنين.. سفيرة العرب إلى النجوم.. صوت الحب.. ذكريات الحنين إلى كل شيء رائع.. إنه الصوت الذي يمتلك أجنحة بقطرات من ندى تحملك وتطير وتحلق بك في سماء الخيال الواسع الرائع.. إنه الصوت الذي خرج من شخصية قوية.. هادئة..

في نظري ستظل فيروز رمزًا للمعنى الحرفي لكلمة.. فن راقٍ.. إلى الأبد.

فكما غنت من قبل (بكتب اسمك يا حبيبي على الحور العتيق)..

فهي الآن قد كتبت باسمها بحروف من نور في مملكة الغناء..

الآن.. انتهى البرنامج.. وانتهت الاعترافات.. وكفت الدموع.. وهناك من يشعر بالراحة.. ومن مازال يشعر بالأرق والوحدة..

وكعادتها تختم (بثينة كامل) بجملتها الشهيرة..

والآن.. يشير إليّ مهندس الصوت

أن وقت البرنامج انتهى خلاص

وخلاص.. يعني.. خلاص

أنا أيضًا أختم يومي.. وأنام على صوت فيروز وهو يتألق في نهاية البرنامج:

أنا صار لازم ودعكن.. وخبركم عني

أنا كل القصة.. لو منكم كنت بغني

غنينا أغاني ع أوراق

غنية.. لواحد مشتاق

ودايمًا بالآخر.. في آخر

في وقت فراق..

في وقت فراق

*****

(النهـــاية)

(((- طرد الأرواح الشريــرة -)))

The exorcism

تعريفــها:

هي ممارسـات دينيـة لطـرد الشـياطين أو الأرواح الأخـرى التي تسـكن الجسـد البشـري، أو حتى مكان ما يُعتقـد أن بـه مسًـا، واعتمـادًا على الاعتقادات الروحية لطارد الأرواح يمكن أن يتم ذلك من خلال إجبار هـذا الكائن الشـيطاني على مغـادرة الجسـد عـن طريـق إجـراء طقـوس طويلـة، تختلـف بـاختلاف ديانـة الشـخص المسـؤول عـن عمليـة الطـرد، وذلك عن طريق الاستجداء بقوى عليا.

وتُعتبر هذه الممارسات قديمة قدم الدهر ذاته، وجزء أساسي لا يتجزأ مـن نظـام الاعتقـاد البشـري في الثقافـات والأديان باختلافها على مـر التاريخ.

الطرد في الهندوسيــة:

تـرتبط المعتقـدات والممارسـات المتعلقـة بممارسـة طـرد الأرواح بشـكل بارز بالهندوس.. من كتب الفيدا الأربعة ((the four vedas وهي الكتب المقدسة الهندوسية.

ويقـال أن (أثارفـا فيـدا) (atharva veda) يحتـوي على أسـرار السـحر المطلق والكيميـاء القديمـة، أمـا الوسـيلة الأساسـية لطـرد الأرواح هي

(مانترا والياجانا) (mantra and the yajana) وتُستخدم في التقاليد والطقوس (الفيدية والتانترا) (vedic and tantric) على السواء، وتُوظف أيضًا تقاليد (فايشنافا) (vaishnava) تلاوة أسماء (ناراسيماها) (narasimha) وقراءة الكتب المقدسة، لاسيما (بهجافاتا بورانا) (bhagavata purana) بصوت عالٍ.

ووفقًا لـ (جيتا ماهاتمايا) (gita mahatmya) في كتاب (بادما بورانا) (padma purana) يتم قراءة الفصول الثالث والسابع والتاسع من كتاب (بهجافات جيتا) (bhagavad gita) ثم يُقدم نتيجة العلاج بشكل عقلاني للممسوسين، مما يساعدهم في التخلص من الروح الشريرة المسيطرة عليهم.

يقول (كيرتان) (Kirtan) أن الغناء المتواصل لـ (مانترا) وحفظ الكتب المقدسة والصور المقدسة للآلهة (شيفا) ((shiva، (فيشنو) (vishnu)، (براهما)((brahma، (شاكتي) ((shakti وخاصة الإله (نارسيمها) ((narasimha في المنزل وحرق البخور المقدمة من (بوجا) ((puja ورش مياه الأنهار المقدسة وتحريك قواقع بوجا؛ كل هذه الأشياء فعالة للغاية في طرد الروح الشريرة من الجسد الهندوسي.

ويعتبر المصدر الرئيسي لكل المعلومات عن محاربة الشر والشيطان هو كتاب (جارودا بورانا) ((garuda purana.

أما الوصف الكامل والدقيق للميلاد والموت وروح الإنسان فيوجد في كتاب (كاتو أوبانشيد) ((kato upanishad، وهو الذي تم استلهام كل

شيء فيه من الكتاب الأعظم (ياجور فيدا) ((yajur veda، ويوجد ملخص لهذا الكتاب العظيم في كتاب مقدس آخر يحمل اسم منفصل (كاتا كام) ((kattakam.

الطرد في اليهودية:

تشير تقارير (جوزيفوس) ((josephus أن طرد الأرواح كان يتمّ بتجهيز مستخلصات الجذور السامة للنباتات وأشياء أخرى تُعتبر من الخلطات السرية للغاية، وتُقدم للضحية، وتذكر مخطوطات عُثر عليها في منطقة البحر الميت أن طرد الأرواح كان يقوم بها فرع (إيسيني) ((essene وهو جزء من اليهودية.

بعد ذلك قام الحاخام (يهودا فيتايا) ((yehuda fetaya بتأليف كتاب السحر الأشهر (مينخات يهودا) ((minchat yahuda، والذي يتناول بشكل مكثف ودقيق عملية وطقوس طرد الأرواح الشريرة في اليهودية، وأيضًا كان يشرح باستفاضة علاقته وخبرته وتجاربه مع الأشخاص الممسوسين، بالإضافة إلى موضوعات أخرى كثيرة تتعلق بالاعتقادات اليهودية الخاصة، ونظرًا لشهرة هذا الكتاب تمّت ترجمته من العبرية إلى الإنجليزية.

ويوضح الحاخام (غيرشون وينكلر) ((gershon winkler من مدينة نيويورك أن عملية طرد الأرواح الشريرة في الديانة اليهودية لا تهدف فقط إلى إبعاد وإخراج والتخلص نهائيًا من القوى الشريرة المسيطرة

على الجسد البشري، بل تهدف أصلاً إلى مساعدة كل من الروح الشريرة والشخص الممسوس بأعمال الشفاء وهدايتهم إلى الأبد.

ويتم تنفيذ طقوس طرد الأرواح الشريرة اليهودية على يد حاخام يكون بالفعل متقنًا لـ (الكابالا) ((kabbalah، بشرط أن يكون هذا في حضور عشرة من الذكور البالغين، حيث يحيطون بالشخص الممسوس في دائرة وتتلو المجموعة المادة ٩١ من (الزابور) ((psalm ٩١، بعد أن ينتهي قراءة الـ ٩١ يُفجر الحاخام قرن كبش في وسطهم.

ولهذا أسلوب وطقوس خاصة للغاية، حيث تكون هناك كتابات ونغمات مختلفة مؤثرة، حتى يهتز الجسد ويصل إلى مرحلة الخدر المغناطيسي الكامل لتتزعزع قوة الشر الكامنة بداخله وتتفكك قوته الشريرة المسيطرة، بعد هذا يكون من السهل أن تنسلخ الروح الشريرة عن الجسد، ويبدأ هنا الحاخام في التواصل مع الروح الشريرة ويسألها بعض الأسئلة، مثل لماذا تسيطرين على هذا الجسد بالذات؟ وهنا يكون على العشرة الموجودين حول الممسوس أن يقيموا الصلاة وإجراء المراسم والشعائر الخاصة كي تشعر بالأمان وتخرج من جسد الممسوس نهائيًا.

الطرد في المسيحية:

في المسيحية الكاثوليكية يتم تنفيذ عملية الطرد باسم يسوع المسيح، وثمة فرق بين طرد الأرواح بالطريقة الرسمية التي لا يقوم بها إلا كاهن

من خلال المعمودية أو بإذن من الأسقف والكنيسة، وتلك الصلاة الخاصة بالخلاص والتي يقوم بها أي شخص.

وتسمى الطقوس الكاثوليكية الرسمية لطرد الأرواح (الطريقة الرئيسية لطرد الأرواح) ((major exorcism، وقد وردت في المادة ١١٣ من كتاب (الطقوس الرومانية) ((rituale romanum، ويسرد هذا الكتاب بالتفصيل مبادئ التوجيه الصحيحة لإجراء طرد الأرواح، ومتى يجب أن تكون الطريقة الرسمية لطرد الأرواح مطلوبة، كما يطلب المطران من الكهنة أن يحددوا بعناية فائقة طبيعة الحالة، وأنهم يجب أن يكونوا واثقين ثقة عمياء من أنه ليس مرضًا نفسيًا أو عضويًا قبل المضي قدمًا في طرد الأرواح.

في الممارسات الكاثوليكية يُسمى الشخص الذي يقوم بإجراء طقوس طرد الأرواح بـ (المُعوّذ) ((exorcist، ويكون عادة عضوًا بالكنيسة أو شخصًا يُعتقد أنه أُنعِم عليه بقوى ومهارات وحساسية خاصة تجاه كل ماهو غير مرئي.

وقد يستخدم المُعوّذ الصلوات والمواد الدينية مثل مجموعات الصيغ والرموز والأيقونات الدينية والتمائم، وغالبًا ما يدعوا المُعوّذ بـ عيسى الرب وسلسلة من أسماء القديسين أو الملائكة المختلفين، أو حتى رؤساء الملائكة، وربما تستغرق عمليات طرد الأرواح أسابيع أو حتى سنوات إذا كانت الحالة شنيعة والأرواح الشريرة ملتبسة بجسد الضحية تمامًا.

وبشكل عام لا يُعتبر الأشخاص الممسوسون شرًا في حد ذاتهم، بل هم غير مسؤولين عن أفعالهم، لذلك يتناول المُعوّذ طرد الأرواح بالعلاج أكثر منه عقاب الجسد، وعادة ما تأخذ الطقوس السائدة ذلك في الحسبان، كي تتأكد من عدم ممارسة العنف ضد جسد الضحية، وإذا اقتضت الضرورة فقط أن يتم تقييد أجسادهم لحماية أنفسهم ولحماية ممارسي عملية الطقوس من شرهم.

الطرد في الإسلام:

في الإسلام يُسمى طرد الأرواح بـ (الرقية الشرعية) وتُستخدم لإصلاح الأضرار الشنيعة الناجمة عن السحر والشعوذة والحسد، وطرد الأرواح الشريرة هو جزء من بحر واسع من الطب البديل الإسلامي المعاصر ويُسمى بالطب النبوي.

تتم عملية طرد الأرواح في الإسلام باستلقاء المريض على الفراش، ثم يمرر الشخص المعالج يده على رأس المريض وهو يقرأ بعض آيات القرآن الكريم، كما يمكن أيضًا أن يشرب المريض من ماء قُرئ عليه بعض آيات القرآن الكريم أو ماء زمزم لغسل الجسد من الداخل تمامًا.

وتُتلى آيات معينة من القرآن الكريم التي تُمجد الله عز وجل وتطلب العون منه، مثل آية الكرسي، وفي بعض الحالات يتم أستخدام الطلاسم والأحجية والبخور وغسل الجسد من الخارج بماء ذي طقوس معينة، حسب الحالة وقوتها.

كما أن قراءة سورة البقرة بانتظام تقي الجسد والمنزل من أي أعمال شيطانية.

فرضية إريك سورينسن:

يُمكن العثور على جذور طرد الأرواح في آثار (الزرادشتية) ((zoroastrian، وقدماء الشرق الأدنى، الذين آمنوا باليهودية والمسيحية في عصورها الأولى.

المعتقدات الزرادشتية المزدوجة هي الأرض التي نشأت بها أفكار طرد الأرواح الشريرة وسيطرة تلك الأرواح على الإنسان.

(يقال أن روح أهورا تكون مع الشخص الذي يختار فعل الخير) (the spirit of ahura is said to be with the one who chooses good)..

(ياسنا ٣٣,١٤) ((yasna ٣٣,١٤.

وهؤلاء الذين يختارون الشر يستطيعون أن يتحملوا نفس الروح الشريرة، لأنهم يصبحون وجهين لعملة واحدة، ويُبرز (ماري بويس) ((mary boyce أهمية الاستحواذ في العقيدة الزرادشتية، حيث يختلط مفهوم الألوهية مع القوة التي تستحوذ على الإنسان من خلال فكرة فلسفية أن القوة مستمدة من الإله، والذي سمح بنفسه بدخول هذه الروح الشريرة في هذا الشخص.

كما تُقدم الزرادشتية وتُسلط الضوء على العلاقة بين الإنسان المضيف (الممسوس) وعالم الأرواح، وإن لم يكن بنفس الطريقة التي تميز بها في وقت لاحق الفكر اليهودي والمسيحي، بعد اختيار الإنسان بين الخير والشر، حيث يحدث التعايش والدعم المتبادل بين الشخص وروح اختياره، سواء كان الخير أو الشر.

وفي كتابه (أصل الشيطان) ((the origin of satan صفحة ٣٨-٣٩، أن تحديد هوية الشخص بأنه راعٍ للخير أو الشر يتطابق مع الخطاب الذي استخدمه قديمًا الطائفيون اليهود والمسيحيون الأوائل لزيادة أعداد المؤمنين التابعين لهم وشيطنة خصومهم.

الدليل على طرد الأرواح الصوري في كذبة الزرادشتية في قانون (فينديداد) ((vendidad، التي تقدم طقوس تنقية للتلوث المادي الناجم عن الشياطين "صفحة ٣٩"، وفقًا لما قاله (جيمس دارميستتر) ((james darmesteter من أنه يمكن وصف فهم الزرادشتية وتعريفها للنجاسة والقذارة أنها هي الشخص الممسوس بشيطان أو واقع تحت استحواذ شيطاني فقط، والهدف من تنقيته هو طرد الشيطان وجعل روحه أكثر صفاءً.

ومع ذلك لا يُعتبر هذا طردًا للأرواح على الطريقة التي نعرفها اليوم، فالتشبيه الأقرب لطرد الأرواح في الأدب الزرادشتي هو إشارة أتباع الرب الحكيم (أهورا مازدا) ((ahura mazda كطاردي الغضب، حيث

أعتُقد أن الغضب هو (آيشما الشيطان) ((aeshma، وهو الشيطان الوحيد المذكور اسمه في كتاب الـ (جاتاها) ((gathas.

ومع ذلك فإن هذا لا يزال على خلاف مع تعريف المسيحية للمس الشيطاني، والذي يحتاج الشيطان فيه لجسم المضيف، والذي يجب إخراجه وطرده من أجل استعادة الجسد لحالته الصحية والطبيعية.

حيث يتمحور الاختلاف في طبيعة الاختيار المقترن بالازدواجية الزرادشتية، والذي مفادها أن الشخص الذي يجعل نفسه تتحالف مع الشر ليس بالضرورة ضحية، بل يجب أن يطرد سطوة الأحقاد داخله، بدلاً من ذلك تراه طواعية يورط نفسه أكثر في مستنقع الشر.

وإذا عجز الشخص عن طرد الشياطين من داخله بنفسه فعليه أن يبحث جديًا عمن يستطيع إزالة سطوة الشر من على جسده، ولا ضير في استعمال التعاويذ للتنقية المادية من الشيطان (كتاب فينديداد) ((vendidad.

وعلى الرغم من الأدلة الراجحة؛ فإن تأثير الزرادشتية على الهيلينية واليهودية من الصعب إثباته حتى الآن، ومع ذلك لو نظرنا بشكل أعمق سنجد هناك تشابهات ملفتة للنظر بين الزرادشتية واليهودية، مثل علم الملائكة ((angelologies، (علم الشياطين) ((demonologies.

والدليل الأكثر وضوحًا لوجهات النظر الزرادشتية الموجودة في أوائل اليهودية هو شيطان (أسموديوس) في طوبيا (asmodeus).

سنتان قبل الميلاد واسم أسموديوس مستمد من اللغة الأفستية القديمة.

يوجد تشديد متزايد على المس الشيطانى، وليس فيما يتعلق بالأمراض الجسدية، ولكن بالقرارات الخلافية التي تؤدي إلى حالة المس والتي تُوجد في التراتيم الدينية الهودية الأولى في نبوءات (سيبيل والعرافة تفسر مشيئة الله) ((a sibylline oracle.. كما أن وجود تشابه بين شكل الشيطان في سفر الرؤيا والزرادشتية دليل على تأثرهما ببعضهما البعض.

أقرب التشبيهات لطرد الأرواح الشريرة في العبرية هما رحلتان محددتان، هما (ديفيد يهدىء شاؤول) ((david smothing of saul و(صموئيل وتوبيخ الله للشيطان) (samuel and gods rebuke of satan) في كتاب زكريا صفحة ٥٣.

حيث في الرحلة السابقة تصيبهم الروح الشريرة ولكن لا تستحوذ عليهم، ثم تستحوذ الروح الشريرة على جسد شاؤول، ويعزف داوود مثل (طارد الأرواح الشريرة) حتى يستعيد شاؤول حالته الطبيعية بمغادرة الروح الشريرة جسده.

والرحلة التالية تحتوي على توبيخ الله للشيطان بلغة مماثلة، كما هو موجود في طرد الأرواح الشريرة في العهد الجديد.

وقد تم العثور على أدلة أخرى في (طوبيا) (tobit) وتتمثل في كتاب (الأبوكريفال) ((apocryphal في الترجمة السبعينية، الذي يغذي أفكار طرد الأرواح الشريرة، وقد خلص البحث اللغوي لأريك سورينسن بأن في قصص موسى ودانيال وجوزيف توجد أربعة من المصطلحات الستة التي يستخدمها ممارسو أصول السحر في ثقافات بلاد ما بين النهرين، أشور وبابل، ثم مع مرور الوقت أثرت لغويًا ممارسات الطقوس هذه على كيفية تفسير (الهلنستية) ((hellenistic اليهودية للتعاويذ السحرية المحرمة.

وتُصبح ممارسة طرد الأرواح الشريرة ودراسة الشياطين أكثر وضوحًا في اللغة والمضمون في الكتابات اليهودية عن غيرها في كتابات بين العهدين، وخاصة في العهدين القديم والحديث ونهايات العالم، وتعرض وثائق من لفائف صحراء (يهودا) ((judean وترنيمة العهد القديم إطلالة شبه معاصرة للمس الشيطاني وطرد الأرواح الشريرة، مثلها مثل الموجودة في العهد الجديد، ويعتبر هذا علامة على أن ممارسات ومعتقدات الشرق الأدنى تأتي من نفس البيئة التي بدأت فيها كتابات العهد الحديث.

ويقول إريك سورينسن: (على الرغم من أن الكتاب المقدس العبري لا يعرض أدلة صريحة على طرد الأرواح الشريرة، إلا أن الفترة الهلنستية تقدم الأساس الذي يدل على وجود دراسة الشياطين التي من شأنها أن تُصبح معيارًا لعروض طقوس طرد الأرواح الشريرة التالية في العهد الجديد).

النظرة العلمية:

حتى هذه اللحظة لا يعترف كل من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية ولا حتى التصنيف الدولي للأمراض بالمعنى الشائع لمصطلح (المس الشيطاني) ((demonic possession، بل يعتبره مجرد مرحلة من مراحل المرض النفسي المستعصية، وهؤلاء الذين يدّعون باعتقادهم بوجود المس الشيطاني أعزوا في بعض الأحيان الأعراض المرتبطة بالأمراض العقلية، مثل الهيستريا والهوس والذهان ومتلازمة توريت والصرع أو اضطراب الهوية الفصامي؛ إلى المس الشيطاني.

وفي حالات اضطراب الهوية الفصامي والتي يتم فيها استجواب الشخصية الثانية عن هويتها، ذكرت التقارير أن ٢٩% عرفوا أنفسهم على أنهم شياطين، بالإضافة إلى ذلك هناك شكل من أشكال الهوس الأحادي يُسمى (هوس الشياطين)(demonomania) أو ((demonopathy، والتي يعتقد فيها المريض بأنه ممسوس بشيطان أو أكثر.

يعزو البعض وهم نجاح طرد الأرواح في علاج من لديهم أعراض المس الشيطاني إلى أن ذلك يأتي من تأثير شعوذة وطقوس عملية طرد الأرواح وغفلة المريض وقوة الفكرة والإيحاءات والجو العام المسيطر على الممسوس.

حيث نجد أن بعض الأشخاص الواقعين تحت تأثير المس لا يكونون في الحقيقة سوى نرجسيين أو يعانون من عدم الثقة، فيتصرفون وكأنهم ممسوسون بالشياطين فقط لجذب الانتباه إليهم.

نظرة أخرى أكثر عمقًا:

بنظرة عامة، فالأشباح لا يملكون القوة المتعارف عليها بالقوة الخارقة، ولكن في حالات نادرة إذا حدث هذا فنحن بصدد مواجهة مخلوق يتلاعب بنا.. بمعنى أدق روح غير بشرية، والمقصود بهذا المصطلح هنا (هو أي مخلوق لا يسير على الأرض في هيئة بشرية، مخلوق شيطاني، أرواح شيطانية تسكن البشر).

ليظهر في العصر الحديث مصطلح أكثر احترافية من (طارد الأرواح الشريرة).. مصطلح (أخصائي الأروح الشريرة) (صائدي الأشباح) (باحثين في علم الخوارق).

كلها مصطلحات نبعت أو وُلدت من علوم الخوارق ذاتها، لهذا فمن الطبيعي الآن أن ترى أصحاب منزل جديد يطلبون من الكنيسة، وعن طريق طلب رسمي مكتوب وموثق، أن يرسلوا إليهم قسًا ليبارك المنزل الجديد والمقيمين فيه.. نوع من أنواع الاطمئنان من أن المنزل لا يحوي في جدرانه شيئًا ما شريرًا.. أو روحًا شيطانية تستحوذ على أي فرد من الأسرة في المستقبل.

كل شيء يبدأ بالخوف وحده.. سواء كان خوفًا ناتجًا عن اهتياج أو قلق أو بسبب حضور وارتفاع درجة الخطر.. وباختصار مهما كان نوع الشبح أو الروح الشريرة، فجميعهم يتغذون على الخوف المنبعث من أجسادنا.

لنرى عن قرب مراحل النشاط الشيطاني (الإزعاج – الاضطهاد – الاستحواذ)..

الإزعاج ينطوي على: الهمسات.. أصوات وقع أقدام.. الشعور بوجود الآخر بدون أن تراه.

الاضطهاد ينطوي على: تختار الروح الشريرة الضحية من بين الموجودين، ويجب أن تكون أضعفهم نفسيًا، وهنا تبدأ في تحطيم أعماقها ومحق إرادتها، وحالما يترسخ الضعف تمامًا وتصبح الضحية غير قادرة على المواجهة أو حتى المقاومة؛ تأتي المرحلة الثالثة والأخيرة.

الاستحواذ ينطوي على: فقد القدرة على التحكم في الجسد والعقل وكل شيء، باختصار أنت دميها تحركها الأرواح الشريرة كيفما تشاء.. وتُصبح خطرًا على نفسك وعلى كل المتواجدين حولك.. طبعًا أنت غير مسؤول عن كل شيء يحدث لهم، لأنك أصلاً فاقد الإرادة، ولكنك تعيش وفي أعماقك كائن شيطاني يتغذى على جسدك وعلى خوف الآخرين ناحيتك.

هنـاك علامـات واضـحة دائمًـا نراهـا في أي منزل تـوجـد بـه حـالات استحواذ..

(المنزل دائمًا بارد للغاية بشكل مبالغ فيه.. هناك من يتحدث اللاتينية بطريقة معكوسة.. نزف الدماء من العين أو من أي مكان آخر بالجسد.. وجود علامات شيطانية مجهولة تتخذ شكل صليب مقلوب تظهر في أنحاء متفرقة من الجسد.. هناك رائحة لحم متعفن تجوب أرجاء المنزل، وهي من العلامات الشهيرة للغاية، ومنها يتأكد طارد الأرواح بوجود أنشطة شيطانية فعلية في هذا المنزل.. طوال الليل الأبواب تُقرع بوتيرة واحدة، عبارة عن ثلاث طرقات متتالية ثم تنتهي الأصوات فجرًا، حيث يشير هذا التوقيت إلى إهانة الثالوث المقدس (الأب – الابن – الروح القدس).. الساعات تتوقف عند ٣:٠٧ ليلاً.

وهو الميعاد الذي اتخذته الشياطين سخرية وتهكمًا على ميعاد صلب المسيح، حيث صُلب المسيح في هذه الساعة ولكن عصرًا).

من الجائز أن تكون بداية الاستحواذ الشيطاني في المنازل ثم تنتقل إلى البشر المتواجدين في المنزل.. كما أن تغيير المكان لن يُفيد بالهروب من الروح الشريرة، لأن كل هدفها أن تطاردك أينما ذهبت لتسكن بداخلك وتتغذى عليك..

إن تأدية عملية طرد الأرواح الشريرة تُعد إجراءً قديمًا يتطلب سنوات طويلة من التدريب.. ولكن حتى تُؤدى بالشكل السليم يجب أن تأذن الكنيسة بها.. أولاً بالتحري ثم جمع الأدلة ثم تزويدها بالبراهين.

لهذا فإن إجراء تعويذة الطرد خطر جدًا، ما لم يكن الشخص مؤهلاً لهذا، ليس فقط على الضحية بل على كل من بالمكان.

من المتعارف عليه أن وجود الرموز الدينية في المنزل سوف يستقبل ردود فعل من أي شيء غير مقدس، بمعنى أن تلك الأشياء المقدسة تُثير دائمًا غضب أي شيء شرير، وهنا تكون اللحظة التي يكشفون فيها عن أنفسهم.

إذا لم يتم تطهير الأطفال وعدم انتماء العائلة إلى الكنيسة فيجب أن تصدر الموافقة في هذه الحالة من الفاتيكان مباشرة.

صدر للكاتب

- دراكيولا

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/alien.omen

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢-٠٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

في مكان ما .. مجهول ..

بين العلم والخرافة ..

هناك عالم آخر.




ISBN 9789776436466

